

# جاهزون للدعوة

السيرة الذاتية للطبيب المرسل  
د. دافيد . سي. طومبسون

ترجمة

ايمن يوسف متى

Originally published in English under the title *On Call* by David C. Thompson. No other edition of *On Call* may be used. © 1991 by The Moody Bible Institute of Chicago. Published by WingSpread Publishers, Chicago, Illinois, USA.

رقم الايداع بدارالكتب : ١٦١٦١ / ٢٠١١  
تم الطباعة بمطبعة رؤية ت : ٠١٠٠٧٣٢٣٥٠٠

## إهداء

أهدي هذا الكتاب تذكراً لإدوارد وروث طومبسون النموذجين  
المضيئين اللذين تعلمت منهما كيف أتكلم على الله .

**دافيد**

# المحتويات

| العربية | الطبعة                                   | مقدمة |
|---------|------------------------------------------|-------|
| ٦       | المطران د. منير حنا                      | (١)   |
| ٧       | أ.د. عماد عشم                            | (٢)   |
| ٨       | تقديم                                    |       |
| ٩       | مقدمة المؤلف                             |       |
| ١٠      | تعريفات                                  |       |
| ١٣      | الفصل الاول: التراث                      |       |
| ٢١      | الفصل الثاني: مكالمة تليفونية            |       |
| ٣١      | الفصل الثالث: المعجزة                    |       |
| ٣٧      | الفصل الرابع : المدرسة الطبية            |       |
| ٤٥      | الفصل الخامس: عائلة ميتشل                |       |
| ٥٥      | الفصل السادس: الباب المفتوح              |       |
| ٦١      | الفصل السابع: المركب البطيء لأفريقيا     |       |
| ٦٥      | الفصل الثامن: بونجولو                    |       |
| ٧١      | الفصل التاسع: الخطة                      |       |
| ٧٧      | الفصل العاشر: المرحاض                    |       |
| ٨١      | الفصل الحادى عشر: طب في البراري          |       |
| ٨٩      | الفصل الثانى عشر: دفن مريضة الجزام       |       |
| ٩٥      | الفصل الثالث عشر: رحلة السفاري الموحشة   |       |
| ١٠٣     | الفصل الرابع عشر: حرب الجدي              |       |
| ١٠٩     | الفصل الخامس عشر: نوربرت                 |       |
| ١١٥     | الفصل السادس عشر: الرجل الذي له زوجتان   |       |
| ١٢١     | الفصل اسابع عشر: مواجهة عند نهر اللويتسي |       |
| ١٢٥     | الفصل الثامن عشر: زوجة العمدة            |       |



|     |                                                 |
|-----|-------------------------------------------------|
| ١٢٩ | الفصل التاسع عشر: صغير مثل حبة الخردل           |
| ١٣٥ | الفصل العشرون: النهر                            |
| ١٤٣ | الفصل الحادى والعشرون: بدون عائلة - عائلة جديدة |
| ١٤٧ | الفصل الثانى والعشرون: فيرونیکا                 |
| ١٥٣ | الفصل الثالث و العشرون: زوجاتا لیبونجو          |
| ١٥٧ | الفصل الرابع والعشرون: على وشك أن يُعَدَم       |
| ١٦٣ | الفصل الخامس والعشرون: السيدة فالنتين           |
| ١٦٩ | الفصل السادس والعشرون: جرحى الحرب الروحية       |
| ١٧٧ | الفصل السابع والعشرون: نحو الليل                |
| ١٨٥ | الفصل الثامن والعشرون: ماكایا                   |
| ١٨٩ | الفصل التاسع و العشرون: جسر إلى بونجولو         |
| ١٩٥ | الفصل الثلاثون: إن إستطعت أن ترى                |

# مقدمة الطبعة العربية

(١)

عندما سمعت الدكتور دافيد طومسون يروى قصة رحلته الروحية، اهتزت مشاعري وسالت دموعي، حقاً إنها قصة مؤثرة لأنها حقيقية، تحكى كيف يستخدم الله كل الظروف ليتقابل معنا بنعمته ويأخذنا معه في رحلة كلما تقدمنا فيها أدركنا محبته. وعندما ندرك محبته، نستطيع أن نحب الآخرين. لقد تعلمت من هذه القصة كيف يمكن أن نحكى قصة حب الله لكل من حولنا، لا بالكلام فقط ولكن بالعمل والخدمة. وهذا ما فعله الدكتور دافيد، لقد قدم حياته وخبرته الروحية و الطيبة في خدمة الآخرين. إننى أصلى أن تساعدنا هذه القصة في مراجعة الطريقة التى بها نشارك إنجيل المسيح. بركة المسيح معكم.

المطران د. منير حنا انيس

مطران الكنيسة الاسقفية بمصر و شمال افريقيا و القرن  
الافريقى المطران الرئيس لاقليم اورشليم و الشرق الاوسط

## (٢)

قرأت السيرة الذاتية للمرسل الجراح د. دافيد طومسون منذ عدة سنوات، و قد ترك في أثراً عميقاً ما بين الإعجاب و المعجزات.

الإعجاب بعمل الله الواضح في حياة د. طومسون . كيف استخدم الله حادثة على قارعة الطريق عندما كان طفلاً صغيراً مع والده المرسل في فيتنام؛ لتكون الحافز على دراسة الطب لمساعدة البسطاء المحتاجين إلى شفاء .

الإعجاز عندما حول الله الحادثة المأساوية؛ من اغتيال والديه الذين خدما الرب بكل أمانة على أيدي الشيوعين في فيتنام، إلى عزم وتصميم منقطع النظير لتكريس حياته لخدمة الرب.

الإعجاب و الإعجاز معاً عندما نسجت أصابع القدير لوحة رائعة، مستخدمة الظروف الصعبة التي مر بها د. طومسون من شاب في مقتبل العمر مع اخوته الثلاثة ، وقد فقدو الأب والأم إلى كلية الطب المرموقة بجامعة بيتسبرغ التي كان لي أيضاً شرف الدراسة والعمل بها منذ بضعة سنوات. حقاً كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله .

لم تتن عزمه شهوة العيونو تعظم المعيشة عن محبته الأولى، ولا عن رؤيته ليكون طبيباً مرسلاً. كانت رغبته أن يعود إلى القارة القاسية اسيا حيث استشهد والداه في اسم المسيح ولكن مشيئة القدير ارسلته إلى القارة السمراء أفريقيا إلى الجابون. حيث اللغة الرسمية الفرنسية، وليس الانجليزية. فما كان من د. طومسون إلا طاعة الله مقبلاً على التحديات تحدٍ بعد الآخر.

وظل دافيد طومسون عملاقاً هائلاً في خيالي فقط إلى أن سمعته متكلماً في إحدى المؤتمرات لجمهور من الأطباء المهتمين بالعمل المرسل الطبي وقد جذب الأنظار، والعقول إلى شخص الرب يسوع مخلصاً ورباً. ثم قابلته وإذ به وديع ومتواضع القلب كسيده يسوع المسيح. ثم كان لي امتياز الخدمة معه في تدريب نواب الجراحة بالمستشفيات الارسالية في القارة السمراء فوجدته استاذاً قديراً و جراحاً ماهراً. أدعوك أيها القارئ العزيز إن تبدأ رحلة شيقة عبر صفحات هذا الكتاب بين ثلاث قارات ماراً بفيتنام ، الولايات المتحدة و الجابون. أصلي أن يفتح الرب عينيك على ملكوته والحقول المبيضة للحصاد. أصلي أيضاً عندما تصل إلى الخاتمة أن تصلي أنت من كل قلبك و فكرك و قدرتك مع د. دافيد طومسون « هأنذا ارسلني » أمين.

د. عماد حكيم عشم

استاذ الجراحة ونقل الاعضاء

تكساس -الولايات المتحدة الامريكية

## تقديم

بدأت علاقتي بديف (دافيد)، منذ الأيام الأولى في مدرسة دالات لأبناء المرسلين في فيتنام .  
لم أكن أتصور وقتها أنه يوماً ما سيكون زوجاً لابنتي.

تابعت باهتمام شديد إصرار ديف على أن يكون طبيباً مرسلًا حتى بعد الأيام المأساوية  
لهجوم التيت (الذي شنه الثوار الفيتناميون سنة ١٩٦٨)، الذي قضى على حياة أبويه في  
بانهيثوت، بفيتنام.

رغم أنه يعلم أن العمل الطبي في أمريكا يمكن أن يصنع ثروة ضخمة، لكن كان  
يتعين على ديف أن يحدد اختياره ، ويتخذ قراراً. وأشكر الرب أنه قد اتخذ القرار الصحيح  
حيث ألزمته محبة الله هو وعائلته، أن يعطوا ظهورهم لما يسمّى “بالحياة المرفّهة”، لكي  
يذهبوا إلى المحتاجين في بلاد أخرى ليقدموا لهم خدمة الشفاء، ويردونهم من غياهب  
الظلام إلى النور، ويعطوا للبائسين رجاءً، أموراً تجلب رضًى وسروراً عظيماً ، لا يمكن أبداً  
أن يُشترى بالمال.

كتاب “جاهزون للدعوة” يرسم لنا بشكل جميل وواضح ، الطريقة التي يعمل بها  
الله ليجتذب ديف، ليكون أكثر قرباً منه ويعلمه دروساً ثمينة في الإيمان وحياة الإتكال  
على الله.

إنها شهادة للرب الذي يستجيب الصلوات.

بيتي ميتشيل

مرسلة سابقة في فيتنام

(والدة زوجة دافيد)

## مقدمة المؤلف

لسنوات عديدة شهدت لآخرين عن أمور رائعة صنعها الله في حياتي . لكن كنت دائماً أقاوم فكرة وضعها في كتاب لأني خشيت أن تتجذب أنظار القراء إلى نفسي أكثر من الرب يسوع المسيح الذي أخدمه . لسان حالي كما جاء في مستهل المزمور: ﴿ لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا ، لَكِنْ لَأَسْمِكَ أُعْطِ مَجْداً ، مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ مِنْ أَجْلِ أَمَانَتِكَ . ﴾ (مز ١١٥ : ١ )

ترددت أن أكتب أيضاً لأسباب أخرى. منها المقارنة بين المرسل والطبيب ، فالمرسل الذي يقوم بترجمة الكتاب المقدس أو يقوم بتأسيس كنائس جديدة غالباً ما يُنظر إليه على أن عمله هذا ذو بعد واحد ورتيب. وهذه نظرة خاطئة! فالإرساليات الطبية ليست هي الوسيلة الوحيدة أو المثلى لربح النفوس للمسيح. إنها واحدة من طرق كثيرة ومثيرة يستخدمها الله ومهما كانت فعاليتها فهي جزء من مجهود كبير يُبذل من أجل الكرازة لشعب.

موضوع كتابة قصتي على الورق قد حُسم أخيراً في قلبي حين كنت أقرأ المكتوب: ﴿ هَلُمَّ اسْمَعُوا فَأَخْبِرْكُمْ يَا كُلَّ الْخَائِفِينَ اللَّهَ بِمَا صَنَعَ لِنَفْسِي . ﴾ ( مز ٦٦ : ١٦ ) .

لذا فان الغرض الذي لأجله خرج هذا الكتاب هو أن يُخبر عما صنعه الله لنفسي. لا أريد أن يتسبب هذا الكتاب في جعل أي من الذين يحبون رعاية المرضى- سواء كان طبيباً أو ممرضة - ان يترك هذا العمل كي يصير مرسلًا.

العمل الطبي هو مجال لا غنى عنه لأنه يملأ احتياجاً ملُحاً ، والإلتزام الاخلاقي أن يستخدم الفرد معرفته وقدراته ليسد إحتياجاً دائم الوجود يمكن أن يكون حقاً عبئاً ثقيلاً. هذا هو ما يعنيه الطب المرسلي بالنسبة لي .

جميع القصص المدونة في هذا الكتاب ، حقيقية ، قد حدثت بالفعل. وعندما أصف أحياناً سجلها آخرون ، قد أنسب أفكاراً لشخصيات وأضيف بعض التفاصيل الوصفية لكي تجسد وتوضح سلوكيات ومشاعر تابعة. وهذه كلها مبنية على ما أعرفه عن شخصيات الأفراد وثقافتهم وخلفياتهم.

وصلاتي أن يستخدم الله هذه القصة ليشجّع الآخرين أن يتكلوا عليه بكل قلوبهم حتى يمكنهم أن يخدموا الرب يسوع المسيح بلا خوف. وعند القيام بذلك فهم يأتون بنفوس من العالم ليسجدوا عند قدميه.

دافيد. سي. طومبسون

يناير ١٩٩٠

## تعريفات

بعد أن خدمت في أفريقيا لمدة أربعة أعوام ، عدت إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٨١ لكي أستكمل دراستي في الجراحة العامة. وعندما أوشكت فترة تدريبي على الإنتهاء ، سألتني كثير من الاصدقاء إذا ما كان صعباً أن أترك حياة الراحة والأمان في أمريكا لكي أعود إلى أفريقيا. وهذه كانت اجابتي:

صغير أجهزة مراقبة القلب وقرقعة أجهزة التنفس وطنين أجهزة التكيف وتمتمة الممرضات في المكان، الأطباء والفنيين وأخصائي العلاج الطبيعي وقسوس المستشفيات و الزوار الذين يملأون الغرف المضاءة بالفلورسنت، الآلات واجهزة الكمبيوتر والعدادات من كل نوع التي تحسب حساباتها ثم تعطي نتائجها الإلكترونية أعلاها بقراءات رقمية حمراء وخضراء من أمام وخلف تلك الأجساد المسجاة على الأسرة الآلية.

أعمل كطبيب في وحدة العناية المركزة ومريض يتأرجح بين الحياة والموت. أعطي أوامري للممرضات كي يفعلوا هذه ويديروا تلك . يحركون مقابض الماكينات الممتلئة بالمفاتيح والأسلاك والأنايب والأضواء . انها تعكس حالة المريض الذي أعالجه. أسجل كل النتائج تحسباً لحالة تعرضي لأي مساءلة قانونية.

صحة المريض تتحسن رويداً رويداً ، الخيط الرفيع الذي تتعلق به حياته يصير مع الوقت حبلاً متيناً فيجتاز مرحلة الخطر و تستقر حالته فيعيش عاماً أو عشرة . ترتسم في ذهني صورة أخرى لمكان آخر في زمن آخر. أرى وجه أم من أفريقيا وهي تحمل ابنها الأصغر على ذراعها إذ أصابه المرض بشلل كامل. الثقة التي رأيته في عينيها حركت مشاعري بينما كانت مجهوداتي لإنقاذ الطفل قد باءت بالفشل. لم تكن هناك أي أجهزة مراقبة رقمية في غرفته لتُسجل لنا بالأرقام إحضاره البطيء.

بدا أن حياته تتعلق بخيط رفيع ورغم خطورة الحالة لم تشكُ الأم ،ولالطفل، من عجزني عن أن أفعل له شيئاً . لم يكن خائفاً من الموت لكنه لم يزل متمسكاً بالحياة. هو وأمه كانا يتكلمان بحرية عن الملوكوت، الذي كان مزمماً أن يرحل إليه بعد وقت قريب. كانت الأم تصلي ليسوع ؛وتبكي من اجل ابنها كل ليلة.

إمكاناتي الطبية الضئيلة قد أتت بآخر ما عندها؛ فاستودعتُ الأم وطفلها بين يدي الله. جهاز

المراقبة أعطى إشاراته؛ فذهبت لحظة إلى وحدة العناية المركزة، وحدثت في موجات النيون لضربات القلب الظاهرة على الشاشة.

أتذكر عندما كنت أقود سيارتي النصف نقل في أفريقيا، على الطريق المترب عائداً إلى بيت الولد كانت أمه تسند جسده الواهن بين ذراعيها، والسيارة تتأرجح على الطريق الوعر. كل شيء تقريباً قد تغطي بطبقة من الغبار الأحمر. كان الحر خانقاً، تعطلت السيارة فلم نعد قادرين على المواصلة. سارت الأم ببطء نحو منزل مجاور، والولد ملتف حول كتفيها، وهو فاقد الوعي آنذاك، وسيقائه تتأرجح متدلّية.

سارت وهي تتمايل في مشيها نحو المدخل المعتم. سوف يموت غير مغتسل وفي ثياب رثة في دارغريب، على أرضية غير نظيفة. لكنه محبوب من أمه، ومن الرب، ومحبوب لي أنا أيضاً.

نظرت إلى الجدول الذي في يدي؛ المدون فيه كل النبضات، والأنفاس، والضربات والدرجات التي سُجلت بمنتهى الدقة. عدت للأجهزة ذات العيون الإلكترونية الكثيرة على وجوه معدنية ذات الأضواء المتغيرة. لكن قلبي لم يكن هنا. بل ظل هناك في الكوخ المظلم على الأرض المظلمة؛ حيث تحمل أم أفريقية طفلها الميت على ذراعيها وهي تذرف دموع الرجاء.





# الفصل الاول

## التراث

في عام ١٩٣٢ في بلاد الهند الصينية ، المستعمرة من فرنسا (الآن معروفة بجنوب شرق آسيا) كان هناك أمريكي، يقود السيارة وحده عبر قرية ممتدة على الطريق في كمبوديا. كان مرهقاً، ورغم أنه لا يعرف أحداً من أهل المكان، لكنه توقف لعل عمدة القرية يعرض عليه مكاناً للمبيت. وترجى أن يلقي ذات الإكرام الذي يُقدّم لأحد الرعايا الفرنسيين.

أوقف سيارته أمام منزل فخم ، قائم على أعمدة ماهوجني، ارتفاعها متران ونصف . اجتمع حشدٌ كبيرٌ في الحال من القرويين الفضوليين. ثم جاء عمدة القرية من منزل آخر. عرّف الأجنبي نفسه كمرسل بروتستانتية. وبدا أن العمدة قد نال شرفاً، إذ استطاع أن يلبي طلبه ضيافته تلك الليلة ، ودعا المرسل لتناول وجبة معه.

إن وصول المرسل هناك يُعد حدثاً مثيراً، في تاريخ قرية كابال تشاو. وبعد العشاء احتشد جمعٌ كبيرٌ حول منزل العمدة .سُمح للمرسل أن يلقي كلمة، ويتردد بدأ يقص على سامعيه المشتتي الفكر أعجب قصة سمعوها على الإطلاق ، قصة الله الخالق.

تعجبوا جداً أن الله مهتمٌ بأمورهم وشغوفٌ بهم. إزدادت دهشتهم عندما قال لهم - ذلك الرجل المرهق- كيف أن ابن الله خالق الكون؛ يسوع ، أتى إلى العالم لكي يصنع معجزات عظيمة ويشفي المرضى، كيف دعا الناس أن يتركوا الشرور، ويطيعوا ويعبدوا الخالق الذي أحبهم .

ابن الله الخالق مختلف جداً عن السيد بوذا.هز السامعون رؤوسهم في ذعر عندما قال المرسل: أنه بالرغم من المعجزات التي صنعها يسوع ، لم يُصدّق الناس أنه قد جاء من عند الله الخالق، وصدّمهم الخبر الذي قاله لهم؛ أن بعض الذين صاروا ضده ورفضوا إرساليته ورسالته قد قتلوه مصلوباً على خشبة الصليب.

عندما أخبرهم كيف دُفن ثم قام من القبر بعد ثلاثة أيام ، تحولت دهشتهم إلى شك. كيف يقوم واحد من الموت؟! حتى لو كان ابن الله الخالق .ربما لم يمت من الأصل. ألم يُعلّم بوذا؛ بأنه إن مات شخصٌ سوف يقوم مرة أخرى كحيوان أو حشرة ، بناءً على كيفية الحياة التي عاشها؟

وماذا قال المرسل أيضاً ؟ إن يسوع هذا قد أخبر تابعيه؛ أنهم إن آمنوا، و حفظوا وصاياه سوف يحيون معه إلى الأبد في الفردوس .

كان الجمع متشككاً لكن مهذباً عندما ذكر المرسل كيف صعد يسوع من الارض إلى

السماء، واعداً أنه سيأتي يومٌ فيه سوف يعود ثانية .

شكره الناس على القصة الشيقة . لكنَّ المرسل لم ينته بعد، فقال: يسوع هذا قد أرسلني هنا لكي أخبركم هذه الأخبار السارة . إن رغبتُم أن تتبعوه، ابقوا هنا وتكلموا معي . فأخفوا على الفور ابتسامة الحرج! لا أحد يعمل شيئاً غيباً كهذا. بالكاد استطاعوا أن ينتظروا قليلاً ليتكلموا  
أو يضحكوا معاً. الكل مضى ولم يبق إلا واحدٌ.

كُلٌّ من العمدة والمرسل تعجبا. الشاب الذي بقى ليسأل المرسل بتردد كي يشرح له أكثر القصة التي سمعها للتو اسمه «لوب» عمره ٢٠ عاماً. استمر الحديث لعدة ساعات . كان الوقت متأخراً جداً حين أحنى لوب رأسه، وصلى صلاة بسيطة .سأل الرب أن يغفرَ له كل الشر الذي صنعه في حياته، واعترف بأن يسوع بالحقيقة هو ابن الله الخالق، ووعد بأن يحفظ وصاياه .وعد لوب المرسل؛ أن يمر عليه ثانية في الصباح . استيقظ المرسل مبكراً، وتناول إفطاره، و بدأ يعد حقائبه ويضعها في السيارة .

إتجه لوب نحوه، وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه الصغير.جلسا كُلٌّ منهما على جذع شجرة ملقىً ليتحدثا. أراد لوب أن يعرف متى سيعود ذلك المرسل مرة أخرى إليهم . أجابه المرسل بقلب ثقيل، بأنه لا يعلم. لكن وعده بأنه لا بد أن يأتِ لكي يراه إن تواجد في كابل تشوا مرة ثانية . ووعد المرسل بأنه سوف يُصلي من أجله. هذا كل ما في وسعه أن يفعله.

غيم الحزن والقلق على لوب. كيف يتبع يسوع، إن لم يكن يعلم ماذا ينبغي أن يفعل؟ أجاب المرسل بلطف وثبات: “ يا لوب يجب أن تصلي ليسوع كل يوم، وتساءله أن يساعدك .سوف يسمعك ويُرِيك ما تفعله وما لا يجب أن تفعله . ويجب أن تفعل أمراً آخر؛ أن تطلب من الرب أن يرسل شخصاً آخر ليخبر شعبك عن يسوع “.

نظر لوب الى جلد يديه الخشنة. لقد قرر أن يتبع يسوع هذا ،ابن الله الخالق. لكنه سيكون آنذاك المؤمن الوحيد في تلك القرية .كان من الصعب على المرسل أن يغادر، لكن يوجد الكثيرون الذين ينتظرونه، وهو مسئول عنهم أيضاً . الرب سوف يعتني بلوب، وقرية كابل تشاو.

لم يشارك لوب في تقديم الذبائح الحيوانية في وقت الزراعة ليسترضى الأرواح، وفي موسم

الحصاد لم يشارك في الاحتفالات، ولا في المراسيم التي تمجد بوذا على خيريه، وإحسانه. ورفضه هذا كان صدمة للقرية كلها؛ لأنه من وجهة نظرهم، سلوك غير مُبرر، ويهددهم كلهم بالخطر. حاول رجال الدين، وشيوخ القرية أن يرجعوه عن موقفه هذا، لكنه ظل متمسكاً بموقفه ولم يكف عن أن يصلي ليسوع.

مواقف إجتماعية مختلفة، قد اتخذت ضده؛ من أجل معاقبته وعزله عن المجتمع . عندما فشلت الضغوط الاجتماعية في تغيير موقفه؛ اتجه رجال الدين لتحرير الأرواح لتوقع ضرراً به

أو تقتله. رغم كل ذلك استمر لوب يصلي كل يوم لله الخالق و ابنه كي يرسل شخصاً اليهم؛ ليعلمهم هو، وشعبه عن يسوع.

بينما كان لوب يُصلي، كان هناك ولدٌ عمره ٧ سنوات، اسمه كارل، تربى في مزرعة بغرب بنسلفانيا. كان أبوه السكير، يعمل في منجم فحم. عندما بلغ كارل الرابعة من عمره، كان والده عائداً من الحانة مخموراً، وهو يقود سيارته، فصدم طفلاً وقتله فُوض بالسنج. وبينما كان ينتظر الحكم في قضيته، شق نفسه في زنارته. كان كارل أحد ولديه اللذين تركهما.

كان وقتاً صعباً على العائلة، تسرعت أم كارل في زواجها الثاني، وسرعان ما اكتشفت أنها ارتكبت خطأ جسيماً. زوجها الجديد كان يكره كارل بصفة خاصة. عندما يعصى الولد كلامه يقوم بضربه بصورة قاسية مرات عديدة، حتى أن أمه كانت تستخدم ماءً مغلياً؛ لكي تنزع ملاءة السرير الملتصقة في جروح ظهره عندما يستيقظ في الصباح.

ضُرب مرة لأنه لم يكن يمسك الشوكة بطريقة صحيحة، فلكمه زوج أمه في وجهه فسقط على ظهره من على الكرسي، ثم من على الدرج. رغم أن وجه كارل كان لم يزل ينزف لكن زوج أمه أصر على أن يعود إلى مكانه على مائدة الطعام، ليمسك الشوكة بطريقة صحيحة. لذا فليس غريباً ان كارل كبر وهو يكره زوج أمه.

ذهبت والدة كارل مرة للمدينة المجاورة - نيو كنسينجتون- للتسوق، وتزور بعض الأصدقاء.

واتفق أنها مرت بجانب كنيسة الرابطة المرسلية المسيحية، وسمعت صوت ترنيم أيقظ

ذكريات الطفولة في قلبها الكسير. فدخلت الكنيسة وتقابلت مع الرب يسوع المسيح في ذلك اليوم.

وحدث تغيير مدهش في حياتها . تعجبت العائلة كلها أنها لم تعد تنفعل بغضب، إزاء شتائم زوجها. وحدث مؤخراً في ذات الأسبوع أن الزوج عاد ثملاً، وبدأ يسخر من إيمانها الجديد لكنها ردت عليه بلطف وعندما غضب عليها وضربها، لم ترد الضرب .

كان كارل عمره ١٦ عاماً في ذلك الوقت ، وقد لاحظ هذا التغيير، وعندما سأل أمه عن سبب اختلافها أجابته: أنها قد أعطت حياتها للمسيح. طلب أن يذهب معها إلى الكنيسة الأحد التالي.

لم يكن زوج أمه راضياً، لكنه سمح لهما بالذهاب.

تكلم القسيس عن الرب يسوع المسيح وعن الخطية، وعن الجحيم والسماء. وعندما دعا المجتمعين أن يتبعوا المسيح، تقدم كارل للأمام باكياً، عاد هو وأمه فرحين. لكن سعادتهما وفرحهما أشعلا غضب زوج أمه أكثر. وعندما حاول كارل أن يشرح إيمانه الجديد، إستشاط زوج أمه غضباً، وسحب البندقية من فوق موقد المدفأة مصوباً فوهتها نحو كارل أمراً إياه أن يخرج من المنزل ولا يعود أبداً. لم يكن أمام كارل خياراً آخر سوى أن يخرج من الباب، ولم يرَ منزل أمه مرة ثانية

وجد كارل مكاناً يقيم فيه، في غرفة على السطح عند أحد الأصدقاء في نيوكينسجتون والتحق بعمل بسيط مؤقت لكنه واطب على الذهاب إلى الكنيسة التي التقى فيها بالمسيح. أظهر شعب الكنيسة له المحبة التي افتقدها في حياته المبكرة.

وفي أحد الأيام جاء مرسل إلى تلك الكنيسة، وتكلم عن شعب آسيا المتشوقين أن يسمعوا عن المسيح. تكلم الله إلى كارل، وأعلن عن رغبته أن يكون مرسلًا . وبعد التدريب، هو وعروسه الجديدة في معهد التدريب المرسلي **Nyack Missionary Training**

**Institute**

بدأ خدمته كراعٍ لكنيسة في غرب بنسلفانيا .

في عام ١٩٤٨ أبحر من نيويورك إلى كمبوديا. قام كارل وزوجته بزرع كنيسة في العاصمة الإقليمية لإقليم كاراتيه ، شرق كمبوديا.

قاما بزيارة القرى المحيطة بالمدينة ليكرزا بالإنجيل. ويوماً ما اتجها إلى القرية الصغيرة

” كابل تشوا» لم يكن الكمبوديون منبهرين فقط برؤية رجل أبيض، ولكن أيضا زوجة بيضاء وطفليهما.

اندهشوا من شكل وجوههم، شعرهم الأشقر وبشرتهم الجميلة وعيونهم الزرقاء. عمل المرسلان لوحة وبرية على كبوت السيارة الجيب. مع أن كارل كان يتكلم بلكنة غريبة، ويقع في كثير من الأخطاء اللغوية المضحكة، لكن عمدة القرية سمح له أن يتكلم إلى الجمع الوافق.

في ذلك الوقت كان قد مضى ١٨ عاماً منذ أن قرر لوب أن يتبع الرب يسوع المسيح . لقد عانى كثيراً نتيجة لهذا القرار، لكنه لم يتراجع. وبإصراره هذا، إكتسب لوب إحتراماً على مضض من القرويين . الجمع المحتشد في وسط القرية جذب انتباه لوب .

لقد تحرك قلبه عندما رأى الرجل الأبيض الطويل .. وتساءل ألعل هذا هو ...؟ كان يخشى أن يخيب ظنه ؟ لقد خاب أمله عدة مرات من قبل، وهو الآن لا يجسر على أن يكون عنده بصيص من الرجاء. ربما كان هذا رجل فرنسي آخر! لقد تعجب وهو يرى الأجنبي يتكلم باللغة الكمبودية . أصغى لوب بإنتباه شديد واندمج مع القصة، وانبهر بالصورتين كانت تضعها زوجه المرسل البيضاء على اللوحة فوق السيارة الجيب.

وعندما تم ذكر الله الخالق ، شعر لوب بأن قلبه قفز في صدره . هل هذا صحيح حقاً ؟ أراد أن يتأكد . وضعت المرأة الأجنبية صورة طفلٍ على اللوحة . وصور بعض الناس في ثياب غريبة تحيط بالطفل وتسجد له . وصورة بعض البقرتنظرمن فوق أكتافهم . وقال الرجل الأبيض هذا الطفل هو ابن الله الخالق، واسمه يسوع. وفي تلك اللحظة قفز لوب، وبدأ يهتف بصوت عال: لقد أتيت . لقد أتيت .. لقد أتيت إلي. كانت عيناه تفيضان بالدموع، ولكنه لم يعبأ بذلك . لقد كانت سعادته الغامرة تشغله عن أي شيء. الله الخالق قد استجاب صلاته.

مازلت أتعجب من هذه القصة . لقد استخدم الله طفلاً قد أُسيء إليه في طفولته، طفلاً غير محبوب، و في مرحلة المراهقة كان منبوذاً ، نشأ في مناخ غير كسبي وبيت ممتلئ بالعنف والغضب، ثم أخذه الله إلى مكان في الجانب الآخر من العالم ؛لِيُعَلِّمَ لوب وشعبه

عن يسوع. أصبح لوب من الشيوخ المتقدمين في الكنيسة الجديدة والتي تأسست في كابال تشوا.

اختبار لوب كان سبباً في ربح كثيرين للمسيح. خدم الرب بأمانة وبفرح, حتى عام ١٩٧٥ حين إكتسحت قوات الخمير الحمر الشيوعية البلاد وقتلوه مع كل الذين عرفوا أنهم مسيحيون في ذلك الوقت.

كتبت هذه القصة كما سمعتها من فم كارل نفسه. لأن كارل إدوارد طومبسون هو أبي. كنت أنا أحد الطفلين الابيضين في كابال تشوا, اليوم الذي فيه رأى لوب استجابة صلاته.

زوجة كارل هي أمي روث ستيننس, التي كان أبواها مرسلين من رواد العمل المرسلي في فيتنام .

والدة أمي تربت في شرق الهند, وهي ايضا من أبوين مرسلين . فأنا أُعتبر الجيل الرابع في عائلتي الذي يخدم الرب كمرسل.





# الفصل الثاني

## مكاملة تليفونية

كانت كافيتريا الكلية تقريباً خالية في السابعة صباحاً و كان صباح ممطراً في فبراير ١٩٦٨، حين كنت أتناول الإفطار، وأسرع إلى طالب آخر دخل الكافيتريا ليخبرني أن هناك مكاملة تليفونية دولية، عاجلة لي بمكتب عميد الكلية، ولم يزل الخط مفتوح في يد العميد . تركت طبق الإفطار، وأسرت نحو مكتبه وأنا أحاول أن أخمن من الذي يطلبني في ذلك الوقت المبكر من الصباح. وأنا اصعد سلام المبنى تسلفت لذهني الهواجس. وكان هناك ستة أو ثمانية أفراد من هيئة التدريس في الغرفة . قام العميد بتحيتي بكل وقار ثم أعطاني التليفون. كان قلبي يدق لدرجة أني تصورت أن المحيطين بي يسمعون صوت ضرباته العالية.

آلو .

آلو، أنت دافيد؟

نعم.

دافيد ، نحن من مركز القيادة (قيادة الارسالية التي يخدم معها والد دافيد) في نيويورك . لا أعرف كيف أبلغك بهذا الخبر .إن هجوماً ثقيلاً قد وقع على التيت في فيتنام في وقت العطلة، وللتو بلغنا الخبر أن والديك قد قُتلا على يد القوات الشيوعية . ساد الصمت برهة.

دافيد، لقد صدمنا الخبر جميعاً ، نأسف جداً لما حدث.

مائة ألف صورة دارت في رأسي، وتوقفت عند آخر مشهد رأيت فيه والدي وهما على قيد الحياة.. كان صباح صيف دافيد وأنا في المعهد المرسلي Nyack في نيويورك، حين وقفنا خارج بيتنا المستأجر ،ونحن نودع بعضنا بعضاً .كان ينبغي أن أذهب للعمل. منذ أن أغلقت كمبوديا في وجه المرسلين اتجهت عائلتي إلى جنوب فيتنام. طائرتهما في ذلك اليوم كانت ستوصلهما إلى سيجون. امتلأت عيوننا بالدموع ،ونحن نعانق بعضنا بعضا.

“ إلى اللقاء يا أمي . إلى اللقاء يا أبي . سأصلي أن تكونا سالمين. “ أجابت أمي : سوف نصلي من اجلك . كان ابي صامتاً للحظات بشكل غريب ، ثم أغرورقت عيناه بالدموع. وكانت آخر كلماته: “ ربما لا ترانا مرة ثانية يا ابني “ ، خرجت هذه الكلمات بصورة مفاجئة. “ مهما حدث، أنا أريدك أن تتبع يسوع “ .

لقد كرهت لقاءات الإفتراق والوداع . ابتسمت وعانقتهما ثانية، جفت دموعي ، و بقلب مطمئن قلت “ سأكون بخير. اعتنوا بأنفسكم» وعدت في طريقي .  
على قمة الضفة التفتُ للخلف ، ملوِّحاً إليهما بيدي مرة أخرى. وقفنا معاً ، والدموع تملأ عيونهما، وهما ينظران إليّ. ثم أخيراً لَوْحاً لي بأيديهما .

بقية المكاملة الهاتفية، بل و بقية ذلك اليوم، كان يخيم عليه سحابة سوداء .سرت وحدي عبرالحرم الجامعي إلى غرفتي، وأغلقت الباب. بكيت على ركبتي طويلاً بدا لي كأنها عدة ساعات رغم أنها لم تتعدَّ ساعة إلا ربع . طوال هذا الوقت لم تترد على شفتي سوى كلمة واحدة ، لماذا ؟؟ وعندما لم أجد رداً . فما نوع من الغضب في قلبي ، يارب لماذا سمحت أن يحدث هذا الأمر ؟ وليس من جواب سوى الصمت الذي ساد الغرفة الخالية .

لماذا لا تجيبني يا رب ؟ ألا تبالي بمشاعري ؟ لماذا لا تخبرني لماذا تركت أبويَّ يُقتلا الآن ؟ إن كنت قد عملت العالمين، ألا تعطيني جواباً شافياً ؛حتى أستطيع أن أفهم ما يحدث ؟ وبدا لي أنه لا يريد أن يجيبني ! كنت أصارع في صمتي؛ لكي أفهم كيف نجاهم الله من أخطار كثيرة سابقاً . أما الآن أي خطأ ارتكبه ، حتى يستحقا الموت في هذه المرة ؟ تذكرت كيف تدخل الله، عندما ذهباً أول مرة إلى شرق كمبوديا أثناء الحرب الفرنسية الهندوصينية. كانت الطرق ملغمة، والسيارات تُقصف ببنادق المتمردين الوطنيين

كلّفثهم الإرسالية بالذهاب الى إقليم كاراتيه بينما لم يكن هناك وسيلة آمنة للذهاب.

السلطات العسكرية الفرنسية أعاقثهم عن مجرد محاولة السفر إلى هناك ، لكن عندما رأوا إصراري على الذهاب، نصحوه أن ينتظر قافلة عسكرية كي يسافر برفقتها.

رأى أبي أن السفر وحده لن يكون أكثر خطراً من السفر مع القافلة؛ فقال للقائد الفرنسي أنه يفضل ان ينطلق وحده. الله الذي أرسلهما لكمبوديا وقصد أن يكرزاً بالإنجيل في كاراتيه، هو كفيل بأن يحميهم في الطريق الى هناك. كان القائد الفرنسي منزعجاً من أن أبي قد فكّر في هذه المجازفة . ألم يفكر القس

طومبسون بما فعله المتمردون بأطفال الفرنسيين وكيف علقوهم لكي يندروا الفرنسيين ويطالبونهم أن يخرجوا من البلاد ؟ ألم يخطر ببال جناب القس، أن شكله لا يختلف كثيراً عن الفرنسيين ؟ لكنه أخيراً وافق على مضي أن يذهب وحده .ونصحه بأن يقود السيارة بسرعة، ولا يتوقف في الطريق لأي سبب من الأسباب؛ خوفاً من كمائن الثوار. مع أنني كنت صغيراً لكنني أتذكر تفاصيل هذه الرحلة إذ سمعت أُمي تقصها مرات عديدة.

كان أبي يقود بسرعة كبيرة لكنه أضر للتوقف في ذلك الطريق الوعر؛ بسبب عطل حدث في السيارة .خرج أبي ليفحص الضرر، بينما كانت أُمي تصلي بلجاجة من أجل حمايتنا. كانت هناك شاحنة بها قوات فرنسية تسير خلفنا . للحظات كنا نعتقد أن الرب أرسل هذه القوات لتحميننا. لكن ما ازعجنا هو أن الشاحنة قد سبقتنا، وسط سحابة كثيفة من الغبار . بينما كانت تتقدمنا بـ ١٠٠ ياردة (٩٠ متر تقريباً)، اصطدمت الشاحنة بلغم أرضي فانقلبت في الحال، وخرج المتمردون من مخابئهم وأمطروا الجنود الفرنسيين بوابل من الطلقات . لقد قُتلوا جميعهم .وهكذا فإن لم يكن الرب قد سبب عطلاً في سيارتنا لصرنا نحن الضحايا.

المرّة الثانية التي أنقذ فيها الرب حياتنا كانت مثيرة حقاً . ذكر أبي تلك القصة على مسمع من الناس عدة مرات لذا كنت أحفظها عن ظهر قلب.

كنا في كراقي لمدة سنة تقريباً وكان جنود من القوّات الفرنسية يحصّون المدينة لأنها كانت العاصمة الإقليمية .وفي أحد الأيام تلقى القائد الفرنسي معلومات سرية تفيد ان عدداً كبيراً من الثوار سيهاجمون مزارع المطاط الفرنسية خارج بلدة سنول، على بعد ٨٠ كيلومتر، وحيث أن القائد لم يشك في صحة المعلومات فقد جهّز قواته وأرسل الشاحنات لتسبق المتمردين وتفاجئهم في سنول. لم يكن هذا المخطط سوى خدعة من قبل المتمردين.الخطة الفعلية هي ان ٢٠٠٠ فرد من المتمردين سيهاجمون مدينة كراقي التي كنا نعيش فيها.

بحلول المساء جاء جندي فرنسي وقرع على الباب، وسألنا إن كنا نود أن نذهب للفندق حتى ينتهي القتال. شكره أبي وقال لا، وقال له أنه هو زوجته سوف يصلان.الله لم

يرسلهما لكراتي لكي يقضي عليهما قبل أن يتمما العمل الذي أرسلهما من أجله.

أذكر أنه كان ينبغي أن أختبئ تحت سريري مع أختي، بينما كان أبي وأمي جاثين على ركبتيهما يصليان . قالت أمي أننا كنا نتذمر كثيراً عليهما وبصعوبة جعلنا نصلي حسب ما يذكر أبي أنه في حوالي الساعة الثانية صباحاً، أضأت شعلة بيضاء الميدان بين بيتنا والفندق.و بعدها بدأ الهجوم مباشرة على الفندق . كانت الطلقات تنطلق من كل اتجاه .فجأة شعلة حمراء أُطلقت، و توهجت لفترة وجيزة في ليل السماء. توقف القصف فجأة و في الصباح لم يكن أي أثر للمتمردين، ولا أحد يعلم لماذا هرب المتمردون، وكفوا عن الهجوم. عاد القائد الفرنسي لاحقاً في ذلك اليوم من سنول وفوجيء بأن المدينة آمنة.

في عام ١٩٥٥ منح الفرنسيون الإستقلال لكمبوديا ، وتولى ملك كمبوديا زمام الحكم و وعد الملك أن يعفو عن الثوارالذين يسلمون اسلحتهم، ويتعهدون بالولاء له - بعض الثوار كانوا شيوعيين- في اليوم المقرر جاء آلاف المتمردين المحليين إلى ساحة المدينة، ووضعوا أسلحتهم في كومة كبيرة . كان يومٌ ممتلئاً بالمراسيم والخطب.

نحو نصف النهار ، طلب القائد الفرنسي المتنحي من أبي أن يترجم له كلمة يريد أن يوجهها إلى قائد ثورة المتمردين. بعد المقدمة وجه القائد الفرنسي سؤالاً لقائد المتمردين : لماذا لم تحتلوا المدينة في الليلة التي ذهبنا فيها إلى سنول وتركنا كراتي بدون حماية ؟ ويبدو أن قائد المتمردين قد فوجيء بالسؤال.

إنه يتذكر تلك الليلة جيداً . فقال، مفترضاً ان القائد الفرنسي مخطئٌ ، أنه عندما هجم المتمردون على كراتي ، واجههم آلاف من الجنود الفرنسيين، لقد رأوا القوات منتشرة في كل مكان بصورة لم يشهدها من قبل منذ أن بدأت الحرب .

وحيث أن قوة المتمردين لا تتعدى ٢٠٠٠ فرد فقط لذا فقد قرروا الهرب .حين كان أبي يترجم للطرفين ، شهد الجدل الكثير حول أحداث هذه الليلة بين القائد الفرنسي و قائد المتمردين ، بينما لم يفهم أحد تعليل ما حدث ، كان أبي يعلم أن قوة من جند الرب هي التي أنقذتهم . ملائكة الله قد ظهوروا في هيئة جنود فرنسيين بهذا العدد الهائل؛حتي ينسحب المتمردين.

بينما كنت أبكي وحدي في غرفة الكلية ، تكلم الله إلى قلبي لأول مرة في حياتي . مع أي لم اسمع صوتاً مسموعاً بكلمات منطوقة ، لكنني شعرت، وعلمت بما يريد الله أن يقوله لي. « دافيد هل تثق في؟ » كنت أتساءل في نفسي، هل ذلك له أي علاقة بأي شيء؟ .

بالطبع . وضعت ثقتي فيه! ألم أسلمه حياتي، وتبعت وصاياه طائعاً منذ ان كان عمري ٥ سنوات؟ وأنا بعد طفل ألم أدعوه بإيمان أن يسكن في قلبي ؟  
بينما كنت أنتظر ، تكلم إلي من جديد . “ دافيد هل تثق في؟ ” هل من المفترض أن أجيئ؟  
لقد قررت بالفعل أن أكرس حياتي له كطبيب مرسل. إني أتذكر ذلك اليوم أيضاً حين كان عمري ١٤ عاماً، عندما سافرت مع والدي إلى كمبوديا وركبنا العربة . كنا نقود لمدة ستة ساعات على طريق ملىء بالحفر الكبيرة . وعندما رأينا شاحنة مدمرة أمامنا وعلى الجانب الآخر من الطريق حافلة ركاب، وقد تحطم نصفها الأمامي، والناس مبعثرون على جانبه أوقفنا العربة وخرجنا .

أبلغنا احد الموجودون بالمكان أن المركبتين كانتا تقتربان من بعضهما أثناء سيرهما بسرعة كبيرة وبينما كانت احدهما تتفادى حفرة كبيرة على الطريق إنحرفت للجهة الأخرى، وصدمت الحافلة القادمة، قبل أن نصل لذات المكان بدقائق قليلة . وحيث أن أبي لديه دراية بعض الشيء بعلاج الجروح والإصابات، فسأل إن كان هناك إصابات خطيرة . أشار الرجل إلى سائق الحافلة الملقى مقابل شجرة المانجو المجاورة. من المحتمل أن يموت. أشار إليّ أبي أن آتي معه.

مجموعة من المارة كانوا يقفون حول الرجل المصاب يراقبونه، عاجزين أن يفعلوا شيئاً، وهم يرونه يحاول أن يتنفس. من حين لأخر كانت الكحة تُخرج دماً . افسح الجمع طريقاً؛ ليسمحوا لنا أن نقترب منه أكثر. بعد تردد برهة جثا أبي مقابل سائق الحافلة وعرفه بنفسه بالكمبودية. أوماً الرجل بتقدير كان من الواضح لي أنه إن لم يفعل له أحد شيئاً في أقرب وقت ، فسوف يموت.

كنت أعرف أنه لا توجد مستشفى في مدى ٣٠٠ كم في تلك المنطقة. بينما كنت بعيداً أحضر ماءً للرجل ليشرب، ساله أبي عما إن كان مستعداً للقاء الله، هز الرجل رأسه ببطء فأصرّ أبي أن يقول له عما إن كان يود أن يعرف كيف يمكن أن يذهب للسماء . ظل

الرجل ينظر لأبي لوقت طويل ، كان يتنفس بصعوبة. ثم نظر إليّ . وقد ملأ اليأس عينيه ,وهو يتقيأ كمية من الدم وتأوه قائلاً : “ من فضلك لا تتكلم معي الآن عن إلهك, فقط ساعدني أن لا أموت” .

بحزن شديد هز أبي رأسه وقال له « لا أعرف كيف أساعدك” تجرع الرجل بعض الماء, ثم حول رأسه بعيداً . أشار أبي كي نعود للسيارة.

مشينا في صمت ونحن نعلم أن هذا الرجل لن يعيش سوى دقائق معدودة, عالمين أنه بدون المسيح سوف يقضي الأبدية في الجحيم ..باقي الرحلة لم أقل إلا القليل. التجربة تتكرر. مرة ومرات تتردد في أذني توسلات الرجل الملحة, وأنا أشعر بعجزنا . آه لو كان ههنا من يمكنه أن يفعل له شيئاً يساعده أن يعيش, ربما حينها يمكن أن يسمع لنا ويقبل المسيح. كلما فكرت في هذا الأمر عرفت أكثر ما أريد أن أفعله في حياتي.

أردت أن أساعد المرضى في البلاد التي لا يوجد بها من يساعدهم, فيستطيعون أن يعيشوا - بعكس ما حدث مع هذا الرجل - لتتاح لهم الفرصة أن يسمعو عن محبة المسيح فيؤمنوا به .

عندما وصلنا إلى «بينوم بن» وعدت الرب أن أكرس حياتي لهذا العمل. ولهذا السبب انا الان في هذا المكان ، صباح فبراير البارد عام ١٩٦٨ في مرحلة ما قبل المتوسط في كلية جنيفا في شلالات بيفار, بنسلفانيا.

سؤال آخر ظل يراودني .ما الذي سيحدث لإخوتي وأخواتي ؟ أنا أكبر الأولاد وعمري ١٩ سنة ، و أختي جودي كانت تكبرني بعام واحد. ودال ١٦ سنة ،و لوريل ١١ سنة، بينما كان توم عمره ٨ سنوات. علمت أنهم غادروا بانميثوت؛ ليذهبوا إلى المدرسة المرسلية بماليزيا قبل الهجوم بثلاثة أيام فقط ، وهناك أنقذوا منه من يعتني بهم الآن؟ من يساعدهم أن يفهموا أنهم لن يستطيعوا أن يعودوا أبداً للمنزل مرة أخرى ؟ أنا لم أتكلم معهم بعد .هل أستطيع وحدي أن أعزيهم كأخ أكبر ؟ ماذا بخصوص هذا الأمر يا رب ؟؟ هل من جواب ؟ الله أجابني لكن لم تكن الإجابة التي كنت أريد أن أسمعها. للمرة الثالثة يوجه لي ذات السؤال

« دافيد هل تثق بي؟“ لقد كنت أفهم ما يريد مني .إنه مستحيل! ليس من العدل أو الشفقة

كيف يطلب الله من أي واحد شيء كهذا؟ لم أقدر أن أفعل ما طلبه مني, لقد رفضت نفسي,

وتمردت روحي في داخلي، أراد الله أن أشكره. لا ، لن أشكره أبداً لأنني فقدت أبوي.  
كان يطلب أقصى حد للتعبير عن الاتكال عليه.

تبع هذا صراع عظيم في قلبي . من جانب كنت أحب الله، وأريد أن أرضيه ، لكن من  
جانب آخر كان قلبي منكسراً على خسارة أغلى شخصين في حياتي.

لم أستطع أن أر أي خير ينتج عن موتهما هذا ، لقد كانا في الأربعينيات من العمر، في ذروة  
نشاطهما كمرسلين . كانا قد تعلمنا حديثا اللغة الفيتنامية ، اللغة الخامسة بعد الإنجليزية  
والفرنسية والكمبودية و الهمونج. هل هذا منطقي أو معقول؟ مع أنني أعرف أنه لا  
ينبغي أن أفهم طرق الله كي أقبلها. كنت أعرف أنه إذا لم أَسَلِّم الأمر للرب لن أعود قادراً  
على السير مع الرب كما من قبل. كان كثيرون من الأحباء يُصلُّون من أجلي في ذلك اليوم.  
وبدون شك فإن هذه الصلوات قد أتت بي إلى حيث سلمت فيه الكل له أخيراً.

« يارب ، أنا لا أفهم ولا أشعر بأي شكر حقيقي في قلبي إزاء ما سمحت به أن يحدث  
لأبوي ولي. لكن لأنك طلبت ولأني أثق بك ، لأني أحبك، ولأني أعرف أنك حقاً تحبني ،  
سأشكرك على ما سمحت به“

هذه كانت أصعب كلمات نطقت بها في حياتي دون أن أتوقع حقاً، شيئاً ما قد يحدث.  
لقد إندهشت وأنا أشعر بسلام يغمر كياني مثل بلسان شافٍ. لدهشتي أن ذات الإضطراب  
الشديد الذي كاد يشق قلبي شقاً منذ لحظات ، بدأ يهدأ في داخلي ويخمد . شيء فائق  
للطبيعة قد حدث، فأبوي لم يزالا أمواتاً، وأنا لم أزل وحدي في الغرفة. أنا وإخوتي لم نزل  
يتامى ويفصل بيننا محيطات. لكن في قلبي شعور يمكن أن أصفه بأنه إحساس مريح .

قمت من على ركبتي وجهزت حقبتي لأذهب لأختي في نيو يورك. القس / ل . ر. فان  
هورن من كنيسة رابطة بيفر فولز، أعطاني تذكرة وأوصلني للقطار .جودي كانت في  
انتظاري على المحطة لكن حتى عندما عانقنا بعضنا، وبكيننا لم يُتزعزع مني سلام الله. بعد  
ثلاثة أيام رجعت إلى كلية جنيفا لقد مضى بعض الوقت حتى علمت الطريقة القاسية  
التي مات بها أبي وأمي.

علمت أنهما قد إنتفضا من نومهما في وقت مبكر صباحا، عندما تسلل فيتناميون شماليون



وهجموا على منزل كارولين جريسولد المجاور لمنزلهما في وسط الظلام، قاموا بإطلاق النار على كل شيء، سمع أبي وأمي صراخها؛ لكن لم يتمكنوا من إنقاذها. وعندما لاح ضوء النهار، إكتشفا أنّ أباهما أيضا كان قد سُحق وسط الحطام. بعد يومين، إحتدمت المعركة في مدينة بانميثوث ، ذهب أبي وأمي ليختبئا في منزل مرسل مجاور. اقتحم الجنود الفيتناميون الشماليون بيتهما وقصفوه. عندما علما أنه لا يوجد بيت آمن لجأ لحفر ملاجئ في مكان حفرة النفایات .

عندما إحتل الفيتناميون الشماليون مدينة بانميثوث أخيرا ، لم يسمحوا لأبويّ ولا للمرسلين الآخرين معهما بتسليم أنفسهم بل بدلا من ذلك، قتلوهم بقسوة بطلقات الرشاشات. حيث جثمت أمي مكانها و وقف أبي في مخبأ وراء بيت الإرسالية ويديه مرفوعة في الهواء، ثم قضى الفيتناميون الشماليون عليهم بالقنابل اليدوية. لم تنج إلا مسز ماري وهي المرسلّة الوحيدة التي نجت وروت لنا القصة .

عتابي مع الله بعد موت أبوي فقط كان ليؤكد احتياجي أن أثق في الرب فيما يتعلق بنتائج حرمانني من أغلى الناس والأشياء بالنسبة لي. وتعلمت من الاختبار أن الله جدير بهذه الثقة وذلك من الطريقة العجيبة التي رتب لي بها أن أذهب لكلية جنيفا.



# الفصل الثالث

## المعجزة

تحدث معي صديقي الذى يدرس في كلية جنيفا بحماس شديد عن الدراسة بهذه الكلية والتي قررت الالتحاق بها وقد قُبلت بالمرحلة التمهيديّة منها في سنة ١٩٦٦. كنت ساذجاً تماماً فيما يتعلق بمصاريف الدراسة بالكلية وأنا أفكر أنه كان علىّ الحصول على درجات عليا حتى أتمكن من الحصول على منحة دراسية .

لذا لم أتقدم بأي طلب للحصول على منحة لتغطية مصاريف الدراسة. لقد خصصت الإرسالية مصروفاً شهرياً يزيد قليلا عن ١٠٠ دولار . كل ممتلكاتي مجمعة لا تمثل ربع المصروفات السنوية المتوقعة. كنت أذكر عبارة قالتها أُمي: « إن كان الرب يريدني أن أكون طبيباً مرسلاً فسيُدبر المال اللازم لذلك » إني اثق أن الله سيدبر هذا , لكنى لا أعلم كيف .

خطورة ما كنت أتوقع أن الله يعملهُ لم تلقِ بظلالها عليّ إلى أن أتى يوم التسجيل. وجدت نفسي في طريقي إلى جمنازيوم المدرسة حيث أُعدت مناضد تسجيل. كل شيء سار على ما يرام إلى أن وصلت إلى وظيفة الخزينة. استلمت مني بطاقة التسجيل وبعد أن احتسبت كل المواد التي طلبت الدراسة فيها و حسبت قيمة إيجار الغرفة والإقامة قالت لي: أن أجمالي الرسوم المطلوبة هو عدة آلاف من الدولارات. كنت مستعداً لذلك ، فقدمت لها خمسون دولاراً قد أعطاه لي عمي . لم تبد الموظفة أي تعليق خصوصاً إنها لم تجد أي قروض أو منح مجانية أو مساعدات لتغطي ولو حتى نصف التكلفة.

كل ما فعلته هو أنها وجهتني إلى سيدة لطيفة من قسم الحسابات, وسألتني كيف أنوي سداد فاتورتي. بعد شيء من التردد ، قمت بشرح الموقف لها, كيف أني منتظر الرب أن يدبر المبلغ المطلوب. لم تفتح فمها بكلمة واحدة. قامت وذهبت إلى رجل يرتدي بدلة داكنة ذو ملامح صارمة, وأشارت إليّ وسلمته فاتورة الحساب. وشعرت أن طولي الذي يتعدى ١٨٣ سم قد إنكمش إلى شبر واحد, وهو يشير إليّ كي أذهب إليه. عرّفتني بنفسه أنه رئيس الحسابات. وسألتني عن الترتيبات التي لديّ كي أدفع حساب الفصل الدراسي الأول. في ذلك الوقت تذكرت أن أقول أني كنت أنوي أن أعمل بعض الوقت وقلت له أنا أثق أن الرب سيدبر الباقي .

بدا الرجل متعاطف معي ، لكنه قال لي أنّه ينبغي أن آتي لأتكلّم معه في مكتبه في وقت لاحق من ذلك الأسبوع, ربما لأنه يتعين عليّ أن أخذ بعض القروض. هذه الكلمات

جعلت قلبي يسقط في داخلي. كيف سأرد هذه القروض للمدرسة براتب الإرسالية المحدود؟ بدأت الدراسة اليوم التالي وفي ذات اليوم بدأت أبحث عن عمل. لم أكن أعرف أحداً في بيفار فولز، ولا حتى أعرف أين أبحث عن عمل. علاوة على أنني لا أملك سيارة؛ لذلك فأني فرصة عمل في المدينة لن تكون حلاً عملياً

نظراً لأنني نشأت في آسيا، فأنا أعرف كيف أعمل لكنني لا أعرف كيف أجد فرصة عمل. أول عمل قمت به في أمريكا؛ هو مساعدة جار في بناء سور خلف منزله. فخطط لي الأماكن التي يجب أن تُحفر ويُرَاحل منها التراب لمكان آخر. قمت بالعمل وحدي لمدة ١٠ ساعات يومياً. أحفر، وأنقل التراب بعربة يد لمكان آخر. في بداية الأسبوع التالي بدأ رذاذ المطر يسقط. في كمبوديا لا يتوقف الناس عن العمل إلا إذا كان المطر يسقط غزيراً. وهذا الرذاذ هو المناخ النمطي طوال اليوم في أمريكا الشمالية. في نهاية اليوم تحولت الأرض إلى طين وصرت منقوع كلياً في المياه. رغم أن المطر والطين جعل العمل أكثر صعوبة لكنني كنت مستمراً في العمل. عندما عاد صاحب العمل للبيت ورآني أعمل كان مندهشاً. ألم أكن أعرف أنني لا يجب أن أعمل في اليوم الممطر؟

الأسبوع الثاني في جنيف، علمت أن الكلية تبحث عن شخص لينظف حمامات الجناح الرجالي. والأجر كان دولاراً في الساعة. قدمت طلباً في الحال وتعجبت أنه لا يوجد أحد راغباً في مثل هذا العمل. علمت في ذلك الوقت أن تنظيف الحمامات ليس عملاً يتلکأ فيه من يعمل به. لقد أصبحت خبيراً لدرجة أنني غالباً ما أنتهي من عملي في أقل من ساعة. هذا معناه أنني سوف أقتاضي أقل من دولار في اليوم. فأدركت للتو أنني لن أستمّر بطريقتي هذه عند تنظيف الحمامات.

في الأسبوع الثاني للدراسة، أعلن مدير جوقة التزيم أكابيللا - ذات ال ٦٠ شخصاً - عن بدء الإختبارات لقبول مجموعة جديدة من الطلبة في الجوقة. دافيد ماكميلان زميلي في الغرفة، ذو الصوت القوي تم قبوله فوراً. وشجعني أنا أيضاً كي أشارك. أعجبتني الفكرة. لقد استمتعت بفرق التزيم سواء في المدرسة أو في الكنيسة. ومع أن نغمة صوتي من النوع الحاد، لكن كان مستواي أفضل من المتوسط في قراءة النوتة ويمكنني ضبط اللحن. قررت أن أجري المحاولة يوم الإثنين. بدأت أصلي من أجل هذا الأمر لأتأكد من أمر إلتحافي بالجوقة.

في يوم الأحد أصبت بنزلة برد. في صباح يوم الإثنين كنت بالكاد أستطيع أن أتكلم. كنت مستاءاً؛ لأن الرب لم يحفظني من الإصابة بالبرد، وأنا مقبل على هذا الوقت الهام في حياتي. ربما يجعل الرب قائد الجوقة يتفهم الأمر. كنت واثقاً بدرجة كبيرة أن الرب كان يهد الطريق إستجابة لصلاتي. قمت بالمحاولة . وعندما بلغت غرفته، كان قائد الجوقة مرهقاً و متملماً. قدم لي كتاب الترنيم وإختار لي ترنيمة . بدأت أشرح له أنني لا أستطيع أن أرسم بسبب إحتقان حلقي لكنه حلق في وجهي وهو على البيانو وقال لي : رنم . عندما سمع حوالي عشر ثواني توقف عن العزف وشكرني ووفر على نفسي مشقة شرح موقعي، ثم دعا الطالب الذي بعدي. في اليوم التالي لم أجد إسمي في لائحة الذين تم قبولهم .

كنت ساخطاً على الرب . ألم أصل من أجل هذا الأمر؟ الصلاة التي من المفروض أنها دائماً لها مفعولها. لكن هذه المرة لم يساعدني. بدا لي كأن الله قد ضيع الفرصة لكن نظراً لأن المؤمنين لا ينبغي أن يفكروا هكذا، حاولت أن أنسى الموضوع برمته.

لاحظت مرة أن معظم زملائي المقيمين معي يذهبون إلى فصول الدراسة بقمصان مكرمشة.. «خدمة طومبسون لكي الملابس» بدأت تقدم خدماتها! لم أستعمل المكواة من قبل لأكوي قميصاً واحداً لي. لكن اقترضت مكواة ومنضدة كي .كنت أنقاضي ٢٥ سنتا عن القميص ومع ذلك لم يكن كافياً.

مهارات الكتابة على الآلة الكاتبة لدي كانت أكفاً من المستوي العادي ،كان عندي آلة جيدة فعرضت أن أقوم بكتابة الصفحة مقابل ١٥ سنت، والتصحيح بتكلفة إضافية قدرها ١٠ سنتات سرعان ما كنت مشغولاً كل الأمسيات ما بين كي أقمصه وتنظيف حمامات و طباعة أوراق.

وعندما أنهيت من هذه الأعمال أقوم بمذاكرة دروسي ، غالباً ما أبقى حتى الواحدة أو الثانية صباح اليوم التالي.

لم يطلبني رئيس الحسابات حتى ذلك الوقت، وتساءلت عما إذا كانت ستطول هذه الفترة قبل أن يدعوني لجلسة“ المناقشة“. على أية حال لن أقوم أنا بطلبه. وبعد شهر من بدء الفصل الدراسي؛ أعلن مدير المدرسة أنه سيقام عرض للموهوبين المبتدئين في المجالات المختلفة. قررت أنا وزميلي في الغرفة أن نشترك في هذا العرض بإسكتش موسيقي قمت بكتابته وأعداده، وقضينا عدة أسابيع في التدريب وقمنا بالتمثيل والترنيم فيه.

وعندما جاء يوم العرض كان أداونا للإسكتش ممتازاً. كان هناك العديد من الفقرات التي قدمت لكن كانت فقرتنا من أفضل ما تم عرضه. فزنا بالجائزة. ونحن نخرج من صالة الجيمانزيوم، اقترب مني رئيس الجوقة وقال لي « يا دافيد لقد كان أداؤكما أنتما الإثنين رائعاً » إلتفت إليه مندهشاً أنه يتذكرني بالإسم. ابتسمت له وشكرته. قال لي : هل تعرف أنه يمكنك أن ترنم

« بصوت حاد على أية حال » الآن قد صار شغوفاً بقدراتي. « أنا أحتاج إلى صوت صادحي حاد في الجوقة وأريدك أن تنضم إلينا، فما رأيك ؟

وضحت له الموقف متأسفاً أنه بالرغم أنه لديّ رغبة قوية أن أرنم في الجوقة، لكن ليس لدي الوقت الآن لذلك لأنه يجب أن أعمل لكي أدير المال المطلوب لمصروفات الدراسة. ظهر علي وجهه الإحباط الشديد لكن لم يكن بمقدار خيبة أمني . في ذلك المساء وجدت رسالة في صندوق البريد الخاص بي، من رئيس الحسابات يطلب مني أن أذهب لمكتبه في الصباح التالي، سقط قلبي في بطني . لقد حسبت كل ما كسبته فوجدت معي حوالي ١٥٠ دولاراً.

كنت قد أنفقت مصروف الإرسالية كله في شراء كتب. دخلت مكتب الحسابات بشعور من التهديد الكئيب .

استقبلني رئيس الحسابات بتحية حارة ودخل في الموضوع مباشرة حسناً يا دافيد، هل دبر الرب مصاريف الفصل الدراسي الأول؟ أجبتة :“ ليس كله، سيدي“ أخرجت الـ ١٥٠ دولار ووضعتها على المكتب الذي أمامي . نظر إلى المبلغ برهة ثم إلى فاتورة الحساب و قال : هل فكرت في أن تأخذ قرضاً من المدرسة ؟ فشرحت له لماذا لا أريد أن أخذ قرضاً . نظر إليّ وهو يفكر ثم قال :“ مستر جريج تكلم معي بالأمس وبدا لي أنه يريدك بالفعل أن تشارك معه في الجوقة « قلت « نعم ، لقد طلب مني أن أنضم للكورال لكن كان عليّ أن أرفض لأنني الآن أعمل، ولا يمكنني أن أرنم في الكورال ٣ أمسيات في الأسبوع وفي نفس الوقت أستذكر دروسي“.

أوماً رئيس الحسابات برأسه وإستمر يومئ - من الواضح أنه يفكر بعمق - ثم قال: « دافيد، اسمح لي أن أسألك“ قال ذلك وهو يشبك أصابع يديه معاً، متطلعاً إليّ « إن وجدنا طريقة ما من خلالها أمكن ان تاخذ هبة أو منحة دراسية بها تسدد مصروفات هذا الفصل الدراسي ، هل تترك الأعمال التي تعملها الآن و تنضم لجوقة الترنيم؟“ فسألته

في النهاية قائلاً “ هل تقصد أني لا أعمل وأرنب في الجوقة“. أجابني: « تماما ، أسألتك أبلغوني أنك طالب ممتاز. إن استمرت درجاتك مرتفعة أعتقد أننا من المحتمل أن نقدم لك بعض المنح المجانية للفصل الدراسي الثاني“ .

أردت أن أغمر الرجل بالقبلات. كنت أشعر أنني أطيّر من الفرح وأنا أخرج من الباب وأدركت أنني بالفعل قد ظلمت الرب بظنوني.

تذكرت وعداً تعلمته منذ طفولتي. ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قُلُوبِكَ ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ .

فِي كُلِّ طَرَفِكَ اعْرِفْهُ ، وَهُوَ يَقُومُ سُبُلَكَ . ﴾ ( أم ٣ : ٥ ، ٦ )

طلبت من الرب في تلك الليلة أن يغفر لي لأن لم أكن متوكلاً عليه تماماً



# الفصل الرابع المدرسة الطبية

بعد موت والديّ وضعت في قلبي أنه بالرغم من عدم إستطاعتي أن أحلم بالعمل بجانبهما بعد لكن في إستطاعتي أن أقتفي أثرهما. الحياة قد فرضت نوعاً جديداً من الضرورة الملحة، فقررت أن ألتحق بمدرسة صيفية لكي أخرج من كلية جنيفا بعد ثلاثة سنوات بدلا من أربعة . واستمر الرب في تدبير الإحتياجات المادية ،بمزيج من العطايا، والمنح المجانية، وتقدمات خدمة الكلمة خصوصا من أعضاء كنيسة رابطة بيفار فولز. إن تحدي الالتحاق بالمدرسة الطبية كان قد بدا وكأنه حلم بعيد المنال. يملأ المشهد الكثير من الجامعيين وحديثي التخرج الذين قاموا بالمحاولة ولكنهم رُفِضوا.

علاوة على أنه توجد مشكلة دائمة الوجود وهي الإمكانيات المالية. لقد دبرالله احتياجي إكراماً، ومكافأة للإيمان الذي كان لدى أُمي. الآن هي ليست هنا، ألا يفعل ذات الأمر تجاوباً مع إيماني.

أقر بأني كنت أمتلىء بالشك، قمت بهراسلة ستة مدارس طبية، كلهم في بنسلفانيا. المدرسة التي كنت أرغب في الالتحاق بها هي جامعة بيتسبيرج الطبية. كانت تعتبر أكثرهم صعوبة في الالتحاق بها. بدأت أملأ استمارات التقديم. كان السؤال الأكثر شيوعاً بينهم جميعاً هو : لماذا تريد أن تكون طبيباً؟ ويريدون الإجابة في مقال تفصيلي ومطبوع. مفضلين أن يراعى الصدق الكامل.

لقد كنت متحيراً جداً بشأن هذا السؤال ليس لكوني لا أعرف الإجابة؛ لكن لأنني لم أكن متأكداً أن الحق الذي سأذكره سيكون مقبولاً. إن كتبت أنني أريد أن أكون طبيباً لأنني أشعر أن الله قد دعاني لأكون مرسلًا في المجال الطبي، بدون شك سوف يضحكون عليّ ويلقون بنموذج التقديم في سلة المهملات.

كلما كنت أصلي بشأن ما أفعله كنت أذكر قصة جدعون واختبارجزة الصوف. وشعرت بمصادقة الله وفق خطة ارتسمت في ذهني. سوف أقسم نماذج التقديم الستة الى مجموعتين .

في المجموعة الاولى سوف أكتب الحقيقة، لكن بشكل جزئي .سوف أقول أنني أرغب أن أكون طبيباً لأنني أحب فكرة مساعدة المرضى ورؤيتهم يتمثلون للشفاء. وفي المجموعة الأخرى سوف أكتب نفس الكلام لكن سأذكر أيضاً أمر دعوة الله لي .

السؤال الآن هو في أي مجموعة سوف أضع نموذج التقديم لجامعة بيتسبرج ؟ بعد صلوات كثيرة وفحص للنفس ، استقر رأيي أن أضع النموذج الذي ذكرت فيه الحقيقة كاملة .

سلمت الأمر بين يدي الرب وأرسلت الإستمارات بالبريد .الآن كل ما عليّ ان افعله؛ هو ان أنتظر رداً او تحديد موعد مقابلة شخصية؛ سواء من بعض الجامعات أو من كلها.

لم اتلقَ رداً على الاطلاق من الجامعات التي ذكرت في نموذج التقديم لها جزء من الحقيقة بينما تلقيت رداً من اثنتين من مجموع ثلاث من الجامعات الاخرى التي ذكرت في نموذجها أي اريد ان اكون طبيباً مرسلًا وطلبوا تحديد موعد للمقابلة . أحدهما من جامعة بيتسبرج.

كان عليّ أن أكتب لمستشفى الأطفال في بيتسبرج من أجل ترتيب مقابلة مع دكتور/ و . ب. كيزويتز.رئيس قسم جراحة الأطفال. في اليوم المحدد اتجهت من بيفار فولز إلى بيتسبرج. راودني إحساس بالقلق كلما إقترب موعد اللقاء. كان من الصعوبة أن أجد موقفاً للسيارة.

عندما وجدت مكتب د. كيزويتز طلبت مني السكرتيرة أن أسلمها الملف وأنتظر في الخارج.

بعد عشرة دقائق أشار د.كيزويتز لكي أدخل إليه.

د. كيزويتز له منظر مميز. فهو ذو شعر أبيض. ونظارة قراءة متدلية على طرف أنفه . التفت ونظر لي من طرف النظارة وصافحني . ابتسامته ودودة لكن رسمية.طلب مني أن أجلس. قال لي: « لقد فحصت إستمارتك جيداً يا دافيد ووجدت أنها إلى حد ما ... آه ... فريدة ، قل لي ماذا تقصد بالعبارة التي كتبتها أن الله قد دعاك كي تكون طبيباً ؟

بلعت ريقى بصعوبة، وقلت له عن الرجل الذي شاهده يموت عندما كان عمري ١٤ سنة آنذاك في كمبوديا، وكيف شعرت أن الله قد سمح أن أرى هذا المشهد لكي يدعوني إلى العمل المرسلي من خلال الخدمة الطبية. « قال لي « كيف إذا عرفت أنه الله؟ » قلت : «حسناً ، تكلم الله إلى قلبي» ويبدو أن إجابتي لم تستهوه. وقد كان هذا مؤكداً

من شكل حواجه المرفوعة . سألني: « كيف؟ هل سمعت صوته؟ » , فقلت له: “لا... لقد تكلم لي في... آه .. في قلبي... فعرفت أنه أرادني أن أفعل ذلك” مع أننا كنا في شهر مارس والطقس بارداً لكن العرق كان يتصبب على ضلوع صدري تحت قميصي الأبيض.أوماً لي بنوع من الريبة ثم عاد لينظر إلى إستمارتي.

قال : « إن أصبحت طبيباً إذا، سوف تذهب لتعظ الناس؟“  
قلت « حسناً ، سوف أشهد لهم عن إيماني بيسوع المسيح إن استطعت ذلك » ولكي أغير جو اليأس الذي كان يسود المقابلة أضفت موضحاً : « لكنني لن أفعل ذلك إن لم يرغبوا الاستماع في هذا الأمر » , ثم سألني دكتور كيزويتز وهو يسند ظهره كاملاً على كرسيه : “ ماذا تعتقد بشأن يسوع المسيح؟ .

قلت : « كان إنساناً صالحاً قد أسيء فهمه و مات مصلوباً من ألفي عام ، أؤمن أنه ابن الله الذي جاء إلى الأرض لكي يموت من أجل خطايا العالم ، وبعد أن مات فوق الصليب، قام ثانية من الموت“ خرجت الكلمات من فمي بسرعة كما لو كنت أتلو شيئاً قد حفظته في مدرسة الأحد.

لم يكن د. كيزويتز يتتبع كل شيء. “ أجب : أرى أن أبويك مرسلان في فيتنام، هل تنوي الإنضمام إليهما؟ ” . لقد تعرض لموضوع وددت أن أتجنبه لكن لم يكن هناك بدّ سوى أن أجيب. قلت “إن أبوي كانا مرسلين في فيتنام لكنهما ليسا هناك الآن“ سألني: أين هم الآن. قلت : “ في السماء ” . نظر إليّ نظرة دقيقة وقال: “ آسف أن أسمع ذلك هل كان لهما علاقة بالحرب؟ “ قلت : لقد قتلا العام الماضي بواسطة جنود الفيتناميين الشماليين في هجوم التيت.

هزته إجابتي فقال “ أنا آسف يا دافيد ، أظن أنني قرأت بخصوص هذا الموضوع في الأوراق ، هل لديك مانع أن نتكلم في هذا الموضوع؟ قلت وأنا أتساءل في نفسي عن رد فعله : «ليس لديّ مانع “

قال لي : ما هو شعورك تجاه هذا الأمر؟ بتردد وعلى مضض وأنا أحاول أن لا أبذو مضطرب الذهن، شرحت له كيف تعلمت أن أتكلم على الرب، كيف آمنت أن الله له قصد من موت أبوي لا أفهمه الآن لكنه حتماً سيؤول للخير.

سألني دكتور كيزويتز أسئلة أخرى كثيرة ، ثم سألني أخيراً لماذا أؤمن بالكتاب المقدس ؟

أسئلته لم تكن بأسلوب فظ لكنها كانت تكشفني كمسيحي أصولي، يؤمن بالفعل بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله المعصومة من الخطأ، وأن الله لم يزل يتكلم للناس، والذين يرفضون المسيح سوف يذهبون لجحيم حقيقي، مؤمناً أيضاً أن المؤمنين عليهم مسؤولية أن يخبروا العالم عن المسيح، وأن يسوع المسيح سيأتي مرة ثانية على السحاب» .

لم يبد ولا مرة واحدة أنه يتفق معي أو يصادق على ما قلته. استغرقت المواجهة حوالي ساعة كاملة، وكل ما أردت فعله هو الهروب من المكان. خلع دكتور كيزويت نظارته، وأسند ظهره على الكرسي. ارتسمت ابتسامة رقيقة على طرفي شفتيه، و تطلع مباشرة إليّ وقال: “ لم أكن صادقاً بالتمام معك» وقال أخيراً بهدوء و قد لاحظت نظرة مختلفة في عينيه. مواصلا كلامه، والابتسامة لم تزل على وجهه: “ أريد أن تعلم يا دافيد أنني أيضاً مسيحي” ضحك بصوت مرتفع وهو يرى علامات الاندهاش والارتياح على وجهي. ثم قال: “دافيد أريد أن أمتدحك على شجاعتك اليوم. أتمنى لو كانت لديّ هذه الشجاعة أن أشهد عن إيماني بالمسيح بكل مجاهرة، عندما كنت في ذات الموقف مكانك من سنوات عديدة مضت” .

لم أكن أعلم كيف أجيبه. لذلك اكتفيت بالإنصات وأنا أقبض على زراعي الكرسي الذي أجلس عليه. واصل قوله : “ أنا أريدك في المدرسة الطبية، وأريد أن تعلم أنني مستعد أن أعمل أي شيء في استطاعتي أن أفعله لكي تكون مقبولا”

قمت وشكرته في ذهول وصافحته و أسرع نحو سيارتي. تعجبت أنه من وسط مئات الأساتذة في جامعة بيتسبرج، يقع الاختيار على أستاذ مؤمن ليُجري معي المواجهة ! بعدها بسنوات عديدة أخبرني دكتور كيزويت: أن عميد المدرسة الطبية قد طلبه قبل ميعاد المواجهة بأسبوعين. كان العميد يعلم ان دكتور كيزويت مسيحياً حقيقياً وله نشاط في الجمعية المسيحية الطبية وقال له : “ يا بيل لدينا إستمارة تقديم ، لالتحاق بالمدرسة الطبية هنا، وهذا الطالب عبارة عن شعلة من نار، ورأيت أنه من الأفضل أن أرسله إليك، سترى بنفسك عندما يصلك الملف الخاص به“.

في هذا العام كان عدد المتقدمين للمدرسة ٢٢٠٠ لشغل ١٠٠ مكان فقط في العام الدراسي الأول لمدرسة الطب.

بعد أسبوعين من إجراء المقابلة، تلقيت إخطاراً من الجامعة بأني قد قبلت في فصل المبتدئين ابتداء من سبتمبر ١٩٦٩. إنه حلم قد تحقق، - أن أكون مقبولاً في المدرسة التي اخترتها - لكن لم تزل المشكلة أنه لم يكن معي مالاً. بعد مرور أسبوع طلبني دكتور كيزويتير على التليفون ودعاني لتناول العشاء معه هو وزوجته في مساء يوم الجمعة التالي.

بعد العشاء كنا سنذهب إلى مباراة هوكي. قبلت الدعوة على الفور وأخذت العنوان. عندما وصلت للمكان، إنبهرت بالبيت ذو الثلاثة طوابق الواسع والجميل. ضربت على جرس الباب. فتح دكتور كيزويتير الباب ورحب بي وسمح لي بالدخول. لم أدخل في حياتي منزلاً به سجاد من قطيفة، و أثاث جميل، عرّفني بزوجته، وفي الحال شعرت أنني قد وجدت صديقاً جديداً.

حيث أن العشاء كان معداً، أخذتنا مباشرة إلى غرفة الطعام.

منظر مائدة الطعام المرتبة بشكل دقيق أثار فيّ موجة من الرعب الداخلي. كان هناك شوكتان وسكينتان وكوبان ومجموعتان من الأطباق في مكان كل واحد. كيف يعرف الواحد أي شيء نستخدم أولاً؟ بعد جلوسي. كادت الكرافتة تُغمس في طبق الشوربة.

التفتت زوجة دكتور كيزويتير إليّ و سألتني إن كنت أريد بعض النبيذ الأبيض مع الطعام. شعرت أن وجهي قد أحمر. قلت نعم، كنت أود أن أشربه لو كان خالياً من الكحول لكنني إستحييت أن أرفض لئلا يعتقدوا أنني أقول لهم “ أنا أكثر قداسة منكم “ شعرت مسز كيزويتير بالأزمة التي عندي فسألتني “ هل أنت معتاد أن تشرب نبيذ مع وجباتك؟ أعرف أن ليس الكل يفعلون ذلك “ بكل امتنان أجبت بالسلب. في ذلك الوقت أخذ دكتور كيزويتير ملعقة للشوربة. علمت آنذاك أي واحدة سأستخدم. مر العشاء بكل سلاسة وبدأت أستمتع بوقتي.

بعد العشاء إنطلقنا لمشاهدة مباراة الهوكي. لم أشاهد هوكي الجليد في حياتي من قبل. وكان لعائلة كيزويتير تذاكر موسمية لمقاعد في الصف الثاني لمركز الجليد. بالرغم أنه قد بدا لي أن اللعبة عنيفة إلى حد ما، لكنني كنت منبهراً بمهارة اللاعبين وسرعتهم. بعد المباراة عدنا إلى منزل عائلة كيزويتير لتناول الأيس كريم والقهوة ثم التفت دكتور كيزويتير إليّ

وقال:“ دافيد، السبب الذي جعلني أطلب منك أن تأتي هذا المساء؛ هو أن أجعل مسز كيزويتز تلتقي بك“.

صمت برهة ثم نظر لزوجته كأنه يريد أن يؤكد شيئاً . ثم قال “ الآن بعد أن أتيحت لها الفرصة أن تتعرف عليك ، نود أن ندعوك أن تقيم معنا في الوقت الذي ستذهب فيه لمدرسة الطب“.

للوهلة الأولى ظننت أنني لم أفهم ما قاله .لكن بعد أن استعدت ما سمعته في ذاكرتي أدركت أنه قد قال ذلك بالفعل. هؤلاء الناس بالكاد يعرفونني ورغم ذلك يعرضون عليّ أن أعيش معهم في منزلهم. للحظات أصيب تفكيري بشلل، ولم أكن أعرف ما أقول. فقلت أخيراً “ أظن أن هذا سيكون رائعاً ، إنها مفاجأة شديدة لي، ولا أعرف ماذا أقول“. أجابت مسز كيزويتز “ بالطبع نحن نريدك أن تتناول الطعام معنا عندما نكون في البيت “ ونحن نتوقع أن تساعدنا في الساحة التي حول المنزل. فوجودك معنا في البيت سيساعدنا نحن أيضاً “ . أضاف دكتور كيزويتز كما بدا أنني احتاج من يقنعني : “ نحن نسافر أحياناً لكن في هذه الحالة لن يكون البيت خالياً “

حاولت أن أتخيل كيف سأعيش في بيت جميل كهذا. أجبت مؤكداً:“ يسرني أن أقوم بالعمل في الساحة وأي عمل آخر تريدون أن تكلفونني به“.

في غضون ساعات قليلة حُسمت مشكلة الطعام والإقامة.رُمت وحمدت الرب من أعماق قلبي وملء رثتي. وأنا في طريقي لبرغوثنى الفولكس فاجن عائداً إلى بيفار فولز .

وبدأت تدريجياً إشراقة نور تلقي بضياؤها عليّ وأنا أشهد جود الرب، وهو يدبر جميع احتياجاتي؛ والتي تشمل أيضاً آلاف الدولارات المطلوبة لرسوم الدراسة و الكتب. بعد أسبوعين من هذه المساء الذي لا ينسى، إتصل بي دكتور كيزويتز مرة أخرى. كان يعرف مجموعة اسمها “ الجمعية المسيحية للعمل الطبي المرسلي ببنسلفانيا “

تقدم المنظمة منح مشروطة لطلبة الطب الذين يقصدون العمل المرسلي. تكون للطالب المنحة مجانية إن خدم بعد التخرج في دولة أخرى لمدة عشرة سنوات على الأقل. دكتور كيزويتز أوضح أنه اتصل برئيسة الجمعية وطلب منها أن ترسل له نموذج طلب تقديم للحصول على المنحة.

ملأت النموذج وأرسلته لدكتور كيزويتز الذي أرفق معه خطاب توصية قوي ثم أرسلهما إلى الجمعية .

بعد شهر عندما قرأت خطاب الرد، بدأت يدي ترتعش. جمعية بنسلفانيا للعمل الطبي المرسلي أعلنت موافقتها على سداد مصروفات الدراسة والكتب على مدى الأربع سنوات التالية. لقد دبر الرب بسخاء من خلالهم ومن خلال آخرين كل المصروفات المطلوبة للدراسة.

تخرجت من كلية الطب عام ١٩٧٣ بدون أي مديونية علي. في يوم التخرج بينما كنت أتقدم مرتقياً المنصة لأستلم شهادة الدبلوما تمنيت لو كان والدی هناك ليفرحا معي . لكن حتى وأنا أفكر في هذا الأمر كنت أعلم أنهما قد أعطياي كل شيء أحتهاجه كي أتبع آثار خطواتهما خصوصاً كونهما قد تركا لي نموذجاً لحياة الإيمان والثقة في الرب.



# الفصل الخامس

## عائلة ميتشل

أحتفظ بصورة تظهر أنى كنت موجوداً في أول عيد ميلاد للابنة الكبرى لميتشل، عندما كان عمري سنة وشهرين. بالطبع ، أنا شخصياً لا أتذكر أي شيء عن هذه الزيارة، لكنني أذكر أنى قد التقيت بآرشي، وبيتي ميتشل عام ١٩٥٤ عندما وصلت إلى مدرسة دالات لأبناء المرسلين في فيتنام، وأنا في غضون السادسة من عمري.

كانت مسز ميتشل الأم التي ترعاني في مسكن الإقامة الداخلية بالمدرسة. كانت صارمة وعادلة، لكن كانت رائعة قبل أي شيء. يبدو أنها كانت على دراية كبيرة بما يدور في قلوب، وأذهان الأطفال كما كانت أفضل من يروي قصصاً للأطفال يعيشون وحدهم . كانت تعرف كيف تنظف جيداً أفذر طفل؛ حتى لو كان الطفل رقم ١٥ في طابور الأطفال عند الحمامات.

مسترميتشل كان الأب المسئول عني في مساكن الإقامة الداخلية للمدرسة. ربما أكثر روعة من مسز ميتشل . كان طويل القامة جداً، وكانت لديه ندبة عند ذقنه.

بعد عدة سنوات ، علمت أنه الوحيد الذي نجا من تفجير قنبلة منطادية حارقة؛ ألقته اليابان على الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية؛ لإشعال النار في الغابات. في ذلك الوقت كان مسترميتشل قساً شاباً بولاية أوريجون .في أحد الأيام أخذ هو وزوجته مجموعة من أطفال مدرسة الأحد لرحلة خلوية في الغابات. حينما كان يفرغ حمولة السيارة اكتشف الأطفال القنبلة قبل إنفجارها، فصرخ آرشي محذراً لكن بعد فوات الأوان . فصلت بين آرشي وبين الإنفجار شجرة أنقذت حياته.أما زوجته وجميع الأطفال فقد قُتلوا في هذا الإنفجار. لقد كانوا الضحايا المدنيون الوحيدون في الولايات المتحدة لهذا الحدث العدائي الأثم أثناء الحرب العالمية الثانية.

كان لمسز ميتشل يدين قويتين، لكن ناعمة وحنونة، وهي تنظف الأطفال في أحواض الحمامات. من الوقت الذي أتيت فيه للمدرسة، إلى أن صار عمري عشرة سنوات. عشت مع عائلة ميتشل في مساكن المدرسة ثمانية أشهر من كل عام. لقد عملوا على خلق جو من الألفة والإستقرار ، جعلنا نحب المكان . معيشتي معهم تشبه العيش مع عمي المفضل، أو عمتي المقربة.

سبق وذكرت ابنة ميتشل الكبرى، ريبكا(بيكي). كانت لديها قدرات خاصة، ولخزي كل الصبيان، كانت هي الأسرع في جريها والأعلى في قفزها، تلعب كرة السلة، وأنواع أخرى من الألعاب الرياضية مثلنا، وأكثر. يبدو أنها تجد لذة خاصة، وهي تثبت لنا أنها أمهر منا ، وأكفاً من كل الأولاد الصبيان في كل مجال. وكونها من عائلة ميتشيل جعل الأمر أكثر صعوبة ، استغلت هذه النقطة لتظهر لنا أنه إذا لمسها أحد منا سوف يسحقه أبوها مثلما «يدهس أحد حشرة». من الواضح لنا تماماً بالطبيعة أننا لم نكن نستلطفها، أو نميل إليها. كان لميتشل ثلاثة أطفال آخر، أعتقد أنهم جميعا ألطف من بيكي. عندما كان عمري ١١ سنة عادت عائلة ميتشل إلى الولايات المتحدة، وبعد مرور سنة من إجازة زيارة الوطن ،حاولوا العودة إلى جنوب فيتنام، لكن الحكومة رفضت أن تمنحهم تأشيرات الدخول حتى السنة التالية وعندما تمكنوا أخيراً من العودة، كلفتهم الإرسالية بالعمل في مدينة بانغيثوت في المرتفعات الوسطى

وبما أنني قد نضجت بدنياً، ورياضياً، لم تكن آنذاك تشكل بيكي تهديداً لي إذ كنت معتداً بذاتي. بالطبيعة أحببت أن أجذب إنتباه البنات، وأبذل ما في وسعي لأنال إعجابهن. لكن لم تكن بيكي يُثار إعجابها؛ لذا تجاهلتها تماماً إلى أن جاء اليوم الذي فيه أُختطف والدها بواسطة الفيت كونج (قوات جبهة تحرير جنوب فيتنام).

كان مستر ميتشل مدير مستشفى مرضى الجذام التي تبعد حوالي ١٥ ميلاً (٩,٢ كم تقريبا) من بانغيثوت. وكان من ضمن فريق العاملين طبيبٌ مرسلٌ، هو دكتور آرديل فيتني، وعدد آخر من العاملين منهم دان جيرير وهو أخصائي في الزراعة.

وصل أطفال ميتشيل لتوهم من عطلة وكان ذلك مع بداية الإنذارات بالإضطراب القادم. كانت هناك ثلاثة جسور تؤدي إلى مصحة الجذام وقد تم حرقها بواسطة الفيت كونج مع تهديدات شديدة بعدم إعادة إصلاح هذه الجسور. كان المرسلون متأكدين من أن الفيتناميين لا يستهدفونهم هم شخصياً؛ فاستمروا في العمل بمصحة الجذام. كان عليهم أن يعبروا من خلال الجداول المائية عندما يتحتم عليهم أن يقودوا سياراتهم إلى بانغيثوت.

وفي مساء ٣١ مايو ١٩٦٢ قام الفيت كونج بتوجيه ضربة ثانية. بينما كانت مسز ميتشيل والأطفال يراقبون المشهد في دعر، ربط الفيت كونج مستر ميتشيل من يديه وراء ظهره، وساقوه سيراً على الأقدام إلى الغابة مع دكتور فيتني ودان جيرير. لم يرهם أحد، ولا سمع

عنهم خبراً من ذلك الحين. أخبار اختطاف مستر ميتشيل صدمتنا جميعاً ، إن ما حدث لمسترميتشيل من الممكن أن يحدث مع والد أي واحد منا. عندما عدنا - أطفال المرسلين- إلى المدرسة بعد ذلك بشهر رأينا أطفال مستر ميتشيل؛ و قد انتابنا إحساس بالذهول. لم يتكلموا كثيراً عن أبيهم . لم نرهم أبداً ييكون، رغم أنني متأكد أنهم قد بكوا كثيراً. عادت حياتهم الطبيعية كما كانت من قبل ما عدا أنهم الآن يتشاركون في حزن واحد قد ربطهم بشدة بعضهم مع بعض.

أذكر أنني قد تساءلت كيف كانوا يحتملون هذه التجربة يوماً وراء يوم، وهم لا يعلمون في أي مكان من المحتمل أن يكون ذهب والدهم؟ أو ما هو نوع المعاناة والألم الذي تعرض له ؟ لم أتجاسر أن أسأل. ماذا لو كان هذا الأمر قد حدث مع أبي ؟ هل يا ترى هو محتجز في قفص من خيزران البامبو ؟ هل يساق كل يوم وسط أدغال الغابة؟ هل هو مقيد في كهف تحت الأرض؟ كل هذه الخواطر جعلتني مهتزاً ومرتاعاً.كيف يحتملون هذا الخطب؟ إنه سرٌ كبيرٌ لم أدركه إلا بعدها بسنوات عديدة .

في سنة ١٩٦٥ تركت مدرسة دالات للمرة الأخيرة . لم أذكر إن كنت قد ودعت عائلة ميتشل. بدا لي - بطريقة يصعب وصفها- أن هذه التجربة قد حفرت جرحاً عميقاً فينا جميعاً.بعد هذه الأحداث بستة سنوات عندما مات والدی في ذات المدينة باميثوث، تعلمت أنه لا يوجد معلم في مدرسة الحياة أفضل من أحزان الأتقياء.

أثناء سنوات كلية جنيف؛ كنت أبحث بدقة عن الفتاة الصحيحة التي تصلح ان تكون زوجة. كنت واثقاً أنني سأجدها أثناء فترة الكلية حيث أنني لا أميل لحياة العزوبية. بدا لي هذا وكأنه تحدٍ أكبر مما تصورت.

كنت لم أزل أحاول فهم النظام الأمريكي في تناول هذا الأمر. في أغلب الأحيان أجدي مرتبكاً طبيعة تركيبة الحياة الإجتماعية في مدرسة دالات قد صُممت لتحبط أي فرصة عند الأطفال - الذين كانوا يقضون اليوم معاً منذ طلوع الشمس حتى غيابها- عن أن تكون لهم أي ميول رومانسية.مع كوني بارعاً في التعامل مع النظام الإجتماعي بمدرسة دالات؛ لم أنجح في ذلك مطلقاً في الولايات المتحدة .

أثناء السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية بأمريكا بعد تجارب مذلة عديدة للتواعد مع فتاة، قررت أن لا أكرر التجربة لكن هرمونات المراهقة قد فرضت وجودها، فغلب شغفي بالبنات كل كبرياء في داخلي. مع حلول وقت تخرجي من المدرسة الثانوية كنت قد واعدت معظم الفتيات من اجتماع شبيبة الكنيسة. أغلب الظن أنهم كنّ يستلطفونني، لكن يعتبرونني غريباً إلى حد ما.

مع أن أمر تكوين علاقة مع الجنس الآخر أثناء الكلية قد أصبح موضوعاً جدياً حيث أن طبيعة المرحلة مناسبة للتأهل للزواج لكن أُمي قد حذرتني أن أكون حريصاً، و نصحتني أن أطلب الرب ليساعدني أن أجِد الفتاة المناسبة.

قررت أن تكون علاقتي بفتيات مؤمنات . كنت واثقاً أنني سوف أكتشف الفتاة الصحيحة حين أراها. في غضون شهر كنت دخلت في الموضوع مباشرة، ولم يدم طرح الأمر طويلاً . لم تكن سوى تجربة أولى في سلسلة من العلاقات العاطفية القصيرة الأجل التي تركت فيّ جرحاً، وفي البنات اللاتي تعلقت بهن. مشكلتي كانت تكمن في أنني لا أستمر في علاقة مع فتاة من غير المحتمل أن تؤول إلى ارتباط بالزواج. إذا بدأت علاقة مع فتاة معينة، ووجدتها تواعد شاباً آخر، أتركها على الفور. إنه أمر ثقيل بقدر ما تكتشف البنات كيف أنا جاد، كلما رغبوا في معرفة المزيد عني.

عندما يعلمن أنني أريد أن أكون طبيباً أجِد أن صداقتهن تصبح وطيدة أكثر. حين يكتشفن أنني قد عزمت أن أكون طبيباً مرسلأ تبرد مشاعرهن في الحال، وتنطفئ تدريجياً. لقد أصبحت إلى حد ما أشعر بوحدة بعد موت أبوي. شعرت أنني لا أنتمي لاحد. نعم ، لم يزل لي إخوة وأخوات وباستثناء أختي جودي، فقد كنا بعيدين عن بعضنا البعض بسبب كون بقية أخوتي في النصف الآخر من الأرض.

كنا نلتقي أنا وجودي كل بضعة أشهر. أدر كنا هذه الحقيقة أنه إن أردنا كعائلة أن نكون قريبين من بعض، فعلياً نحن أن نقوم بالمبادرة. المشكلة أن دال، ولوريل، وتوم، لم يزلوا في جنوب شرق آسيا. لكونهم مقيمين عند مرسل؛ وهو الـعم جورج و العمة هاريت إروين. وسوف يعودون للولايات المتحدة مع عائلة إروين في الميعاد المقرر لعطلة العودة للوطن بعد ٣ سنوات. لذلك قررنا أنا وجودي أن نذهب إلى فيتنام. لقد اشتقنا كثيراً أن نزور المكان الذي ماتا فيه أبوانا ، لكي نرى قبرهما. وكما هو معتاد لم يكن لدينا مال كافٍ.

كتبنا إلى قادة الرابطة في الكنيسة وطلبنا إليهم أن يساعدونا في أمر التذاكر. علمنا أن مؤمنين متعاطفين، قد تبرعوا بآلاف الدولارات لقادة رابطة الإرسالية لخدمة عائلات المرسلين الشهداء. وقد تم تخصيص هذا المال لمساعدة دال، ولوريل، وتوم ليلتحقوا بالجامعة. لم يشعر هؤلاء المسئولون أنه من المناسب أن يستخدموا هذه الأموال؛ ليدفعوا لنا ثمن تذاكر السفر و قالوا لنا إن كنا نريد أن نذهب إلى فيتنام، فعلينا أن ندبر ذلك بمعرفتنا.

وقد اصابنا هذا القرار بخيبة أمل مريرة. في الحقيقة استغرق الأمرعدة سنوات كي أغفر لهم. أدرك الآن أن الذين قرروا هذا الأمر كانوا يعتقدون أن هذا لمنفعتنا، لكن نتائجه تسببت في تمزيق عائلتنا، الأمر الذي كلفنا الكثير من الوقت، والجهد لكي نصلح عواقبه. أخي الصغير افترض أننا لا نبالي به .بعد فترة طويلة مداها ١٢ سنة، وبعد أن تم لم شمل العائلة مرة أخرى، أفصح لنا أخي عن صراعه النفسي، ومشاعر الغضب التي كانت تجاهنا بإعتقاده أننا لا نبالي به. لقد شُفيت الجروح الآن لكنني مازلت أحلم بأن أرى قبروالديّ.

بالعودة لموضوع التقدم لفتاة في كلية جنيفا.كانت هناك فتاة جذابة ، وعندما علمت بعزمي أن أقوم بعمل طبي في الحقل المرسلي، أبدت إعجابها بي. كنت مقتنعاً بأنها الفتاة التي اختارها الله لكي أرتبط بها.

بعد مرور ستة أشهر، أفصحت لي بأني لست الشخص المناسب لها. فانهارت الدنيا أمام عيني، ومن فرط ألمي إتجهت للرب ليملاً عواطفي ويكون بجانبني. مرة أخرى وجدت أنه بقدر ما يكون الجرح قاسياً أجد شفاء الرب وافيأً .ولأول مرة في حياتي بدأت أفكر بجدية في البتولية.

هذه الفكرة كانت تصارع فيّ من قبل، لكن الآن أشعر بشعورالملاكم بعد هزيمة ساحقة. كنت مهيباً أن أقبل الفكرة. كنت لم أزل أرجو في قلبي أن أجد فتاة أحلامي؛ لكن الآن كنت راغباً في أن أكف عن عمل أي شيء. إن كانت هناك واحدة مناسبة لي، فسوف يحضرها الرب لي. إن لم يكن فأنأ أستطيع أن أنتظر، ربما للأبد. بعد ذلك بشهرين اكتشفت بيكي ميتشيل!!

كنت أحضر المدرسة الصيفية، وقد قُبلت في كلية الطب بجامعة بيتسبرج، وكان الفصل الدراسي الأول في خريف ١٩٦٩. لأن أخي الأصغر دال كان عائداً من مدرسة دالات للولايات المتحدة ذهبت بالسيارة إلى نيويورك للقاءه. ونحن في بيت أختي نما إلى علمي أن واحد من زملاء الدراسة السابقين تزوج منذ ثلاثة أسابيع في ماليزيا.

لقد وُجهت الدعوة لنا جميعاً لكي نلتقى- زملاء دالات- معاً مرة من جديد. كان الاحتفال في منزل أحد المرسلين المتقاعدين. كعادة الحفلات في كل مكان وزمان، حيث يسود جو الألفة، وتجمع الأحباء. امتلأت الغرفة، وبعد أن ملأت طبقي بالبسكويت، و أخذت مشروباً؛ جلست في ركن أتحدث مع صديق قديم. بعد نصف ساعة ملحت فتاة سمراء جذابة جداً تجلس في الجانب الآخر من الغرفة. مع أنه من المفترض أن كل الحاضرين من مدرسة دالات عادوا ليلتقوا مرة أخرى؛ لكنني لم أعرف من هي هذه الفتاة؟ ملت على أختي وهمست لها قائلاً :

من هي تلك الفتاة صاحبة الشكل اللطيف؟ عندما قالت لي إنها بيكي ميتشل ضحكت بصوت مرتفع. عندما تطلعت جيداً للمرة الثانية تأكدت أنها بالفعل بيكي. ياله من فرق كبير قد حدث خلال الخمس سنوات الأخيرة. لاحظتُ أنني أنظر إليها. تحركتُ للجانب الآخر من الغرفة، وذكرتها بنفسي. لدهشتي أنها كانت ودودة معي، وتذكرتني جيداً. بينما كنا نتكلم معاً اكتشفت أنه رغم السنوات الطويلة التي قضيناها معاً في دالات، لكنني لم أكن أفهمها مطلقاً.

كان لديها من الذكاء، وحسن الآراء، و الجاذبية، ما جعلني أشعر بالدفع، والارتياح التام. نسيت وقتها الأيام التي كانت تنافسني فيها ، و تسابقني في الجري، والقفز، واللعب، وعندما حان وقت العودة للبيت قلت لهم ليلة سعيدة، وأنا أشعر بالندم.

عدت بالسيارة إلى بيتسبيرج مع أخي. كانت لديّ مشاعر مختلطة تتنازع في داخلي. على مدى الأسبوع كله كنت أصلي بخصوص بيكي ميتشل، طالباً من الرب أن يرشدني عما يجب عمله في الخطوة القادمة. مع نهاية الأسبوع علمت ما يجب عليّ فعله؛ وهو أن أسعى إليها!.

في عطلة نهاية الأسبوع التالي؛ قررت زيارة أختي مرة أخرى. يقيناً، كان أخي دال يحب

أن يرى أختي كثيراً ، فالأمر يبدو طبيعياً! . وبعد قيادة السيارة لمدة تسع ساعات وصلنا في الساعة الثانية صباحاً. في الثامنة صباح اليوم التالي اتصلت برقم تليفون بيكي. لدهشتي أنها وافقت أن نخرج معا في تلك الليلة. لقد كانت بداية هائلة لصداقة من نوع خاص، ورومانسية شديدة. كل منا قد فقد أبويه المرسلين. كلانا؛ أنا وبيكي نعرف مشاعر بعضنا البعض بشكل حدسي تقريباً . كلانا قد اخترت نوعاً من الصراع كي يفهم خطة الله له، واستسلم أخيراً متجاوباً مع تحريض الكتاب وتمسك بالملكتوب ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ. ﴾ ( أم ٣ : ٥ ، ٦ )

كلانا تعلم أن الاتكال المطلق على الرب لا يترك جرحاً في نفوسنا بدون شفاء. أخيراً كلانا قد اخترت نوعاً من الخسارة التي لا توصف؛ وهو فراق أحبائنا لكننا لم نشهد مطلقاً الدليل القاطع لموتهم. ما نعلمه يقيناً عن أبوي وأبيها أنهم اختفوا عنا. الفرق الوحيد هو أنني أعرف أن أبوي الآن في السماء، بينما هي لم تزل تجهل عما إن كان أبيها قد مات أم على قيد الحياة.

بينما كنا نشارك بعضنا بمشاعرنا كانت القوة المغناطيسية للألم المشترك قد جذبتنا جداً لبعض. كان الأمر يسيراً وكنت بكل سرور أقود السيارة لمدة ثمانية ساعات، وأدفع رسوم الطريق عند بوابة بنسلفانيا في عطلة نهاية كل أسبوع كي اذهب لرؤيتها. في سبتمبر افترقنا في إتجاهين متضادين؛ شرق وغرب أمريكا. هي عادت للتدريب على التمرريض في تاكوما واشنطن، وأنا بدأت الطب في بيتسبيرج.

أثناء إجازة الكريسماس كان لدي عطلة لمدة عشرة أيام، صديق لي أراد أن يذهب ليقضي الإجازة في كاليفورنيا، لذا قررنا أن نذهب بسيارته، ونقوم بالقيادة بالتبادل. وتكفلت أنا بأمر الطعام، وهما أن شطائر اللانشون كانت الأرخص فقد أعددت أربعين سندويتش. حالما انتهت المحاضرات انطلقنا، وكنا نتبادل القيادة كل ساعتين. بدلاً من أن نتوقف لكي نأكل، كنا نتناول سندويشات اللانشون التي أعددها. في البداية كان طعمها لذيذاً لكن في اليوم التالي لم نحتملها. وصلنا سكرمنتو، كاليفورنيا في غضون ٤٨ ساعة. قابلتني بيكي هناك بسيارة عمتها، وقدنا على الطريق الجليدي الجميل إلى شلالات كلاماث بأوريجون؛ لنقضي الإجازة عند عمتها.

خلال أسبوعين من أول لقاء في نيويورك كنت أعرف أنني أريد أن أتزوجها. كنت مغرماً



بها جداً وأظن أنها أحببني أيضاً. لكن هل يا ترى سوف توافق أن تتزوجني؟ يبدو أن الكلام في هذا الأمر الآن، قد يكون فيه شيء من العجلة. ماذا لو خذلتني؟ ماذا سأفعل وقتئذ؟ هذه الهواجس كانت مخيفة أكثر من الموت. لقد استقبلتني بيكي بترحاب حار في سكرمنتو فتشجعت.

بعد الكريسماس بيومين وقبل أن أغادر بيوم واحد تسلقنا تلاً يطل على شلالات كلاماث. رذاذ الثلج كان يتساقط ليغلف المدينة. كانت الأضواء من أسفل تتوهج متألثة. كنت في مفترق طريق فاصل في حياتي ففي مقدورهذه الفتاة أن تحطمني، أو تملأني بالسعادة الغامرة.

الصوت الوحيد الذي كان مسموعاً في تلك الليلة الصامتة هو صوت أنفاسنا فحبست أنفاسي وسألتها: «هل تتزوجيني؟». توقعت أنها تحبس أنفاسها هي الأخرى من الدهشة أو الصدمة. بكل تأكيد، من حقها أن تأخذ وقتاً في التفكير في الأمر لساعة أو أكثر، ربما تقول دعني أصلي هذا الأسبوع، عندما أجابت: نعم، كدت أصاب بالإغماء. سألتها هل هذا أكيد؟ أقصد هل حقاً كذلك؟ لم أكن أصدق أنني سمعت جيداً. كانت تضحك عليّ. بالطبع هي متأكدة، كانت متأكدة من ذلك منذ الليلة التي التقينا فيها في لقاء دالات. في تلك الليلة ذهبت للمنزل وكتبت لأمها خطاباً تقول أنها قد التقت بالشاب الذي ستزوجه. كانت تنتظري كل هذا الوقت.

بعد عدة تجارب مخيبة لأمني كنت خائفاً أن أؤمن بأن الرب يمكن أن يكون صالحاً لي. بعد أن مضت عدة أشهر، أكدت المراسلات والمكالمات التليفونية أن حبها لي حباً حقيقياً، بدأت أرى بوضوح الجانب الذي قد نسيت في إلهي وهو إحسانه. رأيته في أعمال عنايته وجود بالإحسان وسط غيوم معضلات كثيفة الظلام سمعته يطلب طاعة وإيمان. الآن فإن كثرة صلاحه، ومراحمه قد أظهرت مثل زهور يانعة قد تفتحت.

وقد دبر جميع احتياجاتي المادية بصورة معجزة. لقد فتح أبواباً مغلقة، وأزال حواجز منيعة عالية للدخول في كلية الطب، وأعطاني الوعد المشرق من جديد بأنني أنتمي لأحد. وفي يوم ٢٦ يونية ١٩٧١ تزوجنا أنا وبيكي.



# الفصل السادس

## الباب المفتوح

نشأتنا - أنا وبيكي - في شرق آسيا بدت لنا أنها إعداد ممتاز من الرب لنا للعمل هناك. كنا على دراية بالخريطة الجغرافية لتلك المدن، سايجون، وبانكوك، وهونج كونج، وبنوم بنه، وسنغافورة، وكولا لامبور، وبينانج وعلى علم بالثقافات الآسيوية، ونوعية تفكير الشعوب ودياناتهم هناك، لذلك كان من الطبيعي أن نفترض أنه سينتهي الأمر بنا أن نعود ونخدم الله في آسيا.

كنت متعجلاً، كان لديّ خوف دفين من أن الرب يسوع يأتي ثانية دون أن أكون قد عملت شيئاً هاماً من أجله. لقد كنت أفكر هكذا حتى أدركنا أنا وبيكي؛ وأنا في السنة الثالثة لكلية الطب بعد أن تزوجنا، أنه إذا جاء الرب فجأة فسوف يسألنا لماذا انتظرنا حتى نعبر لدولة أخرى كي نخدمه.

لذلك بدأنا نشاطاً في كنيستنا المحلية، وساعدت في إعادة تفعيل الجمعية الطبية المسيحية في كلية طب جامعة بيتسبرج. عندما وصلت السنة الرابعة بكلية الطب علمت ما هو المجال الذي أحبه وهو الجراحة. لكنني لم أكن أحب فكرة قضاء خمسة سنوات دراسية أخرى كي أصير جراحاً. علاوة على أنني لم أكن متأكداً أنه سيكون من المفيد أن أكون متخصصاً جداً في دولة من دول العالم الثالث.

تخرجت من كلية الطب في مايو ١٩٧٣. في شهر يونية بدأت زمالتي التدريبية في مستشفى الرحمة في سان دييجو.

أثناء السنة الأخيرة في بنسلفانيا قدمنا طلباً للانضمام للرابطة المسيحية المرسلية. وأعربنا عن رغبتنا أن نذهب للخدمة في الحقل بعد السنة الثانية لي من تدريب الجراحة. وهذا ليس فقط بسبب رغبتني في أن أبدأ عملاً مرسلية حقيقياً في دولة أخرى؛ لكن بالأكثر خوفاً من أن أبقى في الولايات المتحدة لفترة أطول، وأنجذب للعمل فيها بدرجة يصعب عليّ أن أقاوم جاذبيتها.

لقد قابلت عديداً من الأطباء المؤمنين الذين اعترفوا بأنهم في وقت ما كانوا يعزّمون على التوجه إلى الحقل المرسلية، لكنهم بسبب الإعاقات المادية، والمهنية، والالتزامات العائلية

لم تتحقق رغبتهم وأشواقهم. فوضعت في قلبي ألا أنضم إلى هذه الفئة .

بعد إجراء مقابلة بميعاد محدد مسبقاً، مع مسؤولي الإرسالية، وقع علينا الاختيار أن نذهب لفترة مداها أربعة سنوات لمستشفى أطفال قد شيدت في بنوم بنه، كمبوديا. على أن يكون وصولنا في يولية ١٩٧٥، في ذات وقت افتتاح المستشفى.

وأنا في سان ديجو دهمني شعور مبهم من عدم الرضا و بدأ يتسلل خلال حياتي. لم أستطع أن أضع إصبعي على المشكلة. كانت حياتنا الزوجية سعيدة ، كان رؤسائي وزملائي يمتدحونني، ويقدرّون دوري في العمل، وكنت أميناً مع الرب، و لي دور فعال في كنيسة المحلية. في كل مجال كنت أبدو نموذجاً مسيحياً صحيحاً.

والذين عرفوا أمر استشهاد والديّ ، كانوا يعاملونني كما لو كنت أنا الذي أُستشهدت. عندما مكثت حماقي ، بيتي ميتشل في سان ديجو أثناء “إجازة زيارة الوطن” ، رأيت أنها عرفت الرب بصورة لم أعرفها أنا. كانت هناك قوة في حياتها تنقص حياتي. إنها القوة التي تضع الآخرين أولاً. القوة التي تجعل الشخص وديعاً وفي نفس الوقت شجاعاً. كانت حياتها المثال الذي قد بدد شعوري بالإستياء وعدم الرضا.

كان في داخلي جوع شديد أن أختبر العلاقة الحميمة مع الرب في حياتي، وهذا الجوع ازداد جداً في مساء يوم من أيام الأحاد. في نهاية الخدمة تقدمت للأمام في كنيسةنا الصغيرة. ركعت وبكيت على حالتي الروحية الباردة. كيف يصبح الواحد في علاقة حميمة أكثر مع الله؟ حتى أنني لم أكن أعلم ما الذي أطلبه من الرب. بينما كنت منتظراً هناك ، سمعت صوت الله متحدثاً إلى روحي. كان يطلب مني أن اجعله يسود ويتحكم ليس فقط على حياتي اليومية لكن على مستقبلي أيضاً .

هل من الممكن ان يستلمَ حياتي ويفعلَ بها كما يشاء؟ هل أنا على استعداد ان أفعل ما يطلبه مني في أي مكان؟ بالشروط التي يضعها هو لي ؟ هل أنا على استعداد ان أحتمل المشقات في طريق ذلك؟ أمور مبهمة؟ احتياجات ؟ مذلة؟ هل انا على استعداد ان أخدمه دون رجوع للوراء؟.

في تلك الليلة عندما كنت جاثياً على ركبتى على المذبح سلّمته حياتي كلها، حاضري ومستقبلي وقد أضفت هذا الشرط فقلت : “ يارب استلم حياتي، كلي بجملتي لكن لي طلبة واحدة ، فض فيّ واملاً الفراغ الرهيب الذي في داخلي. من فضلك، ليملك الروح القدس الكثير مني“. فشعرت وقتها أن صفقة قد عُقدت. عندما انقضى الأسبوع، علمت أن هناك شيئاً بالفعل قد تغير.

شعرت في تلك الليلة أن الفرح قد أُضرم في قلبي، وأن الرب قد شفى قلبي المنكسر. وعادت مباحج الربيع إلى قلبي، كنت أشعر بحرية وأنا أتكلم مع الأطباء المقيمين معي، والمرضى عن الرب يسوع المسيح. شعوري بالضجر، وعدم الرضا، قد أُستبدل بالرجاء، والعلاقة الحميمة مع الرب بصورة لم أختبرها من قبل.

كان لهذا الاختبار أثره الكبير على عملي، وخدمتي بعد ذلك. كان الرب يعمل شيئاً مثيراً في حياتي. أثناء الجزء الأخير من فترة الزمالة، اشترينا أنا وبيكي منزلاً في ضاحية صغيرة جديدة في شمال سان دييجو اسمها ميرا ميسا . وكان هناك ١٠٠٠ منزل جديد في نفس المنطقة، لكن لم توجد كنيسة واحدة في مدى العشرة أميال المحيطة. أسرة أخرى من كنيستنا أقامت هناك.

عندما تكلمنا معاً في يوم من الأيام، شعرنا بثقل مشترك أن نؤسس كنيسة في ميرا ميسا راعي كنيستنا ومديرنا شجعانا أن نستمر في هذا الأمر. مشاركتنا في تأسيس هذه الكنيسة كانت إحدى مغامرات الإيمان العظيمة؛ التي لم نختبر نظيرها.

في سنة ١٩٧٤ أعطانا الرب طفلتنا الأولى ، و بدا واضحاً لنا أن الرب بدد أحزاننا , وغمرنا بجوده وصلاحه، لذلك أعطينا الطفلة اسم “ فرح راحيل“. كانت حياتها اسماً على مسمى. حين قاربت السنة الثانية لتدريب زمالة الجراحة على الإنتهاء، بدأنا نستعد لكي نذهب إلى بنوم بنه بكمبوديا. مع أوائل سنة ١٩٧٥ كان الخمير الحمر الشيوعيون قد فرضوا سيطرتهم على معظم الدولة. تحت ظروف شبه مستحيلة انتهت هيئة الرؤية العالمية من تشييد مستشفى الأطفال. كل مستلزمات البناء قد طارت إلى مطار بنوم بنه . كان مستقبل المدينة مشكوكاً فيه. كبير الجراحين نصحني أن أبقى في مستشفى الرحمة Mercy Hospital حيث أعمل وفي شهر أبريل سقطت مدينة بنوم بنه في يد الخمير الحمر، ولم يمضِ وقت طويل حتى سقطت جنوب فيتنام أيضاً.

كان من الواضح أننا لن نخدم كمرسلين في أي وقت قريب؛ سواء في كمبوديا أو فيتنام. عدة أسابيع لاحقاً ، سألنا مجلس إدارة الإرسالية عما نريد أن نفعله. كان أمامنا ثلاثة خيارات. إما أن نعمل في عيادة طبية بـتايلاند أو نعمل بشراكة مع إرسالية أخرى في مستشفى في إريان جايا (باندونسيا)، أو عمل طبي في أفريقيا. كانت أفريقيا بالطبع خارج المناقشة لكن إريان جايا قد شددت قلوبنا. فإستقر الحال أن نملاً نماذج الإرسالية إلى إريان جايا حيث سنخدم بالشراكة مع آخرين. بعد كثير من الأسئلة، والأجوبة اتضح لنا أن هناك خلافات عقائدية ملحوظة؛ مع الإرسالية الأخرى. لذلك لم نستطع أن نخدم في ظل هذه الظروف. مرة أخرى قد أحببت خطتنا.

لم يكن لدينا أدنى شك أن الرب قد دعانا بصورة واضحة، وقد صنع معنا الكثير من المعجزات ليعدنا كي نخدمه، ويجمعنا معاً لكن الآن من المحتمل أنه لا يوجد أي باب مفتوح أمامنا؛ سوى أفريقيا. يقيناً لم تكن هي إرادة الله.





# الفصل السابع

## المركب البطيء لأفريقيا

بتحول الأمور هكذا ، لم نذهب أبداً لآسيا لأن الله قد أغلق كل باب. وفي سبتمبر ١٩٧٥ طرنا إلى باريس، ثم إلى البرت فيل بفرنسا حيث درسنا الفرنسية لمدة عام. ثم، قضينا أنا وبيكي ستة شهورندرس الطبّ الإستوائي في أنتويرب ببلجيكا. بحلول مارس ١٩٧٧ كنا قد توجهنا أخيراً إلى الحقل المرسلي المقرر لنا ، في الجابون غرب أفريقيا.

ربما أفضل إعداد لنا كي نعيش ونعمل في أفريقيا؛ هو أن ننتظر وقتاً طويلاً . وزملائي المرسلون يفهمون جيداً ما أعنيه. كلما طال انتظارنا، وكل إدراكنا لسبب الانتظار، كلما كان أفضل! على مدار الأشهر السابقة. والخطط المعدلة. كنا نتعلم كيف ننتظر. مع أن الدرس الأساسي من الانتظار، كان لم يزل ينتظرنا. قبل أن نترك أوروبا اشترينا سيارة لاند روفر من إنجلترا. اكتشفنا أنه إن رافقتنا السيارة أثناء الشحن، ستخفض التكلفة إلى النصف.

أبلغتنا شركة الشحن: بأن الرحلة من مرسيليا بفرنسا ، إلى ليبرفيل بالجابون سوف تستغرق حوالي أسبوعين. ما كانوا يقصدونه ولم نلتفت له؛ هو أن الرحلة تستغرق أربعة عشر يوماً إبحاراً. راقبنا سيارتنا وهي تشحن في شبكة من حبل سميكة إلى الطابق السفلي من مؤخرة السفينة . كانت الممرضة المرسلة كارولين ثورسون في صحبتنا أيضاً إلى الجابون في نفس الرحلة. عندما تحركت السفينة من المرسى، وشقت طريقها في البحر، دوختنا مشاعر الإثارة. يا لها من مفاجأة عندما وجدنا أنفسنا في جنوة بإيطاليا بعد يومين. رسينا في جنوة شرقاً عن وجهتنا التي نقصدها في طريق نحو الجنوب مباشرة .

بعد ٢٤ ساعة من الإنتظار، حيث كانوا يشحنون حمولة سيارات نقل ، أبحرنا غرباً. هذه المرة اتجهنا إلى فلنيسيا بإسبانيا. حيث انتظرنا ليومين آخرين حيث ضخ العمال كميات ضخمة من النبيذ الأحمر في خزانات معلقة ، مما غلّف السفينة كلها بالدخان. حماسنا تجاه الإبحار بدأ يفتت. كان قد مضى أسبوع لكي نخرج من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلنطي.

بينما كنا نبحر جنوباً على الساحل الغربي لقارة أفريقيا، نحو داكار بالسنگال، الطقس المدهش أنعش أرواحنا. سباع البحر كانت تهرح بجوار السفينة أثناء النهار، وغروباً ساحراً يخبو نوره تدريجياً يخلب القلب، والأفق، مثل بساط من قطيفة تتلألأ فيه النجوم في ليل السماء . بعد عشر أيام كنا قد وصلنا إلى داكار بالسنگال حيث وطأت أقدامنا قارة

أفريقيا، لأول مرة في حياتنا. بعد يومين في داكار، وضعنا المرساة مرة أخرى ومكثنا يومين على ساحل السيراليون، منتظرين لكي نأخذ طاقماً إضافياً .

حمولة النبيذ قد أفرغت بالكامل في الكامبيون، ربما ليس مصادفة أيضاً أننا نجد طاقم الملاحاة قد ملأوا الخزانات لآخرها حتى تفيض وتنسكب. في كل مرة يحدث ذلك نجد عمال الشحن يسرعون بجنون ليأخذون النبيذ الفائض المنسكب. كان حوالي نصف عمال الشحن سكارى ، يترنحون، وبعض سائقي ناقلات البضائع يكادون ان ينحرفو عن رصيف الميناء من جراء سكرهم .

كان قد مضى حوالي شهر منذ بداية الرحلة ، قرأت خلالها كل الكتب التي كانت معي، وقرأت بعضها مرتين . ومحاولة منا لنشغل الوقت في الأمسيات، كنا نتسلى بألعاب نستخدم فيها تذاكر السفر. كنا متضجرين، ومنهكين تماماً من حمى الحبس. لحسن الحظ أن المحطة التالية كانت ليبرفيل بالجابون، وهي المحطة الأخيرة. وصلنا إلى ميناء أويندو في ليبرفيل في وقت مبكر من مساء اليوم. في صباح اليوم التالي أخبرنا الكابتن أنه يوجد أمامنا عدد كبير جداً من السفن ينتظرون دورهم في تفريغ حمولتهم؛ لذا على سفينتنا أن تنتظر لمدة ثلاثة أسابيع حتى يحين دورنا. لقد روعني خبر الانتظار لمدة ثلاثة أسابيع أخرى على ظهر السفينة؛ فتوصلنا للكابتن لكي يسمح لنا بالخروج. أكد لنا أنه سيتولى الأمر، أخيراً انقضى انتظارنا، وبدأنا بسعادة في ترتيب حقائبنا استعداداً للمغادرة. مضت الساعات دون أي أثر لقارب الشرطة ذى المحرك الذي سيأخذنا إلى الشاطئ.

أخيراً عند الظهر جاء قارب من الميناء، وتوقف بجانب السفينة. صعد كثيرون من أصحاب الزى الرسمي سطح السفينة وذهبوا لكابينة الكابتن. سمعنا في الحال صوت صراخ بغضب، وأبواب تصفع ثم وقع أقدام تدب . شاهدنا رجلين بالزي الرسمي قد نزلوا وأخذوا اللانش، وما أزعجنا أننا رأيناهم قد انطلقوا عائدين للميناء بدوننا. شرح لنا الكابتن بوجود؛ كيف أنه ليس ممكناً أن نخرج الآن من السفينة، وقد قرر موظفو الجمارك أن يأخذوا هذا الظهر إجازة. لقد استشطنا غضباً، كيف لقسم جمارك في دولة أن يقرر ببساطة أن “يأخذ إجازة من العمل في وقت الظهر؟“ أجابنا ساخراً “هكذا تسير الأمور هنا“.

لقد وضعوا أسماءنا في قائمة الإنتظار، وسوف يعودون إلينا مرةً أخرى بعد أسبوعين. كنا نرقب السفينة، وهي تتحرك ببطء سقيم متجهة في طريقها نحو الجنوب؛ لتفرغ حمولتها، ولتقوم بتحميل بضائع غيرها. بعد يومين وصلنا إلى بوينت نوار، بالكنغو. حيث أننا أمريكيان ، لم يسمحوا لنا بالنزول من السفينة.

كانت جمهورية الكونغو في ذلك الوقت دولة شيوعية، وفي سنة ١٩٧٧ لم يكن الأمريكيان مرحب بهم . في بوينت نوار كان على السفينة راكبان سويسريان عائدین إلى أوروبا. بشعور من الارتياح عند مغادرتهم قصوا علينا قصة مروعة.

من ستة شهور مضت، زارتهم من أوروبا ابنتهما ذات الـ ٢٢ ربيعاً. في إحدى الأمسيات خرجت تتمشى على الشاطئ مع صديقها الفرنسي. فركض فجأة خلفهما في الظلام ؛ رجل مجهول الهوية، وضربها على رأسها بمنجل فسقطت على الأرض في الحال، وهي تنزف فاقدة الوعي. نُقلت بسرعة إلى أقرب مستشفى في المدينة؛ حيث كان هناك طبيبٌ فرنسيٌّ، فحصها، وأخبرهم بأن الجرح سطحي؛ فخيّط الجرح ، و تركها تعود للبيت. وفي الأسبوع التالي كانت تشكو من صداع شديد، و تطور إلى حمى غير معروفة السبب. ثم بدأت تعاني من تشنجات، وأصيبت بشلل نصفي.

قام أبواها بنقلها إلى سويسرا بالطائرة، وبعد الكشف عليها؛ وُجد أنها تعاني من وجود خراج في المخ. لو كان الطبيب في بوينت نوار قد فحصها بأكثر دقة أو عمل لها أشعة إكس، لكان قد إكتشف أن المنجل قد إخترق الجمجمة. قال أبواها : “ نتيجة للجرح والعدوى التي أصابت المخ ، ظلت مشلولة جزئياً“ ولا يعلمون إن كانت سوف تُشفى في حياتها أم لا. سمعنا القصة المأساوية ونحن نتساءل عما يخبؤه المستقبل لنا في أفريقيا.

أخيراً بعد وقت قد طال آل بنا المآل أن نعود إلى الجابون. في ١٥ مايو ١٩٧٧ ؛ أي بعد ٥٢ يوماً من بداية الرحلة البحرية، رسينا على ميناء ليبرفيل. استقبلنا رئيس مجلس إدارة الارسالية هناك ميلفين كارتير، ورحب بنا. في الشهور، والسنوات التالية، علّمنا الرب دروساً أكثر، لكن شكراً للرب لأنه لم يستغرق واحد منها ٥٢ يوماً!!!.

# الفصل الثامن

## بونجولو

ليبرفيل هي عاصمة الجابون، وهي تبعد ٥٤٠ كم من بونجولو شمالاً؛ حيث وجهتنا النهائية وفيها مقر إرسالية رابطة المرسلين. الرحلة على الطريق البري طويلة، ووعرة جداً تستغرق من ١٠ إلى ١٢ ساعة لو كان الطريق بحالة جيدة،

قبل منتصف السبعينات، كان هناك أربعة عبّارات بين ليبرفيل و بونجولو لكن بحلول ١٩٧٧ شُيّدت جسور على الأنهار في كل هذه المعابر، ما عدا عند نهر لويتسي في بونجولو. يبدو أن بونجولو ليست من الأهمية، والأحقية أن تتميز بوجود جسر بها.

عندما وصلنا أخيراً إلى معبر بونجولو. اندهشنا عندما وجدنا عبّارة بدائية تُسحب باليد ، بالكاد تكفي لحمل سيارتين. علمنا من زملائنا المرسلين أن بونجولو هي مقر قاعدة الإرسالية الرائدة في جنوب الجابون. تأسست في عام ١٩٣٤ بواسطة مرسلين هما فيرلي و بيرسون.

تعجبنا؛ كيف بعد ٤٣ سنة من شغل المقر بصورة مستمرة لم تُستبدل تلك العبّارة البدائية بواحدة أخرى أحدث، ولا حتى بُني جسر؟ إن مجرد توجيه أسئلة كهذه، هو أكبر دليل على فهمنا المحدود عن أفريقيا.

بعد عبور نهر لويتسي بواسطة معدّية ؛ أخذنا طريقاً تريبياً ممتلئاً بالحفر على قمة تل، ثم تبعه سلسلة من التلال، إلى أن سلكننا طريقاً موازياً للنهر على ضفة ترتفع عن سطح ماء النهر بحوالي ١٥ متراً تقريباً . صوت خرير هادئ منتظم لفت انتباهنا فوق النهر، شلالات بونجولو العالية ، عرضها ٢٧ متر تقريباً، وارتفاعها ٩٠متر تقريباً. وعلى الجانب الأيمن من الشلالات، منحدر رأسي على قمته أشجار مزهرة شاهقة على ارتفاع ٣٠ متر تقريباً.

يساراً على الشاطئ الآخر- حيث بعض القنوات الصخرية- مبنى صغير من الطوب الأحمر المربع . علمنا أنه قد شُيّد بواسطة المرسلين الأوائل في الأربعينات؛ لإنشاء محطة كهرومائية تمد المدينة بالكهرباء ٢٤ ساعة في اليوم .

ظللنا نسير بمحاذاة الضفة العليا حوالي نصف كيلومتر قبل التحول يمينا ثم صعوداً للتل الثاني على قمة هذا التل رأينا كنيسة بيضاء كبيرة ببوابة جميلة، ونوافذ قوطية و يعلى قمته سقف مربع مثل شكل الجرس مسحولاً بميل حاد.

كان المنظر جميلاً وإن كان ينقصه بعض الدهانات. بجوار الكنيسة هناك مدرسة ابتدائية ، تتكون من أربعة مباني واسعة ، وكان على يسارها بمقدار ١٠٠ (أربعة ٩٠ متر تقريبا)، المستوصف الطبي.

لم أكن مهيناً ذهنياً، أو نفسياً، لهذا البناء الصغير البدائي الذي فيه المستوصف. عندما دخلنا تجمع حولنا في الحال حوالي ٢٥ مريضاً، من باب الفضول. مسر ساره لوتجين ، مرسله هولندية ، ملح وجهها فرحاً، وإستقبلتنا إستقبالاً عصرت فيه أيدينا.

هذا المستوصف سيكون يوماً ما، مستشفى بونجولو الإنجيلي، لكنه وقتئذ كان مبنى ناقصاً، وصغيراً، يحتوي على بعض المناضد الخشبية الشكل، والدواليب المصنوعة من خشب حاويات الشحن، وصندوق ممتلئ بالأدوية، وعلبة تحتوي على تشكيلة من أدوات طبية مختلفة. يحيط بهذا البناء عدة أفدنة من الحشائش الطويلة غير المقصوصة. وقد رحب بنا القس ندونجو فيليب ترحيباً حاراً.

لاحظت وهو يضافحنا أن يديه كانت صلبة وخشنة. كان مسروراً لوصولنا سالمين، لكنه اعتذر أن هناك عدداً قليلاً من الناس للترحيب بنا؛ لأنه لم يكن متوقعاً أن نصل اليوم. عدنا إلى السيارة، وصعدنا التل الثالث، وذهبنا في طريقنا إلى مكان إقامة المرسلين.

المناظر الطبيعية الجميلة هنا أخذت بعقولنا، المروج، والشجيرات المزهرة، والأشجار العملاقة كانت بالفعل جنة إستوائية. جنباً إلى جنب مع البيوت البيضاء، و الطوب الأحمر. الصورة بأكملها كانت مبهجة، و مريحة. ركزنا في الأسبوع الأول على الاستقرار في المكان، والتعود على كل ما يحيط بنا. لم تكن مساكن الإقامة كافية لنا، و للممرضتين المرسلتين اللتين كانتا جزءاً من فريقنا الطبي. لذا في الأشهر الستة الأولى كانت كارولين ثورسون، وجويس ستراوث تعيشان في غرفة نوم واحدة، بينما كانت عائلتنا تشغل غرفتين في البيت الخشبي القديم الذى يسمى

« منزل خمسة » على قمة أعل تل في بونجولو.

حيث أن معظم الشعب في الجابون يتحدث الفرنسية بدرجة ما، ونظراً لأننا نريد ان نفتدى الوقت، وسوف نستخدم اللغة الفرنسية في عملنا الطبي، لذا كنا مستعدين أن نبدأ العمل على الفور. رتبت الإرسالية لنا دورة تدريبية في الستة أسابيع الأولى ، لتتعلم لغة الينزيبي، والعادات القبائلية المحلية، يقوم بتعليمنا في هذه الدورة طبيب بيطري مرسل.

وبإنتهاء التدريب كنا مستعدين أن نعطي أنفسنا كل الوقت لاحتياجات المستوصف والمجتمع، وأعلى الأقل هذا ما كنا نفكر فيه. في ذلك الوقت اجتمعت لجنة العمل في الحقوق التنفيذية . بعد أن أتى ميلفين كارتر- مدير حقل بونجولو- بوقت قليل لكي يرى كيف تسير الأمور؟ كنا قد أعددنا الخطط بكل حماسة ، بعد أن جلسنا معه في غرفة الجلوس الخاصة بنا، وشاركنا بآرائنا المتعلقة بمشروع تطوير مستشفى بونجولو الإنجيلية ، سمع إلينا بتأيي، وصبر، وعندما سنحت له الفرصة قاطعنا بقوله، “أظن أنه يلزم أن تعلقوا بعض خططكم إلى حين » فاندھشنا أنا، وبيكي، والممرضات من جدية قوله . فسألناه “ لماذا؟“ أجاب : “لقد قررت اللجنة التنفيذية أنكم يجب أن تتعلموا أولاً اللغة النينزيية“. ضربت كلماته في رأسي مثل قنبلة تفجرت. سألت بيكي أخيراً ،كاسرة حاجز الصمت الغريب: “ولماذا إذًا؟“. أجاب: « إن كنتم تريدون خدمة فعالة أكثر لابد أن تتعلموا لغة القلوب في بونجولو، وهي النينزيي».

المناقشة التي تبعت ذلك كانت مكثفة وحادة. ختم السيد ميلفين كلامه قائلاً: يؤسفني أنكم تشعرون بذلك، لكن القرار قد حُسم؛ وأنا هنا لأخبركم بهذا؛ لأنكم سوف تبدأون دراسة النينزيي بمعدل ٣٠ ساعة أسبوعياً؛ إبتداءً من الغد. هذا الأمر يتصدر الأولوية قبل أي شيء آخر»

وبعد أن غادر بدقائق قليلة، ذهب كل منا إلى غرفة نومه ليفكر في الأمر. كان هناك فكر واحد يجول في خاطري: «أحاول فقط أن أتمالك نفسي» لم أفعل شيئاً بشأن دراسة اللغة لعدة أيام، بل كنت مستاءً لذلك قررت أخيراً أن أقوم بجهد رمزي.

تقدمنا قد تعطل؛ ليس فقط بسبب انطباعاتي الداخلية، لكن بسبب كثرة المرضى الذين بدأوا في التوافد على المستوصف “ لأنه يوجد الآن طبيب“. أصبحت غارقاً في العمل. نقص الامكانيات، و التسهيلات اللازمة؛ جعل حالات الطوارئ صعبة للغاية، ومستهلكة للوقت.

ليالي كثيرة قضيتها في علاج مرضى ، مستخدماً ضوء مصابيح الكيروسين فقط . بعد عدة أشهر ، لم يزل الوضع -الذي ضبطنا أنفسنا عليه وهو “ المجهد الرمزي“- سائداً، ذهبنا أنا وبيكي لزيارة جولي فهرالمُرسلَة لشعب الميتسوجو في جوفييد، وهي تبعد عن بونجولو ٣٠ كم نحو الشمال الشرقي.



فتحنا قلوبنا لجولي، وسكبنا شكوانا بكل التفاصيل التي رأينا فيها عناء الموقف.  
 تكلمت أخيراً وقالت : “ دافيد، أنا متأكدة أنك تمر بفترة عصيبة، لكنني أتساءل إن كنتم  
 تعرفون مركزكم كمرسلين جدد؟. أنتم هنا لتتعلموا. هذه أعظم فرصة لكم على الإطلاق  
 كي تكونوا قرييين من الشعب البانزيبي. ربما وجب أن تقبلوا هذا القرار لأنه من الرب”.  
 شعرت أن الله يتكلم إلينا من خلال كلمات جولي. استمرت قائلة « دعني أشارككم بتأمل  
 من سفر الأمثال قد ساعدني كثيراً ﴿ اسْمِعِ الْمُسُورَةَ وَأَقْبِلِ النَّادِبَ، لِكَيْ تَكُونَ حَكِيمًا فِي  
 آخِرَتِكَ. ﴾ كما توجد كلمة أخرى لكم؛ إِنَّ هناك عوناً كبيراً في طريق التسليم؛ ألا وهو  
 التمتع بالسلام“ .

كانت كلماتها توجه مثل السهام إلى قلبي. وعندما عدنا؛ أنا وبيكي إلى بونجولو، لم نتكلم  
 سوى القليل. لكن بعد أن ذهب الأطفال لفراش النوم ، بدأنا نتبادل أطراف الحديث  
 لوقت متأخر من الليل. لقد أدركنا أنه حين نتمرد على قادتنا في الإرسالية ، نحن نتمرد  
 على الله أيضاً. ذكّرنا الرب بالتحريض المذكور في رسالة العبرانيين  
 ﴿ أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَأَخْضَعُوا ، لِأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نَفْسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا ،  
 لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ ، لَا آئِنٍ ، لِأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ. ﴾ ( عب ١٣ : ١٧ )

كما ذكرني الرب بالعهد الذي قطعته معه من سنوات مضت؛ وأنا جاثٍ على ركبتي في  
 سان دييجو ؛ حين وعدته أن أذهب حيثما شاء، وأفعل مهما طلب مني أن أفعله.  
 طلبنا من الرب أن يغفر لنا تمردنا على قادتنا، وعليه، وعزمنا في قلوبنا أن نفعل أقصى  
 ما في وسعنا كي نتعلم لغة البانزيبي. مع الضغط المزدوج في حالات الطوارئ، و قصور  
 الامكانيات المتاحة ، كان من الصعوبة بمكان أن يكون لدينا التركيز اللازم لدراسة اللغة.  
 لكن لأننا كنا راغبين من قلوبنا في ذلك ، أعاننا الرب أن ننتهي من دراستنا في ١٨ شهراً  
 فقط. وسأظل ممنوناً دائماً لملفين كارتر، واللجنة التنفيذية على إصرارهم أن نتعلم لغة  
 القبيلة . لقد ساعدتنا هذه اللغة بصورة هائلة أن نفهم الشعب الجابوني وأن نخدمهم  
 من أجل المسيح.



# الفصل التاسع

## الخطة

لقد سبقت وذكرت توصيفي لمستوصف بونجولو المرسلي في اليوم الأول لوصولي .  
المستوصف- كما عرفت - كان يعمل لمدة عشرين عاماً تقريباً. عندما أبلغ القادة في  
الكنيسة أن الإرسالية، أخيراً سوف ترسل لهم طبيباً، جمعوا مبلغاً من المال، و قاموا ببناء  
جناح من الطوب الطيني مساحته ١٥ متر × ٦ امتار.  
وعندما وصلنا للمستوصف، كنا نعالج ٥٠ مريضاً يومياً، بالإضافة للجناح الذي شيد  
حديثاً، الذي كان ممثلاً بالناس الذين إما كانوا مرضى جداً لدرجة أنهم لا يستطيعوا أن  
يأتوا كل يوم، أو ليس لهم مكان آخر ليقيموا فيه.

كان للمستوصف أرضية أسمنتية لونها ذات لون التراب الأحمر بالخارج . كانت هناك  
أحواض، ومياه جارية، و صابون، لكن الحوائط تحتاج أن تُدهن. ويمر المرضى على أربعة  
مراحل. لا يوجد أمر سرّي في الموضوع ، فبعد أن تنتهي الممرضة من الفحص ، وتكتب  
الروشتة؛ فإنه كان هناك على الأقل ستة أفراد يتكلمون في وقت واحد.

لم يكن في المستوصف سوى أربع لمبات إضاءة في كل المبنى، لكن لم يكن هناك أية  
إضاءة في الجناح . وكان الجناح بدون سقف، والحوائط غير مبيضة، وبه ٢٠ سريراً خشبياً  
منخفضاً، عليها مراتب محشوة بالقش. التوجيهات، والعلاج كانا يكتبان بواسطة الممرضات  
على كراسة رثة يأتي بها كل مريض.

بالإضافة إلى مباني المستوصف، والجناح الملحق، يوجد مرحاض لكل مبنى، ومطبخ  
مشترك مكون من طوب طيني ٢،٤ متر × ٣ امتار، بنوافذ صغيرة مرتفعة؛ لتسمح بخروج  
الدخان الصاعد من النيران المكشوفة.

كل مريض يحتاج لمن يعتني به ، يُعد له طعامه ويغسل له ملابسه. ونظراً لأن المرافق ينام  
على سرير كالمريض، وأحياناً قد تأتي العائلة كلها فإن الإزدحام كان لا يوصف، فهناك ما يقرب  
من ٤٠ شخص على أقل تقدير، يزحمون هذا المبنى الصغير ليلاً.

لقد اكتشفنا خلال الأسبوع الأول لنا في بونجولو، أن الإرسالية لديها خطة للعمل الطبي  
الجديد، و كالعادة في معظم الأحيان، كان لقادة الكنيسة الجابونيين خطة مختلفة . في  
ذلك الوقت كانت خطة الإرسالية أن تدبر طبيباً، وخمس ممرضات. بينما قادة الكنيسة  
وأعضاؤها لم يكونوا راضين بذلك. فقد رأى قادة الإرسالية ؛ أن مشروع المستشفى لن

ينجح في بونجولو. فقد كان هناك مستشفى حكومي في ليبامبا على بعد أربعة كيلومترات من بونجولو. بها أسرة صحية جيدة بعدد كافٍ للمنطقة .  
فبناء مستشفى أخرى سيوفر عدد أكبر من الأسرة بدون داع. إن كان لمريض الرغبة في أن يعالج في بونجولو سوف يسير تلك الأربعة كيلومترات من ليبامبا، ويعبر النهر. لذلك رأت الإرسالية أنه في ظل هذه العوائق، ربما لا يوجد عدد كاف من المرضى يرر إنشاء مستشفى في بونجولو، حتى لو كانت صغيرة .

وقد جاء خبر أمريكي في الصحة العامة - كان يخدم من قبل كمرسل في أفريقيا - لمدة أسبوع؛ ليرى الموقف، ويُبدي رأيه. وقد وافق على ما قد اقترحه مجلس الإرسالية؛ بأن الفريق الطبي يقيم في ليبامبا، ويشارك بدور تعليمي، واستشاري في مستشفى ليبامبا الحكومي. وستوفر الحكومة لهم المبانى. وستقوم الإرسالية بتقديم المعدات، والمواد التي بها يمكن أن تؤسس برنامجاً فعالاً للصحة العامة في المنطقة. ويمكن مرة أو مرتين في الأسبوع؛ أن يذهب الفريق إلى بونجولو لعلاج المرضى في المستوصف. لقد بدت الفكرة معقولة جداً.

أخذني ميلفين كارتر لجولة في ليبرفيل بين المكاتب الحكومية، والوزارات ليعرفني بالمسؤولين ولقد تم استقبالنا حسناً في كل المكاتب، لكنني كنت مكتئباً عقب مقابلتنا مع مسئول كبير في وزارة الصحة. فهو لم يشجعنا على العمل في مستشفى ليبامبا كما كان مقترحاً.  
لم يعطنا تفويضاً مكتوباً لكي نعمل بمقتضاه، واقترح أن نعمل على المستوى المحلي. هذا معناه أننا -نحن الأجانب- نطلب تصريحاً من المدير المحلي للمستشفى؛ كي نأتي إليهم و ندهم بالمعدات، والمواد، ومن المفترض أن ندير العمل هناك. بدا لنا أن الخطة قد انهارت قبل أن تلامس أرض الواقع.

لم نكن مستعدين لكل من حالة المستشفى في ليبامبا، وطريقة استقبالنا هناك. وفي المستشفى، رأينا موظفاً جابونياً - ليس طبيباً - يعمل كمدير لها. وقد قدم نفسه لنا أنه دكتور بايون.

وقد بدا أن الجابونيين الذين معنا يقبلون الأمر، لكن بالنسبة لي فقد فقدت توازني؛ لأني قد بُلغت أنه لا يوجد طبيب في ليبامبا. حاولت أن أخفي ذهولي، وصافحت دكتور بايون. ثم أخذنا في جولة يرينا فيها ٢٠ سريراً. لقد توقفنا حول روث حيوان، وسرنا بين مباني غير

مبيضة، ومشققة . وقد كانت هناك قاذورات، وفضلات في كل ركن ، متوارية بشكل جزئي خلف بعض القش، والحشائش. لم أر حمامات، أو مراحيض.

الماء الوحيد الذي هناك هو ما يأتي به المرضى في أيديهم من جدول ماء على بعد ٥٠ ياردة. والعنابر تمتلئ برائحة البول والعرق، والحوائط ملطخة ومنتسخة، ولا توجد مراتب إطلاقاً على الأسرة، وينام المرضى على لوح كرتون ورقي، أو حصيرة من بوص خاصة به .

ولا يوجد أي لوحات، والممرضات لم يكن بزي رسمي. ثم أخذنا بايون إلى غرفة خاصة؛ حيث يُستقبل فيها مريض محترق. وهناك صُدمنا من المنظر والرائحة . فقد كان المريض في العشرينات من العمر، وكانت حروقه بالغة في السيقان، والمؤخرة. لم يكن هناك ضمادة واحدة على جسمه كله. وكان راقداً عارياً على قطعة كرتون ورقية ملطخة بالدماء. في تقديري أن العلاج الذي تلقاه لم يزد عن مس أماكن الحروق بالميكروكروم.

من الواضح أن العمل يحتاج لمجهود كبير لتحسين الأوضاع. لكن كلما سمعت بايون، كنت أشعر أن معنوياتي تنخفض شيئاً فشيئاً. لا أذكر مرة واحدة أنه تجاوب مع نصيحة أو اقتراح أبديته، بل كان يتعامل معي بشيء من عدم التقدير.

وفي وقت متأخر من ذلك اليوم، سألت عمدة ليبامبا ، من الذي سيكون مسئولاً عن المستشفى في حالة تقديم يد المساعدة لهم . كانت إجابته - التي إلى حد كبير لم تريحني - أن دكتور بايون هو المسئول. كل تغيير أريد أن أصنعه لا بد أن يخضع لموافقة بايون. وفي الأسبوع التالي قمت بزيارة بايون مرة أخرى، وفي هذه المرة كنت وحدي. وسألته عن توقعاته من الفريق الطبي أن يفعلهم في المستشفى . فبدلاً من الإجابة على سؤالتي، أخذ يشرح لمدة ساعة كيف يعالج الملاريا، ومضاعفات الولادة، والعديد من الجراحات الطارئة. وقد كانت أراؤه غريبة وخطيرة . أدركت شيئاً فشيئاً أن هذا الرجل أراد أن يوصل لنا رسالة أنه في غنى عن مساعدتنا.

ولكنني قررت أن لا أستسلم، فسألته كيف يمكن أن أعمل معه شخصياً . فأجاب أنه يجب أن يراجع كل أمراًعطيه، ويغير ما يراه غير مناسب. بصفة عامة، فأنا شخص متفائل، لكن هذه المرة بالتحديد من الواضح لي أن خطة الإرسالية للعمل هناك لن يكون النجاح حليفها.

ذهبت لقادة الكنيسة لناقش معهم معضلة ليبامبا / بونجولو.

كان لديّ بعض الأراء بشأن ما قد يتم عمله . لكنني أردت أن أسمع منهم. لقد كانوا يعلمون أنه إن لم يتلق بايون أوامر لكي يتعاون فهو لن يوافق على أي شيء يس هيبته ونفوذه . اقترحوا أن يكون الفريق الطبي كله في بونجولو، مع توسيع وتطوير المستوصف إلى مستشفى إنجيلي صغير. سألوا : كيف يمكن أن نربح الناس للمسيح، ونحن نعمل تحت سلطة بايون في ليامبا؟ وقد كانوا يعلمون أيضاً مشكلة السلطات. إن محاولة العمل في ليامبا - بالنسبة لفريقنا الطبي - كأننا نحاول أن نجعل الفيل يطير.

بعد المناقشة التي دارت بيننا، كتبت لقادة الإرسالية وطلبت منهم أن يسمحوا لنا بعرض خطة جديدة للعمل الطبي، بعد أن قمنا بدراسة وافية للاحتياجات في المنطقة . وافقوا على مضم. ثم بعد ستة أشهر من الدراسة والمناقشة المستفيضة ، تم تبني هذه الخطة:

١- الفريق الطبي سوف يبقى في بونجولو.

٢- تطوير المستوصف ليصبح مستشفى إنجيلياً.

٣- القيام ببرنامج تطعيم لكل القرى المحيطة؛ لنضع حداً لانتشار أوبئة الحصبة، وشلل الأطفال والسعال الديكي.

٤- افتتاح مدرسة تمرّيز لتدريب الممرضات الوطنيات، من أجل العمل بخدماتنا الطبية في الجابون. ( فالمدرسة ستعطينا الفرصة أن ندرب قادة للخدمة في الكنيسة).

٥- فتح وتشغيل ثلاثة مستوصفات فرعية في القرى النائية.

ففي الماضي البعيد ، كانت الإرسالية، والكنيسة، ومسؤولي الحكومة المحليين، ووزارة الصحة، وفريقنا الطبي متفقين جميعاً على الخطة المقترحة؛ لكي يتم العمل بها من أجل اسم المسيح في جنوب الجابون. وبالموافقة على هذه الخطة في ١٩٧٨ خرجت مستشفى بونجولو الإنجيلي إلى حيز الوجود.





# الفصل العاشر

## المرحاض

كان هناك الكثير جداً من العمل الذي يجب أن يُنجز في المستوصف لكي نحوله إلى مستشفى. بالرغم أننا بدأنا نتعلم لغة الينزيبي، لكنني شعرت أنه من اللازم إجراء بعض الإصلاحات العاجلة. لكن السؤال هو كيف توضع الأولويات؟

وشعرت كشخص مسئول، يراعي متطلبات الحياة الصحية ، أنه يجب أن أضمن أن التسهيلات الصحية اللازمة قد توفرت.

كان المرحاض الوحيد بالمستوصف سيئاً، و كرهه المنظر . الذباب الضخم ذو اللون الأزرق المخضر يحوم بداخله في دوائر كثيفة و بشكل متواصل .

الأفارقة عموماً يفضلون استخدام الغابات .وفي منظوري أنا بصفتي مسئول عن الصحة العامة، أقول: أنهم بذلك يساعدون على إنتشار الأمراض، والطفيليات إن استمروا في تلك الممارسات. أذكر ذات يوم عندما سُئلت إن كنت قد استخدمت المرحاض الأرضي من قبل؟ وحيث أنني لم أستخدمه، ولا توجد عندي النية أن أستخدمه، فإننا لم نصل في المناقشة لنهاية مرضية.

وقد شرح لي أحد الجابونيين المشكلة بصورة أكثر وضوحاً فقال: «عندما تجلس القرفصاء على النمط الإفريقي التقليدي، فإن مئات من ذلك الذباب الكبير سوف يخرج فجأة من فتحة حفرة المرحاض، و يطنون بصوت صاخب. فيصطدم بك ذلك السرب المنطلق من أسفل ».

إن مجرد التفكير فيما أسمعه يجعلني أريد أن أقوم وأجري . وبالإضافة لبلوى الذباب، هناك مشكلة أخرى ؛ فعند الفحص الجيد للوح المرحاض الأرضي وُجد ضعيفاً، وماذا لو إنهار أثناء الإستخدام؟ حسناً، ....

كنت أفكر في هذه المشكلة لعدة أيام .اقتنعت وقتها أنه يجب أن أساعد الجابونيين؛ أن يستفيدوا من التكنولوجيا الغربية،.استخدمت مقعد التواليت الذي نستخدمه كمثال، وأخذت أعمل بحماس في وقت ما بين دروس اللغة.

قمت بتصميم مقعد تواليت، وعملت غطاء وثبته بالمفصلات. وبعد أن انتهيت منه، وضعته في سيارتنا النصف نقل، وأخذته للمستشفى. كانت أفواه المرضى المفتوحة تنم عن الاستغراب الممتزج بالتقدير على المجهود المبذول.

كان هناك واحد من الممرضين اسمه نوربرت ، ساعدني في أن ننزله من السيارة .لم يتكلم

كثيراً ونحن نحمله في الطريق . كانت المهمة ليست سهلة، أن نضعه في مكانه ونثبته في الأرض. كان الخشب الجديد يلمع متألقاً. وألقيت مبيدًا في الفتحة لكي أقتل الذباب. شرحت لنوربرت كيف يُفتح الغطاء، وكيف يجلس المريض عليه، و يستخدمه. تأكدت أنه يفهم ما أقول حتى يمكنه تدريب الآخرين . لم يكن يتكلم كثيراً، لكن كان يبدو أنه مدرك لما أقول. ألقيت نظرة أخيرة على صنعة يدي، و أنا أشعر بتألق الإنجاز الذي قد تم.

بعد أسبوع أردت أن أقوم بتفتيش مع نوربرت. كان متردداً أن يأتي معي، وفي الحال فهمت السبب. كان المكان عبارة عن فوضى مأساوية. صمت، ولم أنطق بكلمة، ثم أخيراً سألت؛ وأنا أحاول أن أمالك أعصابي... كيف صارت الأمور بهذه الفوضى؟.

من الواضح أنه قد أُخرج ، ثم قال : “حيث أن المرضَ تعودوا على استخدام الغابة، لم يفكروا في الحفاظ على نظافة التواليت“. قلت : “كيف يمكن أن تفوتهم الفتحة، ويعملوا خارجها وهم جالسون عليها؟ أنا لا أفهم“. أجاب نوربرت بتردد: “ حسنًا ، يا دكتور إنهم لا يحبون أن يجلسوا هكذا ، إنهم يقولون إنه غير طبيعي أن يجلسوا هكذا.“ قلت: “ غير طبيعي؟؟ أنا أفعل ذلك طول عمري .كيف يكون من غير الطبيعي ! “ أجاب نوربرت وهو ينظر بعيداً : “إن الأمر ليس أن المرضى لا يقدِّرون ما قد فعلت , لكن لأن الفتحات أيضاً، كانت كبيرة لدرجة أن الأطفال يمكن أن يقعوا بداخلها“.

نظر إلي، وبنبرة صوت دفاعية، استمر قائلاً : « وأيضاً عندما يتسلقون قمة المقعد تصطدم رؤوسهم بالسقف“. قلت : “السقف؟“ ثم نظرت لأعلى حيث توجد مسامير بارزة خطيرة بين ألواح السقف المنخفض. أغمضت عيني وقلت: “الآن علمت ماهي المشكلة ،أنهم كانوا يصعدوا فوق التواليت و يجلسون القرفصاء عليه“.

فكرة أن أقوم بتعليم كل واحد من الجابونيين أن يستخدم مرحاض ليجلس عليه، كان أمراً سخيفاً. ثم طرأ على بالي هذا السؤال: هل الأسلوب الغربي حقاً هو الأفضل ؟ إن كان كذلك فلماذا؟ لأول مرة أدرك أن الناس لم تقبل طريقتي فقط لأنني مجرد طبيب جديد. يجب أن أكتسب الحق في أن أكون مسموعاً .وفي اليوم التالي ذهبنا أنا والممرض، وغيرنا الوضع؛ بأننا قد وضعنا ألواحاً جديدة ذات فتحة واحدة .

لقد استغرق الأمر سنوات حتى نبني الحمامات التي إحتجنا إليها.الآن قد توفرت المرافق اللازمة, و يتم تنظيفها بصورة يومية. حيث أن هذه الطريقة بالنسبة لهم لم تستطع أن تنافس جمال الغابة بهوائها المنعش, والخصوصية فيها, لذلك ظلت هذه الطريقة تمثل صراعاً عند البعض حتى يعتادوا عليها.

# الفصل الحادى عشر

## طب في البراري

ممارسة الطب في مجتمع بدائي، ووحشي يمكن أن يكون تجربة حمقاء بالنسبة للأطباء الغربيين. ومن المتوقع أن تصطدم كل المبادرات بمعدات، ومرافق بدائية، ومواجهة أمراض غريبة، ونادرة تركت لتتزعزع على مر السنين.

الأمر الذي لا يدركه الأطباء الغربيون هو: إلى أي مدى سوف تهتز صورتهم، و هيبتهم كأطباء. الأطباء الغربيون يعتزون بمركزهم في المجتمع، يأتون بعد الله في الترتيب في حكمتهم، وعلمهم، ومهاراتهم. ربما يكون عملهم فريد، و مهارتهم عالية، ووقتهم ثمين ومكلف. اعتادوا أن يصدروا الأوامر لجمهور من الأخصائيين الفنيين، والطبيين، والإداريين؛ متوقعين أن يقوموا بتنفيذها بكفاءة، وعلى أكمل وجه.

لكن الفرق شاسع مع الطبيب الذي يمارس الطب في البراري، حيث يجد نفسه وحيداً، وربما يساعده بعض الممرضين أو الممرضات. وسيكون محظوظاً إن وجدهم مدربين جيداً، أما عن الآلات والمواد فقد تكون محدودة، أو ربما غير موجودة.

معظم المعدات المستخدمة، أُحضرت من بدرومات بعض المستشفيات بالدول الأوروبية، أو أمريكا الشمالية ووصلت لأفريقيا بدون أي كتالوجات مرفقة، أو دليل يشرح طريقة التشغيل. الطبيب الغربي الذي يأتي لأفريقيا إما أن يتأقلم بلا كلل أو يستسلم للفشل.

قد تعلم الذين يتأقلمون أن التكنولوجيا الطبية - مع كونها رائعة جداً في الغرب - تُحسب هنا عبئاً أكثر من كونها عوناً. الطبيب الحكيم هو الذي يتعلم كيف يستند على مهاراته في التشخيص مستخدماً أبسط الحلول أقل التقنيات لحل المشاكل الطبية. ويتعلم أيضاً أنه بذات القدر الذي به يُعطي أوامره، يجب أن يستمع لأعضاء الفريق.

بعبارة أخرى، يجب عليه أن يخلع الجبة الملوكية، ويرتدي جينز الخدمة المتواضعة. من الخطأ أن نستنتج أن ممارسة الطب في البراري، أمر سيء للغاية. وبالنسبة للأطباء الذين يثابرون، فسوف يكتسبون خبرات عظيمة ومثيرة.

يوماً ما عدت مبكراً من احتفالات يوم الإستقلال في ليبامبا. كان يقوم بإدارة العمل في المستشفى ذلك اليوم طاقم محدود، لم يكن هناك ممرضون من الرجال بل كان هناك ممرضات فقط. أبلغوني أن هناك سيدة حامل في الشهر التاسع، وهي في حالة خطيرة،

وترقد على الطريق ليس بعيداً من المستشفى، و يجب أن يقوم أحد بإحضرها على نقالة. أخذتنا بنت السيدة لثرينا الطريق. سألت واحداً من زملائي المرسلين؛ وهو دان بيجيل أن يساعدني، فانطلقنا . بعد نصف ساعة استدركنا أن عبارة “ ليس بعيداً “ تختلف في مفهومنا نحن عن ما تفهمه تلك الفتاة. أخيراً وجدنا المريضة مستلقية على بطانية، وساقاها متورمتان من الإلتهاب، ومصابة بحمى شديدة. كان يوماً دافئاً، والرطوبة كانت ١٠٠ درجة.

وأنا أصارع في حمل النقالة من جانبي ، تصبب العرق من وجهي علي وجهها، فغطته أخيراً بمنشفة.

كنت مصمماً على أن نتوقف كل خمس دقائق لنستريح قليلاً، وبعد خمس عشرة دقيقة من السير، بدأت أسأل نفسي: إن كنت أستطيع المواصلة أم لا. كان دان متعوداً على العمل اليدوي الثقيل أكثر مني . لكنني لاحظت أيضاً أن قميصه قد تبلل كله، وصار دافئاً من كثرة العرق . وعندما خرجنا من الغابة، وأخذنا الطريق إلى حيث أوقفنا السيارة، كانت ساقي ترتعشان. لقد عرقت كثيراً لدرجة أن حذائي كان يُصدر صوتاً من كثرة العرق الذي فيه.

بعد علاج مكثف بالمضادات الحيوية، تعافت تلك الأم الشابة من الإلتهاب، وبعد شهر من وصولها وضعت مولودها بصورة طبيعية، وبصحة جيدة.

وذات يوم، جاء شاب إلى المستشفى اسمه جان ليلتحق بدورة التدريب على التمرير كان قد أُصيب وهو طفل بشلل الأطفال؛ وصارت ساقه اليمنى مشلولة، وعاجزة عن العمل. يستطيع أن يمشي لكن بعد كل خطوة يجب أن يقبض ركبته اليمنى بيده اليمنى الممدودة. هذا يتطلب منه أن يمشي، وهو منحني، وليس أمامه سوى أن يستخدم يده اليسرى فقط في أي عمل يقوم به.

جاء دكتور روبرت جرين (بوب) ، وهو جراح عظام مرسل، لزيارة المستشفى، فسألته عن رأيه في فكرة علاج ركبة جان حتى يمكنه أن يمشي مستقيماً، وحينئذ يمكن أن يستخدم كلتا يديه. فكر بوب أن هذا سيكون ممكناً في حالة توافر آلة لضغط الركبة. يتعين علينا أن نقوم بتصنيع واحدة؛ لكي نضغط الركبة بعد العملية كي تنحل العظمة.

خرج بوب بحل منخفض التقنية. وفي ختام العملية، أدخل مسمار طوله ١٥ سم من طرف عظمة الفيمر (أعلى مفصل الركبة قليلاً)، وواحد آخر في عظمة التيبيا (أدنى مفصل الركبة قليلاً). كانت المسامير تبرز من الجلد بحوالي ٢,٥ سم. أخذ يقطع شرائط مطاطية من أنبوب قديم، ويلفها على طرفي المسامير من كل جانب بعد وضع الضمادات. تعمل الشرائط المطاطية على سحب المسامير كل منها في اتجاه الآخر؛ لتضغط على العظام لتضمن عملية الصهر. لم تكن ممتازة لكنها قد نجحت. اليوم يسير جان بساق واحدة متصلة إلى حد ما، لكن بصورة معتدلة، و صار بإمكانه أن يستخدم كلتا يديه. كرس جان حياته للمسيح عندما كان معنا، وقد غير هذا حياته تماماً. لقد تخرج من مدرسة التمريض ليعمل في مستوصف حكومي في منطقة نائية.

رأيته بعد خمس سنوات في محاضرة أعدناها للممرضين لتعليم مبادئ الصحة العامة أخبرني جان أنه تزوج وأنجب ثلاثة أطفال، وفقدهم جميعاً في سنة واحدة بسبب الملاريا. رغم أن قلبيهما - هو وزوجته - كانا محطمين لكنهما قررا أن يتبعا المسيح مهما حدث. فعلمت حينئذ أنه بفضل خدمتنا له ليس فقط، أمكنه أن يسير برجليه صحيحاً بل أن يسير روحياً أيضاً بصورة صحيحة.

إن أصعب الأوقات التي مرت عليّ، حين اضطررت أن أجري عملية لابني جيرمي، عندما بلغ عمره خمسة أعوام، لاحظت بيكي أنه يعاني من فتاق خلقي. قد اتسع خلال الأشهر التالية بصورة منتظمة، وحيث أننا لا نستطيع أن نعود للولايات المتحدة لثلاث سنوات آخر، قررنا أن نتولى أمره في الجابون.

كان لدينا أحد اختياريين: إما أن نذهب بالسيارة مسافة ٣٥٠ كم إلى مستشفى شويتزر في لمبارين لنجري له العملية بواسطة جراح أوروبي أو أن أجريها أنا. كنت أعالج ذات المشكلة لأطفال الجابونيين كل أسبوع. فشعرت بأني واثق أنه يمكن أن أجريها لطفلي بنفسني، بصورة جيدة كما أجريتها لهم.

بعد تخدير جيرمي أجريت العملية في ٢٠ دقيقة. استيقظ في اليوم التالي، وكان يجري هنا، وهناك أكثر من المعتاد. لكن في اليوم الرابع بدأ يشكي من ألم في بطنه. وفي ذات المساء أصيب بحمى ذات درجة منخفضة. لم يُرد أن يأكل، وعند الصباح بلغ الألم منطقة



الزائدة الدودية. كان جرح العملية سليماً فبدأت أشك عما إن كنت قد وقعت في خطأ ما.

كان أماننا أحد الاختيارين السابقين: إما أن نتولى الأمر بأنفسنا حيث من المحتمل أن نُجري له عملية استئصال الزائدة، أو نأخذه إلى مستشفى شويتزر في لمبارين . ورغم أنه الأسبوع السابق للكريسماس، لكننا قررنا أن نذهب إلى لمبارين حيث أننا يمكن أن نُجري عدة اختبارات في معمل مستشفى شويتزر قديكون لها فائدة ،علاوة على أنني لم أكن متحمساً لإجراء عملية أخرى لابني.

غادرنا بونجولو في وقت الظهر. ولم يكن جيرمي على ما يرام في تلك الرحلة الشاقة التي تستغرق ٦ ساعات على طرق ترابية وعرة، لكن حالته لم تسوء. وصلنا لمبارين حوالي الساعة السادسة مساءً، وبعد وقت قصير جاءت طبيبة الأطفال لتفحص جيرمي. زوجها هو جراح المستشفى وقد فحصه جيداً. والأمر الذي أراحنا أنهما اتفقا أن حالة جيرمي لا تستدعي إجراء عملية في تلك الليلة. سمحوا لنا - على سبيل المجاملة الخاصة - أن نبيت تلك الليلة في واحد من مساكن المسؤولين ، كان مفروشاً جيداً.

في الصباح التالي كان جيرمي جائعاً، وتحاليل الدم كانت طبيعية. فحصه الطبيبان مرة أخرى، وقررا أنه لا يوجد أي التهاب في الزائدة الدودية وأن صحته تتحسن

وقالا: نعتقد أنه ربما يعاني من الإصابة بفيروس ما. اتفقا معي أنه يمكننا أن نعود إلى بونجولو في أمان. وصلنا البيت في ليلة الكريسماس. كان من أسعد الاحتفالات التي شهدتها عائلتنا على الإطلاق.

كان المسئول عن الكهرباء، والميكانيكا في الإرسالية، قد ذهب في رحلة لمدة أسبوع وكما هو متوقع، فقد ظهرت مشكلة. كنت أُجري عملية لمريض في صباح يوم ، هبت فيه عاصفة ممطرة ثقيلة ، تبعها إنقطاع في الكهرباء، وانطفأت الأضواء. كان لدينا كشف بالشحن؛ تحسباً لهذا النوع من الطوارئ. أمسكت إحدى الممرضات بكشاف الإضاءة حتى انتهيت من العملية

كنت أعلم أنه عليّ أن أقوم بإصلاح الإضاءة . بينما كنت أنهي العلمية، دخلت القابلة إليّ وقالت : “ دافيد، أنا أسفة ، لدي أخبار سيئة، انقلب المخاض على إمراة والمولود في

خطر. نريد أن تأتي، وتجري عملية قيصرية“. لم أكن أريد أن أجري عملية كهذه بدون الإضاءة، ومضخة الشفط. فقلت لها أن تُعد المرأة للجراحة إلى أن أقوم باصلاح الإضاءة.

خلعت بالطو العمليات، والقفاز، وخرجت مسرعا، وقفزت على دراجتي البخارية. كان المطر قد توقف في ذلك الوقت. لكن الأرض كانت مبللة، وقطرات من الماء تتساقط من على الشجر. ذهبت إلى قمة الكابينة التي تنتهي عندها خطوط كهرباء الإرسالية. وأردت أن أرى إن كان فرع شجرة قد سقط على أحد الخطوط، وفصلها أوتسبب في ماس كهربائي فقطع التيار.

بدأت من أول الخطوط، وكنت أنظر عسى أن أجد شيئا غير طبيعي. بعد ( ١٨٠متر) اكتشفت المشكلة. فرع شجرة سقط وشبك سلكين معاً. وبعد بحث طويل في الغابة وجدت فرعاً آخر قد سقط على الأسلاك وعقدها معاً وبعد مجهود كبير قمت بإبعادها عن بعضها. وفي حالة وجود ماس كهربائي فإن الوحدة الكهربائية تتوقف بشكل آلي.

كانت المشكلة أنه يجب أن أعبّر إلى الجانب الآخر من النهر عند المولد الكهربائي لإعادة تشغيل الكهرباء، سحبت المجداف، ووضعتة علما للدراجة النارية، وأسرعت لأسفل التل لكي أحضر الزورق. وكانت المياه في داخل الزورق بإرتفاع ٢٥ سم تقريبا بسبب المطر، لكن لم يكن لديّ الوقت كي أتخلّص منها، جذفت عبر النهر بأسرع ما يمكن، وكنت منقوعاً في مزيج من المطر، والعرق، والطين.

كانعرض النهر حوالي ٧٠ متر تقريبا، حين وصلت الى الشاطئ المقابل، علمت أن المرأة قد دخلت وقتئذ إلى سرير غرفة العمليات، وأنا أحرك المجداف، طلبت الرب من أجل حماية المولود .

ركضت ٩٠ متر تقريبا بطول الطريق في الغابات إلى الكابينة التي بها المولد الكهربائي، فتحت الباب، وبعد أن تأكدت أن كل شيء في مكانه الصحيح، قمت بتوصيل التيار مرة أخرى .

أظهر المؤشر أن الكهرباء قد عادت تعمل بصورة طبيعية.

ركضت مرة أخرى إلى الزورق، وعبرت النهر بأقصى سرعة، وقفزت مرة أخرى على الدراجة النارية، وأسرعت عائداً إلى المستشفى . كل هذه الأشياء استغرقت عشرين دقيقة. دخلت

غرفة العمليات وأنا ألّهت ، غسّلت يديّ بسرعة ، وارتديت بالطو العمليات الجراحية  
المعقم فوق ملابسي المتسخة. قمت بالتخدير، وفي غضون دقائق قليلة تمّت عملية  
الولادة، وخرج الطفل بصحة جيدة.

بالرغم من صعوبة الطب في البراري، لكن الرب قد أعاننا كي ننجح..



## الفصل الثاني عشر

### دفن مريضة الجذام

توقفت المرأة العجوز على قمة التل لتلتقط أنفاسها، ولكي تبحث عن المستشفى. كانت تضبط الشريط المنسوج من بوص الخيزران، الذي يحمل السلة التي على ظهرها. كانت متكئة على عصاها، تجرأقدامها المتورمة التي كانت بدون أصابع ، منحدره ببطء نحو الطريق. قبيل الغروب كانت عروق رقبته قد جحظت، وقد مسحت وجهها بقطعة قماش متسخة.

سارت حوالي ١٦ كم وحدها على الأقدام. لقد وعدا أولادها أن يتبعوها في خلال يوم أو يومين. بسبب مرضها بالجذام؛ توقفوا عن الإعتناء بها منذ فترة طويلة. كانت تعرف أنهم ربما لن يأتوا.

في مكان الانتظار ، أنزلت سلتها وهي منهكة، وأخذت تُقَلِّب فيها، وهي تبحث عن دفتر متابعة العلاج، كل ما كان في مقدورها أن تحمله؛ هو وعاء صغير للطهي، و كمية صغيرة من الطعام في تلك الحقيبة، التي ليست سوى سلة قديمة متسخة. أخيراً وجدت الدفتر المكتوب فيه سجلها العلاجي. لكن نظراً لأنها قد فقدت بعض أصابعها ، فقد واجهت صعوبة بالغة كي تمسكه بيدها. أخيراً أخذته ووضعت في صندوق أمام نافذة غرفة الكشف.

بعد دقائق قليلة ، خرجت ممرضة، وببيدها الدفتر ونادت على اسمها، ودعتها للدخول إلى الغرفة . كشفت الممرضة عليها، ورأت أنها بالرغم من كونها مصابة بالجذام لكنها لن تموت بالجذام. كانت تعاني من أزمة قلبية، وفي حالة متأخرة. وتحتاج لرعاية صحية بالمستشفى. بالطبع لم يكن في مقدورها أن تدفع ٢ دولار في اليوم نظير الإقامة بالمستشفى، لكن لا يهم كثيراً لأن مرضى الجذام يعالجون مجاناً في مستشفى بونجولو الإنجيلي.

رأيتها بعد ساعات قليلة. ولأنه لم يكن هناك مراتب كافية، كانت تنام على ألواح السرير ومن الواضح أنها لم تغتسل بالصابون منذ سنوات. لم يكن قلبها متضخم فقط بل كان ينبض بصورة غير منتظمة. وعندما قلت لها أنه يجب أن تأكل بدون ملح، أومأت لي بطريقة غير مفهومة. كان لديها جروح كثيرة مفتوحة في قدميها، لأن مريض الجذام محروم من الحس تماماً؛ لذا جُرحت دون أن تشعر.

سجلها العلاجي يظهر أنها كانت تأخذ علاج الجذام على مدى خمس سنوات. رغم أنها قد فقدت معظم أصابع يديها، ورجليها، لكن المرض بصفة عامة يبدو أنه تحت السيطرة.

ضمدت الجروح، وبدأت علاج القلب. لم ألاحظ أنه ليس لديها طعام معتقداً أن المرافق الذي معها قد يكون موجوداً بالمطبخ يعد لها طعاماً، أو مشغولاً مع مرضى آخرين.

في جولتي الصباحية ظننت أنها سوف تكون بحال أفضل. أدوية القلب، والأدوية المدرة للبول بدأت تعمل مفعولها، كانت قد فقدت لترين من السوائل.

اليوم التالي كانت ضعيفة جداً، وفي ذلك الوقت فقط اكتشفت الممرضات أنها لم تكن تأكل؛ لأنه لا يوجد من يُعد لها طعاماً، وهي لا تستطيع أن تفعل ذلك بنفسها. فاحضرت واحدة من الممرضات لها بعض الطعام، لكنها لم تُرد أن تأكل. لقد ماتت في تلك الليلة. في الصباح الباكر، جاء الممرض الذى كان في نوبة العمل، وأبلغني بهذا الخبر. طلبت منه أن يحمل جسدها لغرفة خاصة إلى أن نقرر ما سوف نفعله.

أرسلت لرجلين كانا يعملان بالمستشفى من قبل؛ لكي يحفرا لها قبراً. ونظراً لأنني كنت مشغولاً جداً طوال الصباح، فلم أعلم إلا عند الظهر أنهما لم يأتيا. أرسلت لغيرهما من قرية مجاورة، ورغم ذلك لم يأت أحد.

أخيراً حملت جثمانها على نقالة بمساعدة الممرضين، ووضعته في السيارة النصف نقل. وأخذت معي بعض أدوات الحفر. وقدت السيارة بين حشد المشاهدين، إلى سفح التل نحو قرية داكار. وتوقفت عند منزل احد قادة الكنيسة، وطلبت منه المساعدة. بالرغم من أنه لم يكن يعمل أي شيء حين وصلت إليه، لكنه قال: أنا مشغول جداً، وقام بترشيح شخص آخر كي يساعدنا، لكن عندما وصلت إليه، وطلبت منه، قال أنه يساعد زوجته. انتقلت من بيت إلى آخر محاولاً أن أجِد شخصاً يساعدنا في حفر قبر. الكل قد أظهرنا مشاعرهم، لكن لم يعرض أحد منهم المساعدة. لم يريدوا أن يُشتركوا في هذا العمل.

أخيراً قدت السيارة، وانطلقت مسرعاً بغضب إلى المدافن خارج القرية، وسط سحابة من الغبار. كانت المدافن مغطاة بالشجيرات الصغيرة والكروم، و كان يجب إخلاء وتنظيف

مكان الدفن بمنجل ، قبل أن البدء في الحفر. نظفت مكاناً مساحته ٣ امتار ٤,٥ متر. ضربت الأرض بالفأس، وكنت أنشر التراب في كل إتجاه ، بالطبع لم تكن تصرفاتي سوى انعكاس لأفكاري ومشاعري. كنت أعمل طبيباً، وها أنا هنا أدفن مريضاً!

هل سمع أحد أبداً شيئاً كهذا؟ المرضى سوف يتوقعون مني أن آخذهم من البوابة، وبعد أن أعالجهم نهاراً وليلاً، أدفنهم في حالة عدم شفائهم. لقدت غدت أفكاري غير متزنة. كان هناك بعض الخدوش في يدي الناعمة، لكنني كنت غاضباً لدرجة أنني لم أشعر بها.

لقد حفرت المدفن بعمق ٦٠ سم، ثم جاء أربعة رجال من القرية كانوا قد شعروا بالخزي. وبدون أن أقول كلمة أعطيتهم الأدوات، ووقفت لأسترح. ولأول مرة ألاحظ أي أنزف من يدي بسبب الجروح المفتوحة. وعندما رأينا الحفرة كافية، أنزلنا الجثمان، ووضعناه فيها بصمت. وغرس أحد الرجال عصا على أحد الجانبين؛ لكي تكون علامة على القبر. دفعت للرجال نصف المبلغ الذي وعدت أن أعطيه، وأخذت الأدوات لكن لم يزل هناك غليان في داخلي، ثم تركتهم دون أن أشكرهم.

شعور بالثقل قد جثم فوقي. لقد دفنت المرأة، أليس كذلك؟ ألم أحفر نصف القبر بنفسي ألم تكن الجروح التي في يدي دليلاً على ذلك؟ وأنا أحاول أن أبرر مشاعري، تكلم الرب إليّ بهمس في روحي : « لماذا أنت غاضب؟ » أجبت بحدة : « منذ متى والطبيب يدفن مرضاه؟ لست ملزماً أبداً أن أقوم بهذا ». بينما كنت أصعد التل ، سألني الرب سؤالاً آخر: “لماذا تفكر بأنك صالح جداً، لدرجة أنك تدفن تلك المرأة؟” فوجئت بهذا السؤال، ففكرت أنا لست حقار قبور، هذه ليست وظيفتي فأنا طبيب. وعندما وصلت للبيت ، خلعت ملابسي، وأخذت حماماً، لقد كان إستياي قد بلغ ذروته.

فسألني الرب أخيراً: “دافيد هل أنت خادمي أم لا؟”. توقفت تحت الماء البارد ، أتأمل في هذا السؤال. أجبت بتردد: “أنت تعرف أنني خادمك يارب”، “إذاً لا تتعامل معي بوصفك طبيباً . أنت خادمي، وخادمي يجب أن ينفذ أي أمرأكلفه به“. وهنا فُض الموضوع تماماً.

بعد أن جففت جسمي بالمنشفة ، أدركت كيف كنت أتصرف بأسلوب طفولي .كوني طبيب، لا يجعلني أفضل من أي أحد آخر.

بدأت أفهم أنني لم أعرف في عيني الله وفقاً لوظيفتي في الحياة سواء أ كنتُ أحفر قبوراً



أو أعالج فتناً، لا يوجد فرق فالأمر سواء عنده.

ركعت بجوار سريري طالباً من الرب أن يغفر لي غضبي، وغروري.

عندما ينظر الله إلينا، لا يرانا كأطباء، أو محامين، أو سائقي نقل، أو عمال مهاجرين.. الخ.

مع أنه يعلم تماماً لون بشرتنا، وجنسنا، وذكائنا، ومستوى تعليمنا، لكنه لا يصنفنا وفقاً

لهذه الأمور. لكنه يرانا إما خداماً راغبين أو مستعفين، متضعين أو مستكبرين، نافعين أو

بطالين، طائعين أو متمردين.



# الفصل الثالث عشر

## رحلة السفاري الموحشة

كان لنا ثلاثة أشهر فقط في الجابون، عندما طُلب مني أن آخذ عائلة ويب المرسلين الجدد - الذين وصلوا للتو - لأوصلهم إلى موقع خدمتهم المقرر في جنوب شرق الجابون. و كان هناك ايضا المرسلان العائدان من إجازتهم، إنيد ميلر، وراي ومورين هولكومب؛ اللذان يمثلان باقي القافلة.

وضعنا في سيارة النقل الدودج القديمة - الخاصة بالإرسالية - ذات حمولة الخمسة طن- الحقائب، والصناديق، والبراميل، وركب المسافرون في سيارتي اللاند روفر.

غادرنا بونجولو في السابعة صباحاً، وتسللنا نحو الشمال الشرقي إلى الطريق الوطني رقم ٤، السيء السمعة ، من لياباما إلى ميمونجو إلى كاولا ماوتو، ثم أخيراً إلى مواندا. الطريق ترابي ، في حالة سيئة وقد كان واعراً جداً. بعض الأماكن قد تآكلت من مياه المطر، وتُركت فيها حفراً عمقها من (٦٠ الى ٩٠ سم) الأمر الذي يجعل السيارات تكاد تتحطم من شدتها ،وفي أماكن أخرى، تعفنت فلنكات الجسور، وتحطمت بعض أجزائها.

لقد كان السفر في موسم المطر شبه مستحيل، لكننا كنا في الموسم الجاف، فنحن في غنى عن أن نخوض في حفر من طين يزيد عمقها عن ١٢٠ سم. وصلنا كوالا ماوتو بعد ١٢ ساعة من القيادة المرهقة، والشاقة ، بسرعة (١٦ كم/س) فقط.

كان بيت الإرسالية قد أُغلق لمدة سنة وغطى التراب الكثيف الأثاث، والأرضيات. ومن شدة الإرهاق لم نبالي بذلك ، وبعد أن تناولنا وجبة العشاء من بعض المجلات، إستغرقنا في النوم. وسوف يبقى إنيد ميلر، وعائلة ويب هنا في كاولا ماوتو. في البداية قمنا بتفريغ متعلقاتهم من السيارة النقل، وسيارتي.

وكانت إنيد قد تركت سيارتها في مواندا أثناء سنة إجازتها. لذلك رافقتنا باقي الرحلة . جاء واين ويب ليساعدنا في تنزيل البراميل الثقيلة، والصناديق.

تركنا سيارتي في كاولا ماوتو. وركبت في كابينة النصف نقل مع رون إسرائيل. وهو طبيب بيطري مرسل، سبق له، وخدم في غينيا لعدة سنوات قبل أن يأتي إلى جابون. كان يتعامل مع سيارة الدودج الضخمة في منعطفات الطريق الترابي بسلاسة، وهدوء واضح. وصلنا مواندا حوالي الثانية مساءً. مواندا هي منطقة استخراج المنجنيز في الجابون، ومع أنها بعيدة نحو الداخل، إلا أنها متطورة نسبياً عن المنطقة المحيطة ببونجولو.

لقد كان موقع الإرسالية هنا مهجوراً أيضاً لمدة سنة. محاط من كل جانب بالنجيل، والأعشاب بإرتفاع الركبة. أفرغنا حمولة السيارة على الساعة الرابعة مساءً؛ فنقلنا متعلقات عائلة هولوكومب ، وقد قرر رون و واين أن نعود في الحال إلى كاولا ماوتو، مفضلين السفر في الليل لتفادي حر النهار.

وقد نظفت مسز هولوكومب الموقد وأخرجت الأطباق، والصواني، والقدر، وأعدت وجبة شهية لبقيتنا. وقد جاء كثير من الأصدقاء الجابونيين ؛ ليستقبلوا إنيد، وعائلة هولوكومب، وقد رحبوا بعودتهم إلى مواندا.

وجلسنا مع بعضهم ، وعند الساعة الثامنة مساءً، فوجئنا بواين وقد فتح الباب الأمامي، ودخل إلينا. إن ظهوره المفاجيء أدهشنا. لقد تركناها هو ورون منذ أربعة ساعات مضت. هذا معناه أن خطأ ما قد حدث. أكد واين مخاوفنا. محور رولمان بلي العجلة الأمامية قد انكسر ، أوقف رون السيارة على جانب الطريق المحاط بالأدغال الكثيفة. يجب أن يجدوا قطعة غيار أخرى لتحل محل العاطلة. بقي رون عند السيارة ليحميها من اللصوص، وأوقف واين سيارة مارة وركب. وبالطبع السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : أين يمكن ان نجد في قلب أفريقيا محور رولمان بلي، لعجلة أمامية لسيارة نقل أمريكية من هذا الموديل الذي قد مضى عليه سبع سنوات؟؟ وفقاً لمعلوماتنا، وبخبرة المرسلين أنها السيارة الوحيدة من هذا النوع في أفريقيا كلها التي مازالت تعمل.

ركعنا لنصلي، ونطلب من الرب أن يساعدنا كي نجد حلاً لهذه الورطة. خطر ببال راي هولوكومب فجأة ، فكرة ، فقال “ انتظروا دقيقة ، انتظروا دقيقة“. كان يصرخ تقريباً. لقد اعتادوا في رابطة السلام أن يستخدموا نفس النوع من السيارات - وهي منظمة لديها مشروع إغاثة كبير نسبياً هنا في منطقة مواندا، عمره سبعة سنوات كان فيه حوالي ١٠ إلى ١٥ متطوع، ولديهم ثلاثة وأربعة سيارات دودج-.

وحين تعكر الجو السياسي بسبب كلمة أو موقف، لا أحد يذكر بالضبط ما هو السبب ، طلبت الحكومة منهم بغضب أن يغادروا البلاد. وعند مغادرتهم فعلوا شيئاً به يجعلون السيارات غير نافعة في شيء. وبعد عدة سنوات نمت الأعشاب، والشجيرات بإرتفاع عدة أمتار في المخيم الواقع خلف قرية بالقرب من مواندا . وفي موسم الجفاف يقوم أهالي

المنطقة بحرق النجيل، والأعشاب الطويلة، وبالتالي كل ما في المعسكر قد إحترق حتى سيارات النقل. ومع مرور السنين لم يتبق منها سوى هياكل سوداء علاها الصدا، مدفونة وسط الحشائش الطويلة. كانت القرية تبعد كيلومترات قليلة عن المدينة وراي كان متأكداً أنه يمكن أن نصل لمكان المخيم القديم بسهولة.

إننا استطعنا أنا وهو أن نجد واحدة من هذه السيارات، فسوف نحل القطعة التي نريدها ونأتي بها. ويمكن أن نأخذ رون في الصباح في طريقنا إلى كاولا ماوتو. بدا لي أن الأمر ليس بهذه السهولة، لكنني كنت مستجداً، وليس لي أن أبدي رأياً في ذلك. وجد راي كشاف نور، وفانوس ووضع أدواته في حقيبة السيارة. وانطلقنا، في أكثر رحلات البحث وحشة في حياتي. اتجه مباشرة إلى القرية التي على حدود مواندا. وقرب الطريق كانت هناك نار صغيرة موقدة أمام أحد المنازل.

اقتربنا أنا وراي ، وكان هناك رجل عجوز وبعض الأطفال. تعرّف علينا لكن بشيء من الريب . شرحنا له سبب مجيئنا لكنه لم يكن يسمع لنا، واستمر يدخن البابيب. أصر راي أن يسأل الرجل كي يساعدنا أن نجد سيارات النقل القديمة خلف القرية. في النهاية أجاب وقال: “هذه الليلة؟”، قلنا له: “أنا نحتاجها هذه الليلة حتى نتمكن من توفير القطعة المفقودة، ونذهب بها إلى القس رون إسرائيل في الصباح”.

كل ما قاله : “ ليس هذه الليلة “ ، لم يكن هناك مجال للمناقشة . كانت باقي المنازل الأخرى قد أغلقت في هذا الوقت من الليل. قرر راي أننا يجب أن نبحث عنها بأنفسنا. قال: « أنا متأكد أننا سنجدها ، دعنا نأخذ الفانوس». فذهبنا إلى السيارة، وأضأنا فانوس الكولمان. حوّل الرجل وجهه، ونحن نغادر لكنه ظل على كرسيه. كنت مستعداً أن أعمل طوال الليل وأبحث بين أكوام بالية، لكن بينما كنا نمرو وسط الأعشاب الطويلة، والكثيفة، شعرت بشيء من القلق. أليست هذه الدولة معروفة بثعابينها السامة؟.

أذكر أنني قد رأيت أفعى جابونية في حديقة الحيوان بسان ديجو منذ عدة سنوات مضت. ورغم أنها كانت خلف الحاجز الزجاجي السميك لكنها كانت مرعبة الشكل، وها أنا اليوم أدوس، وأغوص في مسقط رأسها. وماذا عن الكوبرا؟ يبدو أن المكان مرعى ممتاز لها. يبدو أن راي لم يكن قلقاً، أو منزعجاً من الكائنات العدائية. على أية حال تبعته

بكل هدوء وسط حدائق الحشائش. ومن فوق سورمن البوص عبر الطريق الذي بالكاد تُرى فيه الأشياء.

رأى شيئاً في ضوء الفانوس. عندما ظن أننا قد صرنا بالقرب من موقع المخيم، تحول عن الطريق، ودخل وسط الحشائش الكثيفة. وسط سكون الليل كنا نبدو كأفيال تسير في الأدغال. ارتسم في ذهني التذكار الذي سينقش على نصب مقبرتي: “ دكتور دافيد طومبسون ( ١٩٤٨ - ١٩٧٧ ) دهسه ثور وحشي بعد أن عضته أفعى في الجابون“.

بعد عشر دقائق من التخطب حولنا، وجدنا فجأة أمامنا برج من كابلات الضغط العالي. وكونا في رحلة سفاري موحشة في قلب أدغال أفريقيا، و عثرنا على برج كهربائي، فقد كان ذلك صدمة ثقافية هائلة . وبالرغم من هذا التباين الشديد ، كان ذلك مؤشر أمان على أية حال، فعندما اقترح راي أن نتسلق هذا البرج؛ كي نرى الصورة أفضل من أعلى ، كنت سعيداً جداً أن أصعد لكي أهرب من الحشائش الكثيفة، وما تخفيه وأكون في مأمن من الأفاعي.

تسلقنا حوالي تسعة أمتار غير مباينين بالأسلاك التي تمر فوق رؤوسنا. ووجهنا الفانوس نحو الأرض عسى أن نرى شيئاً، لكن ضوء الفانوس لم يكن شديداً لدرجة أننا لم نرَ أي شيء تحتنا. فنزلنا محبطين، وواصلنا تنقلنا، واقترح راي أن نتخذ اتجاهها آخر. فسمعنا صوتاً جديداً ، كان من بعيد ولم نلتفت له في البداية .

لكن خلال دقائق أدركنا أنه يقترب إلينا من عدة إتجاهات دفعة واحدة. بعد ثوان أدركنا أنها أصوات بشرغاضبين. لم يحتج الأمر خبرة ثقافية لكي ندرك أننا في ورطة حقيقية.

مرت دقيقة ووجدنا عشرة رجال حولنا يصرخون، ويضربون الحشائش بغضب. كانوا مرتعبين لكن بالأكثر غاضبين. كان العرق يتصبب من وجوههم، ومن صدورهم و كانوا يصرخون بصورة مشوشة. بالطبع كان الأمر صعباً عليهم كي يستوعبوا ما هم يرونه . ما الذي جاء بهذين الرجلين الأجبيين ذوي البشرة البيضاء؟ وما الذي يجعلهما يحومان خلف قريتهم في العاشرة ليلاً؟

كمرسل مستجد، أعطيت الفرصة لراي أن ينقذنا من هذا الموقف. من المؤكد أن الرب

قد أعطاه جرأة أن يتكلم بكل شجاعة، في الوقت الذي فيه تكلمت شفتاي. بدأ يكلمهم باليانزيبي؛ وهي لغة الرجال الذين يحاصروننا. وبدأ عليهم كمأ من الدهول، والهدوء. وبعد أن شرح لهم رأي ما قد جئنا من أجله. خفض الرجال مناجلهم تدريجياً. شيئاً فشيئاً أقنعهم أننا بالفعل مرسلون. وأنا مهتمون بأن نجد سيارات رابطة السلام. بعد حوالي ١٠ دقائق من المناقشة، استطاع رأي أن يطلب منهم المساعدة بعد أن عرض عليهم أن يدفع لهم مقابل مساعدتهم. وهكذا تبخرت العداوة .

تفرق الرجال في عشرة اتجاهات مختلفة. وفي غضون دقائق قليلة، وجدنا إحدى السيارات. ركض رأي إلى سيارتنا ليأخذ أدوات العمل، بينما كنت أنا أخلي المكان من بعض الحشائش. وبالرغم من أن الإطارات كانت محترقة، لكن لم يكن صعباً وضع الرافعة، وفك العجلات. كانت المسامير مصدأة، لكن بواسطة الإزميل إستطعنا حلها. خلال نصف ساعة استطعنا أن نفك كرسي محورولمان البلي؛ الذي نريده، وهو لم يزل بالشحم الذي عليه.

من الصعب تصديق أنها ستناسب سيارتنا الدودج. دفع رأي دولارين لكل واحد من الرجال، ثم عدنا للبيت بسعادة وارتياح.

في اليوم التالي ساعدت إنيدي ميلر؛ كي تخرج سيارتها من المخزن. دارت السيارة بسهولة، وعدنا لنكون مستعدين أن نغادر لكاولا ماوتو. ثم طلب مدرس من المدرسة الابتدائية المحلية أن نأخذه هو وزوجته معنا إلى كاولا ماوتو. وبما أنني سأقوم بالقيادة، تركت إنيدي الأمر لي كي أقرر في أمر الركاب. فوافقت أن آخذ إثنين من الركاب، وحقيبتين بقدر سعة السيارة اللاند روفر. توقعت أن المدرس سيأتي، ويضع الحقيبتين في السيارة، ونحن نتناول أنا وإنيدي الإفطار. ولكن عندما خرجنا من البيت؛ إندھشت عندما رأيت عشرة أفراد حول السيارة . لم يكن المدرس نفسه داخل السيارة، لكن زوجته، ومعها ثلاثة آخرون، وكان هناك ستة حقائب سفر، وأجولة طعام محشورة في الداخل.

يبدو أن المدرس قد ضايقه أي أمرت الكل أن يخرجوا من السيارة. أخيراً خرج شخص واحد منها. لكن لم يقترب أحد من الحقائب. وهنا نظر الآخرون إليّ كما لو كانت لغتي الفرنسية فجأة أصبحت ركيكة؛ للدرجة التي لا تفهم.

شعرت أن وجهي ورقبتي إصطبغا باللون الأحمر ، وعلى الدم في عروقي، وملكت أعصابي



التي كادت أن تنهار؛ كي لا أصرخ في وجه الاثنين الآخرين. وبهدوء سحبت الحقائب،  
والسلال، وأجولة الطعام، وأخرجتها من السيارة. ثم خرج واحد من السيارة. أغلقت  
الباب الخلفي، وكانت إنيد في السيارة.

قادت السيارة بمشاعر مضطربة. قالت إنيد أخيراً : “ لهذا السبب تركتك تتعامل مع  
الموقف، هذا الأمر يحدث في كل مرة، لقد تعودت عليه.”

سألتهما عندما هدأت قليلاً، عالماً أنني لم أتمكن من إخفاء غضبي : ماذا كنت تفعلين؟  
تنهدت، وهزت رأسها، وقالت : “ كنت أجعلهم يخرجون كلهم لكنك تصرفت جيداً ، لقد  
كانوا يختبرونك ، الآن قد علموا ما الذي يتوقعونه منك.” فتساءلت بصوت عال : “ ماذا  
لو كنت قد استسلمت لهم ؟. أجابت وهي تضحك : “ في هذه الحالة يجب أن تتعود  
على أن الناس ستجاهل ما تقوله لهم.” فسألت : ماذا لو رفض الناس ببساطة أن يخرجوا  
من السيارة؟“ قهقهت، وقالت : { أوه ، تعلمت بعض الحيل، لكنها تحتاج إلى طول أناة  
أكثر في هذه الحالة.” فسألتهما عن الحيل التي تستخدمها، لقد أردت أن أعرف.

فقالت : “ أنزع المفاتيح، وأخرج من السيارة، وأبلغهم بأن السيارة لن تتحرك إن لم  
يخرجوا منها. ثم أبحث عن مكان أذهب فيه، وأستريح. في النهاية ، كل الذين من  
المفترض أن لا يكونوا هناك ، سيخرجون منها، وسأذهب أنا في طريقي.”  
بساطة الفكرة جعلتني أضحك. بعد ساعتين كنا نقف خلف السيارة الدودج المتعطلة.

لم يصدق رون أننا قد وجدنا رومان بلي المطلوب. تغيير القطعة القديمة، وإستبدالها بالتي  
أحضرناها، لم يستغرق أكثر من ساعة . تحرك رون أمامنا طوال الطريق إلى كاولا ماوتو.  
في هذا المساء ودعنا إنيد، وعائلة ويب، وإنطلقنا في طريق العودة إلى بونجولو. كان الجو  
حاراً جداً، وقيادة السيارة ميل بعد ميل على الطريق الترابي، خلف السيارة الدودج،  
جعلني أكاد أموت من العطش.

بحلول المساء كنا قد شربنا كل الماء الذي لدينا. توقفنا بالليل في قرية بها كنيسة، حيث  
قابلونا بترحاب حار، بواسطة أحد شيوخ الكنيسة المتقدمين. وقدمت زوجته لنا وجبة  
شهيية. لكننا كنا عطاشاً جداً لدرجة، أننا بالكاد تذوقنا الطعام. في الحقيقة لم نرد أن نشرب

من الماء الذي قدموه لنا، لأننا نعرف أنه غير صحي؛ فاستعفينا بصورة مهذبة، واستحيينا أن نطلب منهم أن يغلوا لنا الماء؛ لكي نشرب، لذا ذهبنا للنوم بحلول جافة.

وفي الصباح قام المضيف بغلي الماء لكي يصنع القهوة. يبدو أنه كان متعجباً عندما رأانا نشرب كمية كبيرة. وفي السابعة صباحاً، عدنا لطريقنا، ومن شدة العطش، كنا نحلم بالماء المثلج الذي سنشربه فور وصولنا للبيت.

وصلنا بونجولو حوالي الثالثة عصراً، بعد أن غطى الغبار الأحمر كل شيء فينا. كان أعذب، وألذ ماء بارد شربته في حياتي .

طالما اندهشت من الطريقة التي بها لمسنا عناية الرب بنا. لكن هذه المرة تعد من الإختبارات المذهلة في حياتي. في قلب الغابات الإفريقية الممطرة، دبر الرب بطريقة عجيبة، رومان بلي لعجلة أمامية في سيارة الإرسالية، دودج أمريكية تعمل لمدة سبعة سنوات في أفريقيا!.

بكل يقين كتب الرسول بولس عن هذا النوع من الإختبارات، قائلًا: ﴿فَيَمْلَأُ إِلَهِي كُلَّ أَحْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.﴾ (١٩ : ٤)   
إلهنا ليس فقط ﴿لَهُ حَيَوَانُ الْوَعْرِ، وَالْبَهَائِمُ عَلَى الْجِبَالِ الْأَلُوفِ﴾ بل له أيضاً الحطام من كل الصنوف .

# الفصل الرابع عشر

## حرب الجدي

بعد تجربة المرحاض خضت تجربة الجداء. الجداء واحدة من الأشياء التي لفتت إنتباهنا، عندما وصلنا بونجولو، متواجدة في كل مكان. تفقر هنا وهناك بحرية في موقع الإرسالية، وأرضيات المستوصف؛ حتى على نوافذ الكنيسة تجدها واقفة بكل تحدٍ.

حوالي ١٠٠ جدي يعتبرون المستوصف بيتهم . وكل مكان يذهبون إليه يتكون فيه أثراً . كان الروث كثيفاً بصفة خاصة على عتبات المداخل . مما جعل أرضية المستوصف متسخة دائماً. وفي نهاية اليوم يجف الروث، ويكتسح المستوصف كله في سحابة ترابية. وفي النهاية نجد غبار الروث قد غطى كل شيء. وتقع على عاتقي مسئولية تطهير المستوصف من وباء التيتانوس الناتج من وجود الروث.

خلال الأسابيع الأولى، وضعت الجداء تحت ملاحظتي. رغم أنها محاطة بأفدنة كثيرة من الحشائش الناضرة، والخضرة الغضة، لكنها تحوم في ساحات المستوصف، تحك أجسامها في حوائط المستوصف. كل مبنى في بونجولو عليه خطوط بنية اللون بعرض (١٥سم). باستسلام صريح ، كفت الإرسالية عن دهان الأجزاء السفلية - بارتفاع متر ونصف - من الأسوار، والحوائط الخارجية.

كنت واضحاً عندما قررت أن أفعل شيئاً في هذا الأمر. بدأت بالطلب من فريق العمل أن يرشقوا الجداء بالحجارة؛ أينما وجدوها داخل المستوصف. ولكنهم لم يكونوا متحمسين؛ لذلك وفي نهاية الأسبوع الأول؛ كنت أنا وحدي في السباق أمسك بالشعلة.

ولشهور عديدة ،كلما أتى جدي في المكان الذي أنا فيه ، أتوقف عمّا أعمله، وأتظاهر أنني أبحث عن حجر، فعرفت الجداء ذلك، وكانت تتفرق فور رؤيتها لي. تعلمت أنه كي أصيب هدفاً؛ وجب عليّ أن أكون حاذقاً. كلما رأيت جدياً، أجول ببصري حولي حتى تقع عيني على حجر، فأتسلل بخفة؛ متظاهراً بأنني لا أبالي مطلقاً بالجدي وألتقطه، ثم أستدير، وأرشقه بقوة. أما عن الجابونيين، أو حتى فريق العمل الذي معي، فلم يأخذوا المسألة بهذه الجدية، وكانوا يعتقدون أن ما أفعله هو أمر مضحك.

ثم بعد ستة أشهر من إعلاني الحرب على الجداء ، ظلّ عدد الجداء كبيراً كما كان. فقد كانت الجداء ببساطة تبتعد عندما أكون متواجداً، ثم تعود في الليل للنقمة. ولكنّي لم

أقبل الهزيمة؛ فبدأت أفكر في خطة حديثة. إشتريت بندقية تعمل بضغط الهواء.

كان حل المشكلة؛ بأن يكون هناك قصاص لمن يتعدى الحدود. فترتبط المستشفى بالنسبة للجداء بالوخز الموجع . لقد رأيت أنه كي تنجح الفكرة؛ عليّ أن أطبق النظام الشرطي. علمت أنه لابد أن يكون هناك ضحايا من الجداء، لكنني أعلم أنه قد يسقط منها واحد. في ذلك الحين سأكون راضياً، وأنا أري جثث الجداء في حديقة المستشفى. بالطبع هذا سيتبعه ثورة تدمر؛ لأن الجداء تمثل ثروة لأصحابها، فكل جدي له مالك. لماذا إذا الجابونيون يسرحونها هكذا؟ لست أعلم، لكنهم على أية حال يعرفون أي جدي ينتمي لمن بالضبط؟.

قبل استخدام البندقية الهوائية ، استشرت قسيس القرية . فنصحني القس فيليب بالتأني والصبر، لكنني أشك أنه قد قال ذلك خوفاً على جدائه، أكثر من مساعدتي على حل المشكلة . ومع ذلك عندما تحقق أنني اتخذت الأمر بكل جدية، وافق أن يعلن في الكنيسة في الأحد التالي: أن الناس إذا لم تمنع جدائها من التواجد في فناء المستشفى، خلال أسبوع، سوف يطلق الطبيب عليهم الرصاص.

وفي صباح الأحد التالي، أعلن ذلك، وبعد لحظات من صمت الصدمة. كان هناك ثثرة، وتذمر تعبيراً عن عدم الموافقة. كل الوجوه إلتفتت لتّ وجهي الصارم.

وبعد أن استخدم القس الجرس الصغير الذي في يده ليلزمهم الهدوء، استأنف الخدمة. وهكذا أصبح لدى أصحاب الجداء، أسبوعٌ واحدٌ؛ ليضعوا سياجاً حول جدائهم. فقليل من الناس - الأكثر إخلاصاً - أتوا، وأخذوا بعض جدائهم. إن هذا الأمر يتطلب خفة وتكلفة ، يتطلب أشخاصاً لهم لياقة بدنية عالية، ويتطلب حبالاً طويلة مكلفة. ثم بعد وقت قصير أكلت الجداء الحبال، وعادت للمستشفى. إنتظرت بشوق حتى ينتهي أسبوع المهلة.

وفي صباح الإثنين كنت مستعداً للصيد. فقامت بجولاتي في المستشفى، ورأيت المرضى. عدت بعد الظهر للمستشفى، ومعني البندقية الهوائية، و جراب ممتليء بالطلقات. إن

شهور العجز قد انقضت؛ بعد أن رأيت الجداء تصرخ، وتهرب، تجنباً لوخر الطلقات. لم أكن أعرف أنها بهذه الدرجة من الغباء، والبلادة. يستغرق الأمر مع الجدي الواحد خمسة ضربات بالعصا؛ حتى يشعر بالوجع، ويتحرك من مكانه. ومع البعض الآخر يستغرق ضربتين، أو ثلاثة؛ حتى تفهم؛ أن الهروب من الوجع يتطلب منها فقط أن تغادر المنطقة بأسرع ما يمكن.

وخلال عشرين دقيقة لم يبق في المكان أثر لها، سوى ثلاثة جثث ملقاة على الأرض. للأسف، إن هذه الثلاثة جداء ملك القس فيليب!. لكن يُحسب له أنه قبل الخسارة؛ ثمناً لوجود طبيب ومستشفى عندهم!.

ومع أن المعركة قد حُسمت، لكن الجداء عادت مرة أخرى في اليوم التالي. فعدت مستخدماً ذات الصرامة، وبعد أسبوعين تقريباً لم يبق سوى القليل. العنيدون فقط كانوا متواجدين إلى أن أُمسك البندقية، وأصدر صوتاً بها؛ فيفرون في الحال.

إن الحرب على الجداء قد عوقت جدول عملي في المستشفى. أحمل البندقية في كل جولتي. وكلما رأيت جدياً كنت أتوقف حتى إن صوبت تجاه الأرض. وكان الأطفال في المستشفى يعتبرونها وسيلة للعب، فيأتون إليّ، ويقولون لي: ها هو مختبيء هنا أو هناك.

وبعد سنة .... نعم، سنة من الصراع بدأت أشتم - حرفياً - رائحة الانتصار. ما عدا قليل من الجداء لم تعترف بالهزيمة. فهي تكون بعيدة أثناء النهار، وعند حلول الليل تأتي؛ لأنها تعلم أنني لست موجوداً. وعندما أتيت للعمل في الصباح، كان منظر الروث على المناضد، وصالة الإنتظار، والفناء؛ جعل الدم يغلي في عروقي. ومع مرور الوقت عرفت أين الجداء التي تسبب هذا.

وفي ظهر يوم قررت أن أذهب ورائها؛ فوجدتها في الغابة، من الجانب الآخر للكنيسة، وعندما سمعنتني، إختبأت تحت الشجيرات. ومع أنني كنت لابساً البالطو الأبيض، فقد قررت أن أذهب وراءها. أحطت بها، حول الشجيرات الكثيفة، وأصدرت صوتاً مربعاً؛ لأخيفها، فتخرج للخارج؛ حيث أستطيع أن أعاقبها، لكنها فضّلت الإختباء، إقتربت إليها أكثر، ثم وقفت على شجرة ساقطة. كنت على بعد ٦ أمتار لمحت جدياً من ظهره. وضعت البندقية على كتفي، وصوبت فوهتها نحو الفروة البنية اللون، ووضعت إصبعي على

الزناد. وفجأة شعرت بأن رجلي قد لُسعت كما بنار. فمن شدة إهتمامي بتتبع الجداء ، وقفت فوق صف من النمل الكتائبي. وهذا النمل الكتائبي لديه قدرة فائقة أن يتسلل بطريقة غريبة، و سرعة محمومة إلى جسم أي حيوان، أو إنسان.

وكان ما يهمني في ذلك الوقت؛ هو أن أتخلص من هذا النمل فخلعت بنطلوني؛ لكي أتخلص منه، وقد شعرت كأنه غرس أنيابه في جسمي.

. أدهس هنا وهناك، وأقفز هنا وهناك، وأخيراً تمكنت أن أنتزع النمل الكبير في أول دقيقتين، ثم تخلصت من الصغير في خمسة دقائق أخرى. وشعرت بالراحة لأنه لم يكن هناك أحد يراني. لبست بنطلوني، وخرجت من الغابة . لم أكن مستعداً أن أستسلم للهزيمة. فعندما أتيت إلى زاوية مبنى الكنيسة. رأيت الجدي ، وصوبت بندقيتي نحوه من الخلف. ولدهشتي أنه قفز، وجاء في ذات مسار الطلقة التي أصابته في رأسه في مقتل.

ثم بعد يومين زارني القس فيليب . تبادلنا الأخبار، وتحدثنا قليلاً، قبل أن يبق صامتاً . بدأ يفرك يديه، ويحمم بفمه . ففهمت أنه يريد أن يقول شيئاً.

قال لي : “ هل تذكر الجدي الذي قتلته من يومين، يا دكتور؟ ” فقلت له : “ نعم أتذكر ” فحمم، وقال إنه يخص ليبونجو أنطوان. لم اكن أعرف عن ليبونجو أنطوان شيئاً، سوى أنه مدرس في المدرسة الابتدائية المحلية. كان معروفاً بأنه سكير، وعصبي، و حين يأتي للمستشفى يتعامل بوقاحة؛ كي ينال خدمة متميزة، رغم أنه كان يتعامل معي بشيء من الاحترام.

واصل القس كلامه ، فقال “ كان ليبونجو غاضباً جداً؛ لأنك قتلت جديه. وبالأمر كان يسكر مع رفقاءه ، وقال لهم أنه سوف ينتقم “. لم أكن خائفاً من ليبونجو أنطوان. فقلت : “ ما الذي يمكن أن يفعله معي؟ “.

أجاب القس : سوف يؤدي أطفالك؟ وعندما سمعت ذلك، تسلل الرعب لقلبي، ابنتي راشيل عمرها ٥ سنوات، وجاشوا عمره سنتان. فسألت : هل هو جاد فيما يقول؟ . أجاب القس : “ لا نعرف لكن كل القرية تعرف عن هذا التهديد، والكل غاضب منه. فهو لا

يعمل شيئاً علناً، وعلى الأقل يمكنه أن يرسل لعنة على أولادك.“ كمؤمن كنت أعلم أننا لدينا حماية من تلك اللعنات، والأعمال الشيطانية، ورغم أنني لا أعرف الكثير عن الحرب الروحية، لكنني لم أكن قلقاً كثيراً. ثم سألت القس : “ماذا تقترح عليّ أن أعمله، هل أذهب إليه وأعتذر له؟“.

لم يكن مقتنعاً أنه عليّ أن أعتذر له. ألم أحذر الكل؟ . أليس هناك جداء أخرى قتلت؟. ثم قال لي : “ربما عليك فقط أن لا تخيف الجداء لأسبوع، أو أكثر، حتى تهدأ الأمور. وفي ذات الوقت يجب أن تستودع أولادك لأمانة الله وعنايته وتكفل عليه“.

صلينا معاً ثم غادر. وبعد أن مضى ، ركعنا أنا وبيكي على ركبينا، واستودعنا نفوسنا، وأولادنا مرة أخرى لله؛ واضعين الكل تحت حمايته. لم أرَ ليبنوجو أنطوان مرة أخرى قبل أن أعود للولايات المتحدة، لأنه بعد هذا الموقف بوقت قصير إستخدم شيوخ الكنيسة نفوذهم كي يرسلوه إلى مدرسة أخرى، ليعلم فيها تبعد حوالي ٨٠ كم، لكن مع ذلك فهي ليست آخر مرة أراه فيها.

وماذا عن الجداء؟ لم تزل المشكلة قائمة ، لم تنته بعد. فكل جدي يولد في بونجولو يبدو أنه ينبغي تعليمه أنه إن وضع قدميه في المستشفى، سيلقى عقاباً أليماً. لم تتعب الجداء من التكاثر، لكنني تعبت من الصراع. ربما يأتي اليوم الذي فيه يمكن استخدام طريقة أحدث . إن اخترعوا مبيد جداء بالليزر!، سأكون سعيداً جداً به.



# الفصل الخامس عشر

## نوربرت

عندما وصلنا إلى بونجولو لأول مرة، كان مويليت نوربرت، الممرض الجابوني الوحيد في المستوصف . لقد استطعت بواسطة نوربرت أن أشعر بالصراع، و المعاناة التي يجتاز فيها المسيحيون الأفارقة، وقد أعجبني إيمانهم.

وذات يوما جاء نوربرت إلى العمل بوجه مكتئب على غير عادته؛ إذ هو شخص بشوش. لذلك لاحظت هذا التغيير في الحال. فسألته عما يضايقه؟. فقَصَّ عليَّ قصته الغريبة، والتي يصعب تصديقها. قال لي : “ من المحتمل أن أفقد زوجتي ، من فضلك صلِّ من أجلي“. فسألته:“ ما الذي سيحدث لزوجتك؟ محاولاً أن أخفي دهشتي“. أعرف أن معهم ثمانية أطفال؛ فرأيت انه من الغريب أنه “ محتمل أن يفقد زوجته“.

فتنهذ وقال: “ حسناً، عم زوجتي حلف أن يُبطل زواجنا، ويجبرها أن تعود لأبويها مع كل أطفالنا “. كان يقول هذه الكلمات؛ وهو يكاد يبكي.من الواضح أن هذا احتمال كبير، ووارد حدوثه بالفعل. فسألته : “ لماذا إذاً يريد عم زوجتك أن يفسخ زواجكما؟“ أجاب:“انتقاماً.“ قلت : “ منك أنت؟“ أجاب :“ لا ، بل إنتقاماً من عمي، الذي يعيش معنا في نفس القرية“. كان صعب عليّ أن أفهم الموضوع، لكن حيث أن فضولي لا يضايقه فسألته :“ولماذا يريد عم زوجتك أن ينتقم من عمك أنت؟“. فبدأ يروي ما قد حدث وقال: “ حسناً، إنها قصة طويلة“ .

فمنذ سنوات هياً نوربرت، وزوجته قطعة أرض؛ ليعملها حديقة بالقرب من قريتهما إيديمبي. زرعاً بها بعض الأشجارعلى رقعة مساحتها نصف فدان . وقد أثمرت الأشجار جوز هندي. ومرار السنين، يُنتج الجوزالمساقط أشجاراً جديدة. وبعد أن انتقل نوربرت، وزوجته إلى بونجولو، أعلن كلُّ من عم نوربرت، وعم زوجته ؛ أن المزرعة قد صارت ملكهما، وكلاهما بصورة دورية، كانا ينقران الأشجار ليصنعا منها نوعا من المَشروبات. إنه عمل فيه مجازفة بالنسبة لكبار السن، لأنه ينبغي للواحد أن يتسلق الشجرة حتى يصل لقمتها؛ ليغرس أنبوبة جوفاء رفيعة في قلب الجوز، ويوصلها بزجاجة؛ لكي يجمع فيها العصارة . وفي اليوم التالي يتسلق الشجرة مرة ثانية ليأخذ الزجاجة بدون أن تسقط منه، أو يُسكب ما فيها. كان على كل منهما أن يلف وسطه بمنطقة من السعف، أو الألياف، وحول الشجرة أيضاً ثم يتسلق الشجرة، وإن انزلقت قدمه، أو انقطعت المنطقة التي يحتزم بها مع الشجرة؛ فإن العواقب ستكون مميتة.

وذات يوم، ذهب عم زوجة نوربرت إلى المزرعة؛ ليأخذ الزجاجة التي وضعها في اليوم السابق. وعندما وصل إلى الشجرة وجد عم نوربرت، قد أفرغ الزجاجة الممتلئة في زجاجته. ذهب عم زوجة نوربرت بغضب، وتسلق شجرة أخرى يتسلقها عم نوربرت، ونازعه لينزله فسقط على الأرض وانكسرت ساقه. كانا محظوظين أنهما لم يموتا، ولكن الصراع لم ينته.

جبرّحكيم القرية المحلي ساقه المكسورة، ونظراً لأن الكسر كان بسيطاً فقد التأم سريعاً. لكن عازمت العائلة على الإنتقام. كان نوربرت هو الوحيد الذي يكسب دخلاً في العائلة كلها. وكان يعول بدخله الضئيل زوجته، وثمانية أطفال، بالإضافة إلى عمه، وعم زوجته بعائلتيهما.

وهو لم يزل يسدد مهر الزواج لعائلة زوجته. وكان العرف السائد بين شعب البنزيبي أن الزوج يستمر يدفع إلى أن يُرضى أنسابه تماماً. هذا الأمر قد يستغرق عقداً من الزمن. لذا فإن نوربرت لم يكن فقط ينفق على أبويه، وعمه، بل ينفق أيضاً على عائلة زوجته. لكن رغم ذلك، قررت عائلة زوجته أن الانتقام أكثر أهمية من الدخل. وقد قرروا أن أفضل طريقة للانتقام هي إيذاء العائلة الأخرى، وأفضل ما يمكن عمله في هذا الشأن هو إفساح زواج نوربرت. وحيث أنه وفقاً لتقاليد شعب البنزيبي أن الأطفال ينتمون لأهمهم، وعائلتها، فقد قرروا بإصرار أن زوجة نوربرت يجب أن تعود لبيت أهلها. وبالطبع ستعود، ومعها كل أطفالها.

إن أراد نوربرت أن يعيدها؛ يتعين عليه أن يتفاوض من أجلها مع أنسابه الذين سوف يطلبون سعراً مرتفعاً؛ كما لو كان تغريماً بسبب الساق المكسورة. إنه نوع من المقاضاة بين سكان الأدغال. وبعد أن شرح نوربرت القصة بتفاصيلها؛ صرت مغموماً مثله تماماً. فسألتها: "لكن لماذا لا تستطيع زوجتك أن ترفض؟ ألا تحبك؟". استغرق بعض اللحظات يفكر في السؤال ثم أجاب أخيراً: "حسناً، لا أعرف". فسألتها عما إن كانت هناك مشاكل بينه وبين زوجته، فأجاب: "لم يكن بيننا مشاكل أبداً إلا التي بين عمي، وعمها". ومع ذلك لا يعرف إن كانت زوجته تحبه أم لا!!.

بمنظوري الغربي، وجدت أنه من الصعب أن أفهم هذه التركيبة المعقدة. وبإصراري وفضولي أن أعرف، شرح لي كيف أن الأزواج الجابونيين، وزوجاتهم نادراً ما يظهرون

مشاعرهم، ويعبرون عن حبهم الواحد للآخر، لكن هذا لا يعني أن كل منهما لم يكرس نفسه للآخر. لم يُرد نوربرت أن تتركه زوجته، ولا يريد أيضاً أن تكون زوجته منبوذة من عائلتها. إن عارضت عائلتها في هذا الأمر، فإن عائلتها ستتبرأ منها، و يكون ذلك عاراً عليها. ولكي يعالج هذه المعضلة رأى أنه يجب أن يتفاوض معهم. أنه يفكر بطريقة حكيمة، لكن ما يزعجني: هو أن زوجته المسيحية تعمل اعتباراً؛ لإرضاء أبويها حتى لو ستترك زوجها!

طلب نوربرت أن يأخذ اليوم التالي إجازة من العمل؛ لكي يذهب، ويتحدث مع أنسابه. أذنت له بذلك، ووعدته بأننا كلنا سنصلي من أجله. في اليوم التالي بينما كنا نعمل، كنا نصلي لنوربرت. لم يعد نوربرت بعد الظهر. ولزم أن ننتظر لنعرف ما قد حدث.

وفي اليوم التالي كان نوربرت مبتسماً فسألته بصوت مرتفع: “ ماذا حدث؟”. قال: “حسناً، عندما دخلت القرية لم يكن يتوقع أحد مجيئي. فطلبت من كلا العائلتين أن نجتمع؛ مع زعماء القرية المتواجدين لنسوي المشكلة “.

في البداية كنت خائفاً لئلا يرفضوا. لكن كان الرب معي، وأخيراً وافقوا أن نجلس، ونناقش الموضوع بعد الظهر. إجتمع كثير من الممرضات؛ ليسمعن ما حدث.

ثم واصل كلامه: “ إجتمعنا في دار المناقشات في قلب القرية. جلست عائلة من جانب، والعائلة الأخرى في الجانب المقابل، جلس كبار رجال القرية على الطرف لكي يسمعوا الموضوع. تكلمت في البداية موضحاً مرة أخرى ما حدث، ثم قلت لهم أنا، وزوجتي ليس لنا علاقة بهذا النزاع، فلماذا نعاقب نحن؟. ثم أعطاني الرب نعمة أن أعرض القضية جيداً لدرجة أن رجال القرية تعاطفوا معي.”

واستمر الجدل بين العائلتين لمدة ساعات، وأخيراً أعلن مشايخ القرية قرارهم، أن أدفع لعم زوجتي ٢٠٠٠٠ فرنك ( أي ما يعادل مرتب شهر) لحل المشكلة. ولكن عائلة عم زوجتي لم تكن راضية. لكن لأن الرب كان معي، فبقية القرية جعلوهم يقبلون القرار. أليست هذه استجابة رائعة للصلاة؟ لم أكن أرى أنها إجابة رائعة للصلاة. لكن من الواضح أنه شعر بأن ما عُرم به كان قليلاً. مع أنني كنت أرى أن دفع مرتب شهر من أجل

خطأ، قد ارتكبه عمه، هو عقوبة صعبة، لكنني فرحت معه أن أسرته لم تتفكك.

ربما بالقياس لمحبه لأسرته فقد بدا مرتب شهر كامل كأنه شيء زهيد لا يتناسب مع ضمان سلامة عائلته. لقد تعجبت أنه لا يحمل أي مرارة داخله تجاه أنسابه. وكلما تعرفت على نوربرت أكثر، كلما كُبر في عيني، وزاد تقديري له، وهو يمثل الجيل الثاني من المسيحيين في جنوب الجابون.

أرسله أبواه للمدرسة في بونجولو ، وكانت مدرسة بونجولو قد تأسست، وأديرت بواسطة مرسلين من أمريكا الشمالية، وكان التعليم بلغة الينيزيبي. وكانت الدراسة في المدارس التي أسستها الحكومة بعد ذلك في ليبامبا، وجميع أنحاء الجابون باللغة الفرنسية. لذلك في عام ١٩٤٨ عندما تخرج نوربرت من الصف السادس ، كان يقرأ الينيزيبي جيداً، لكنه لا يعرف أن يتكلم، أو يقرأ بالفرنسية. مما جعل استكمال تعليمه في المدرسة الثانوية أمراً مستحيلاً.

الاحتمال الوحيد لتعليم إضافي، هو في مدرسة أصدقاء الكتاب المقدس، لكنه لم يُرد أن يكون قسيساً، أو كارزاً. و توظف في ليبامبا كأمين مخازن، وفي الأمسيات كان يدرس الفرنسية مع بعض أصدقائه. واستمر يعمل في المحل لمدة ٨ سنوات، وعلم نفسه الفرنسية. وأخذ زوجة من قريته إيديمبي، مدخراً كل ما عمل به؛ لكي يدفع مهر الزواج. وخلال الثمانية سنوات التي عمل فيها ،لم يخسر صاحب العمل أي مال أبداً . ومع أنه كان يمتدح نوربرت على أمانته التي لا نظير لها، الا انه عندما قرر أن ينقل المحل لم يُرد أن يأخذ نوربرت معه، وكان نوربرت بدون عمل.

وعندما علم أنه قد توفرت فرصة للعمل في الشمال، أخذ زوجته، وأطفاله الاثنتين إلى إيكوك، التي تبعد عن بونجولو ٤٠ كم شمالاً. وهناك حصل على وظيفة تقطيع وزرع أشجار الأكيوم. أشجار الأكيوم ذات قيمة كبيرة في الجابون؛ لأن خشبها قوي وجميل. ويصدر الخشب المصنوع منها لأوروبا.

قطع أشجار في غابات أفريقيا الأستوائية، أمر غاية في الخطورة. المامبا الخضراء؛ وهي واحدة من الأفاعي المميّنة في العالم، تعيش في تلك الغابات. والأفعى الجابونية وأفعى وحيد القرن، كلاهما له غصة مميتة ، يرعون بين الحشائش الكثيفة.

وأثناء السنوات التي كان فيها في إيكوك، واجه نوربرت مواجهات كثيرة مع الحيات

السامة، لكن لم تعضه ولا مرة واحدة. لقد اختبر حماية الرب. أمانة نوربرت الغير عادية، واجتهاده في العمل، واحتماله للمشقات؛ استرعى انتباه رئيس العمال الفرنسي، فمنحه ترقية، وأعطاه مركزاً أكبر.

وبالرغم من المرتب الجيد، فإن نوربرت لم يكن سعيداً في ايكوك؛ لأنه كان المسيحي الوحيد في كل المخيم. وفي كل يوم أحد، كان يجتمع للصلاة مع عائلته مع أن معرفته بكلمة الله قليلة. كان يعلم أن عائلته من حوله قد صارت وثنية شيئاً فشيئاً. فقرر في عام ١٩٧٢ قراراً مصيرياً، أن الأهم هو إكرام الله أكثر من الحفاظ على الوظيفة؛ فقرر أن يعود إلى بونجولو حيث يمكن لعائلته أن تتعلم كلمة الله.

وعندما بلغ عمره ٣٥ سنة، وضع ثقته في الرب أن يدبر له عملاً آخر. وبعد وقت قليل زار نوربرت إيرين شانك الممرضة، التي كانت تدير المستوصف في بونجولو. كانت إيرين بالإضافة إلى معالجة المرضى، تقوم أيضاً بتدريب واحد، أو اثنين من الممرضين، أو الممرضات كل عام. ووافقت إيرين أن تدرب نوربرت، طالما يعرف أنها ليست ملزمة بتعيينه في المستوصف بعد تخرجه. تخرج نوربرت عام ١٩٧٤ لكن لم يكن هناك مალأ كافياً لإعطائه أجراً، فوافق أن يعمل بدون أجر. وكان يعمل لمدة سنتين بدون أن يتقاضى شيئاً. كانت زوجته تعمل في مزرعة لكي تنفق على العائلة.

حكمة، وأمانة، ولطف نوربرت مع المرضى نال عليها أخيراً أجراً.

عندما وصلنا سنة ١٩٧٧ كان هو الممرض الإفريقي الوحيد الذي يعمل بالمستوصف. واليوم نجد مويليت نوربرت هو أفضل ممرض لدينا. لم يكن الأسرع، أو الأذكي، لكن بالرغم أنه في أواخر الأربعينيات من العمر، لكنه كان قابلاً للتعليم، ويستمتع بأن يتعلم أشياء جديدة.

ومنذ ١٩٧٧ قمنا بتدريب حوالي ١٠٠ ممرض، وكان نوربرت دائماً مثالاً للممرض المسيحي الذي يهتم من كل قلبه. لا يوجد عملٌ محترقٌ، أو قذر عنده، كما أن لطفه في التعامل مع الجميع؛ جعله يكتسب احترام المجتمع كله.

إن نوربرت واحد من المؤمنين الأمناء الذين عرفتهم. ليس فقط يهتم باحتياجات المرضى الناحية الجسدية، بل كان يتكلم معهم عن حاجتهم لخلاص المسيح. سيكون يوماً عظيماً في السماء عندما يأتي الكثيرون ممن خدمهم بكل لطف، وقادهم لمعرفة المسيح ويشكرونه.

# الفصل السادس عشر الرجل الذي له زوجتان

كان قد مضى على وجودنا في بونجولو عام، حين جاء إلينا رجل يعانى من إنسداد معوي ، من قرية تبعد ٧ كم عن المستوصف. كانت بطنه منتفخة تماماً، وكان يترنح قليلاً، وهو يصعد التلة الأخيرة في طريقه للمستشفى . وطلبت منه الممرضة أن يرقد على السرير ثم دعتني . ثم بدأ سام زيلستر- وهو طالب أمريكي، في السنة الثالثة من كلية الطب - يفحص بطن المريض المنتفخة، إلى أن وصلت . أعطينا المريض مسكن للألم، وبدأنا نناقش ما سنفعله . لم يكن لدينا غرفة عمليات آنذاك، ولا المعدات اللازمة لإجرائها.

لقد كان يحتاج أنبوب إمتصاص تمر من أنفه إلى بطنه؛ كي نقدر أن نخفف ضغط بطنه. ولسوء الحظ لم يكن لدينا الأنابيب المناسبة. فقررنا أخيراً أن نأخذه لأقرب مستشفى بها جراحة . والمستشفى المحلية كانت على مسافة ١١٠ كم في الطرق الترابية . لكن لأننا كنا في شهر يولية، فالطبيب الفرنسي كان في إجازة، لمدة شهرين ، إذأ لا فائدة من أن نأخذ الرجل إليهم . ففكرنا أن نأخذه إلى مستشفى شويتزر. لكنها في مبارين التي تبعد ٣٠٠ كم في ذات الطرق الوعرة . إذأ الحل الأمثل أن نأخذه إلى تشييانجا عاصمة إقليم نيانجا، على بعد ١٢٥ كم غرباً.

من المفترض أنه يوجد طبيب جراح هناك . أخبرنا المريض ما يجب أن نفعله. ولم يكن راضياً أن يذهب لتشييانجا؛ لأنها تقع في منطقة قبائل البوبونو؛ وهو من قبيلة البنزيبي . وليس له أقارب في تشييانجا . فقال أنه سوف يناقش الموضوع أولاً مع عائلته. بدا كلامه معقولاً، إلى أن علمنا أن كل عائلته لم يزالوا هناك في قريته. والغريب أنه لا يوجد واحد منهم قد رافقه إلى المستشفى.

في ذلك الوقت بدأ الليل يرخي سدوله. فتوجّب عليّ أخذه ؛ إما بالسيارة لقريته ؛ ليأتي ببعض من عائلته، أو أخذه إلى تشييانجا . وستكون الرحلة على طريق خلفي، لم يتم تمهيده، أو ترميمه منذ خمس سنوات على الأقل . ألواح الجسور كانت متعفنة، وغير آمنة. فقررنا على مضض أن نأخذه بالسيارة إلى قريته، ثم نواصل السير إلى تشييانجا من هناك. بالرغم أنه بالطبع لم يكن الطريق المختصر إلى هناك .

كانت بيكي، و برندا زوجة سام، تراقبانا بتركيز، ونحن نحمل الرجل، ونضعه في الكرسي الخلفي للسيارة اللاند روفر. لم نكن نعلم متى سنعود، ولا متى سنصل للقرية الأولى ؟ قبلنا زوجاتنا، وودعناهن إلى أن اختفوا عن الأنظار، وسط سحابة الغبار.



استغرقنا نصف ساعة في ٧ كيلومترات . لقد كان وصولنا للقرية في الظلام سبباً لتجمع الناس . وعندما انتشر الخبر أننا قد أتينا بواحد من قريتهم، من المستشفى، بدأ بعضهم يولولون؛ طائنين أننا قد أحضرناه ليموت بينهم . فحاول شيوخ القرية أن يهدئوهم، ثم سألونا عن ما نريده . وقد اجتمع حوالي ٥٠ فرداً، في بيت مصنوع من البوص ، مساحته ٣,٥ متر × ٧,٥ متر . وكان مريضنا، مستلقياً على حصيرته في وسط أرضية البيت، وهو يئن . وكانت بطنه منتفخة جداً، وهي أبغض شاهد عن خطورة حالته . لم أكن أتكلم الينزيبي في ذلك الوقت، لكنني فهمت بعض الكلمات التي كانوا يتكلمون بها.

شرحت لهم بالفرنسية لماذا ينبغي أن نأخذ الرجل إلى تشييانجا؛ نُجرى له عملية جراحية هناك . فحدثت همهمة كثيرة من أعضاء العائلة المختلفين، وهم يبدون اعتراضهم . لقد كانوا خائفين، وقالوا أنه ليس لديهم مالٌ كافٍ لتلك الرحلة ( كان في الأساس لكي يضغطوا على باقي أفراد العائلة الكبيرة أن يساهموا بشيء ) . ويبدو أن بعضهم قد اقترح أن يعطوا الساحر فرصة أخرى . لكنه بالفعل قد فشل . وعندما طلب منه ، رفض بمكر.

كان يوماً طويلاً بالنسبة لي، ولسام أيضاً، ورجونا أن نغادر القرية بعد حوالي ١٥ دقيقة. لم يزل أمامنا خمسة، أو ستة ساعات سفر على طرق وعرة، لم نسلكها من قبل. لا نعرف أحداً في تشييانجا، ولم نفكر في إحضار طعام معنا. وبعد عشرين دقيقة من الاستماع للمناقشة ، كنا نود فيها الهروب من حرارة الجو، ورائحة العرق في الغرفة المغلقة.

كان سام مغرمًا بمنظر السماء في الليل؛ إذ كانت مثل قطيفة سوداء، مرصعة بملايين من فصوص الماس . في ظل الظروف الطبيعية ، يخلب القلوب ، أما تلك الليلة فقد كنت منهك القوى. سألني سام، وهو متضجرٌ بسبب التأخير : ماذا يفعلون بالداخل؟ . أجبته محاولاً أن أخفي شعوري بالإحباط : “ إنهم يقررون؛ إن كنا نأخذهم إلى تشييانجا، وعن من الذي سيعطيه نقوداً؛ كي يستطيع أن يأكل، وهو مقيم هناك“. يبدو أنهم غير مهتمين؛ لا بحالة المريض المتدهورة، ولا بالوقت الذي يضيع.

علمت أن الغضب لن يغير من الحال شيئاً . كل ما في يدنا أن نفعله؛ هو أن نستودع لله الساعات القادمة المجهولة أمامنا.

بعد ٤٥ دقيقة انفض الاجتماع . شعرنا براحة عندما علمنا أنهم وافقوا أن نأخذ المريض، ونستمر في طريقنا إلى تشييانجا. بدأ أولاده، وزوجاته في إحضار سلال الأطعمة، والأوعية، والملابس، والملاءات، ويضعونها في السيارة .

رتبنا الأشياء ثم دخل المريض، وواحدة من زوجتيه. أخيراً كنا مستعدين أن نتحرك . وأنا أستعد لغلق الباب الخلفي، ظهرت مشكلة جديدة . عديد من النساء كن يتكلمن مع الشيوخ . وبعد قليل كان الجميع يتكلمون مرة واحدة . أحدهم بدأ يصيح. كان الحديث يجري بسرعة بدرجة لم أستطع معها أن أفهم ما يقولون . فالزوجة التي دخلت السيارة قامت، وخرجت . ابتعدت عن الباب، وسألت شاباً يتكلم الفرنسية عن ما يحدث.

قال : “ حسناً ، بابتسامة ضعيفة، إنهم يتجادلون بشأن زوجتيه، أي واحدة منهما التي سوف تذهب معه. التي ستبقى في البيت ستقوم بكل العمل، والزوجة الأقدم لا تريد أن تبقى في البيت.“ صررت على أسناني بدون أي تعليق.

كان الوقت يضيع ، وهم يتباحثون، أي زوجة هي التي تذهب معه! كان في مقدوري أن أقول، أو أعمل شيئاً يمكن أن أندم عليه . في النهاية دخلت الزوجة الأخرى بمتعلقاتها. أخيراً كنا مستعدين أن نبدأ الرحلة.

لنخرج من وسط دروب الأحرار إلى الطريق الرئيسي استغرق هذا منا ساعتين. في ذلك الوقت كنا قد إمتلأنا من ورق الشجر، و الحشرات، والطين. ومريضنا يتأوه كلما ممرنا على مطب في الطريق . وحوالي الساعة الواحدة صباحاً، وجدنا أنفسنا على طريق ممهد، وواسع، ومستقيم.

ياله من أمر مريح أن نقود السيارة بسرعة ٨٠ كم/ الساعة على طريق ترائي ممهد. لكن بعد ساعة، وجدنا الطريق تغير فجأة، فوجدنا أنفسنا نتأرجح فوق أخاديد، و حفر كبيرة. وفجأة وجدنا الطريق ينتهي بشبكة من الشجيرات . إما أن مدينة تشييانجا قد ابتلعت داخل الأدغال، أو أننا قد فوتنا المخرج الذي يجب أن نسير فيه . يستغرق الأمر ساعة لكي نعود للطريق الذي فاتنا. وفي الثانية صباحاً سألنا واحداً من المارة عن العنوان، وعلى الساعة الثالثة صباحاً أمكننا أن نرى أضواء تشييانجا أسفلنا.

دربنا حول المدينة لمدة عشرين دقيقة حتى وصلنا لموقع المستشفى. لم نجد سوى ممرض واحد في كل المستشفى، وكان نصف مستيقظ . أعطى مريضنا سريراً، وطلب الطبيب.

سمعنا الطبيب، وهو ينتهره لأنه أوقفه في هذا الوقت المبكر. لكنه قال للممرض أن يمرر أنبوبة من الأنف إلى البطن؛ ليخفف ضغط البطن.

قال لنا الممرض إن الطبيب سيرى المريض في الصباح . لم تكن راضين لا أنا ولا سام. لم يكن أمامنا سوى أن نبحث عن مكان للمبيت . أعطانا الممرض عنوان الكنيسة المحلية. الكنيسة البروتستانتية الوحيدة في المدينة. ذهبنا، وأوقفنا السيارة هناك.

بينما كنا نفرش أغطيتنا لنستعد للنوم داخل السيارة ، رأينا راعي الكنيسة ينقر على النافذة . شرحت للقس جول، من نحن؟، ولماذا أتينا؟، فصمم أن نأتي، ونبيت في غرفة الضيافة. أيقظ العائلة كلها ، حتى أبناءه الستة، وطلب منهم أن يخلوا مكاناً فيه عربة اليد، والجاروف، وأشياء أخرى في كوخ خشبي مجاور. تغبر الجو كله بالتراب ، العتبات، والنوافذ. ثم ظهر اثنان من الأولاد الكبار، فجأة، ومعهم سرير مزدوج، ومرتبة، ووضعوها في الكوخ . شكرنا راعي الكنيسة، وقلنا له : ليلة سعيدة . في خلال دقائق كنا نغط في نوم عميق . كنا متعبين للدرجة التي لم نبالي بها بأسراب الناموس التي تحوم حول رؤوسنا. كانت الساعة الثامنة صباحاً قبل أن نتحرك . قدمت لنا زوجة القس جول، ماءً دافئاً لكي نستحم به، ثم دعتنا لتناول الإفطار مع بقية أفراد العائلة . أعدت المائدة بأفضل ما عندهم من أطباق، و مفارش . كان عددنا حول المائدة الصغيرة عشرة أفراد، شاملاً الأولاد. ونحن نحني رؤوسنا لنقدم الشكر للرب، لمحت شيئاً بطرف عيني بعد أن انتهت الصلاة ، على الأرضية الأسمنتية للغرفة الصغيرة التي على يميني- التي يبدو أنها غرفة النوم الرئيسية - كانت هناك بطانية مفروشة على الأرضية الأسمنتية بدون سرير، أو مرتبة.

أدركت للتو أن راعي الكنيسة قد أعطى سريره، ومرتبته لأجانب غرباء تماماً. جاءوا في منتصف الليل، ليستكمل نومه بقية الليلة هو وزوجته على الأرضية الصلبة. ملأت الدموع عيني . ثم مسحتهما بسرعة، لم يكن أحد يلاحظ . كان الإفطار عبارة عن خبز فرنساوي يغمس في القهوة . لكن نظراً لأن راعي الكنيسة لم يكن عنده قهوة . كنا نغمس الخبز في ماء ساخن، مذوب فيه اللبن الحلو المكثف.

وقبل أن تغادر، ذهبت أنا، وسام لنلقي نظرة على مريضنا . ولم يكن الطبيب قد أتى بعد،

لكن الأنوبة كانت تعمل جيداً . وبدأ عليه التحسن, وإستعاد صحته تماماً . أغلب الظن أن سبب الإنسداد المعوي؛ يعود إلى عدد كبير من الديدان المعوية.

ونحن في طريق العودة, كنا نتعجب أنا, وسام من طرق الله العجيبة. المعروف الذي فعلناه مع المريض قد رده الرب إلينا بواسطة راعي الكنيسة, وزوجته . كانت أجسادنا متعبة لكن قلوبنا طيبة , ممتلئة, وفائضة بالعرفان, والشكر.

الفصل السابع عشر  
مواجهة عند نهر اللويتسي

تلعب التقاليد، والطقوس ذات المغزى، دوراً هاماً في كثير من المواجهات، بين الأفارقة، والوافدين الجدد، خصوصاً من أمريكا الشمالية؛ الذين يستهينون بالشكليات، والمراسيم، سرعان ما يتعلمون الدرس بطريقة صعبة.

غرق طالب، في المرحلة الثانوية في نهر اللويتسي، وهو يسبح في الماء تحت الشلالات. ولم يجدوا جثته إلا بعد ثلاثة أيام، بعد أن طفت جثته على السطح منتفخة، ومشوهة. تم استدعاء الشرطة، و طلبوا مني أن أذهب عند النهر؛ لأفحص الجثة عسى أن يكون قد مات بفعل فاعل. لم أدرك الأهمية الكبيرة لهذه الإجراءات، أتيت مرتدياً ملابس عادية. بقدر ما أفهم، كانت مهمتي بسيطة: لأثبت أن الولد قد مات غرقاً، وليس بفعل فاعل. إن سبب الموت، حتى لو كان مألوفاً، أو بسيطاً، لكنه ذو أهمية كبيرة في أفريقيا. يشك الجابونيون دائماً في وجود متسبب وراء طريقة الموت، ويعتبرون الذي يفكر بخلاف ذلك، شخصاً أبله، ولا يفهم في وجهة نظر شعوب غرب أفريقيا، المرض والحوادث، وسوء الحظ يبتلى بها الناس بواسطة آخرين يؤذونهم بها من خلال الأرواح غير المنظورة. الطريقة الوحيدة التي يحصنون بها أنفسهم؛ هي أن يقوموا بممارسة أعمال معينة، أو إرتداء أحذية، أو إقتناء أشياء مقدسة يسمونها الوثن.

لكن الذي لا يعرفونه الأفارقة، وهو مبدأ معلن في كلمة الله؛ أن أولئك الذين يلجأون للأرواح الشيطانية، طلباً لمساعدتها، سيكونون هم أنفسهم عبيداً لهذه الأرواح، والخلاص الوحيد من هذه العبودية؛ هو اسم، و سلطان الرب يسوع المسيح. الأمر الذي لم أستطع أن أفهمه عند النهر؛ أن سبب موت هذا الشاب له هذه الأهمية في ثقافتهم، ومجتمعهم.

جذبوا الجثة المنتفخة إلى الشاطئ، وبدأ الانتفاخ يقل تدريجياً. كانت الرائحة كريهة مثل المنظر نفسه. وقف رجال الشرطة يراقبون بوقار، بعبيدين بمسافة معينة، بينما كنت أفحص الجثة. لم يكن هناك أي أثر لجروح، أو كسور، أو ضغوط على الجمجمة. كثير من الأظافر قد تأكلت، ربما بسبب صراعاته؛ كي يصل إلى السطح. لم توجد أي آثار لعضة تمساح، لكنني لم أندعش؛ لأنه لم يبلغ عن وجود تماسيح في منطقة الشلالات منذ عدة عقود. لم تستغرق عملية الفحص أكثر من عشرة دقائق، ثم غسلت يدي في ماء النهر، و توجهت لرجال الشرطة الواقفين يسجلون تقريرهم.

بينما كنت أصف نتائج فحصي للقائد ، سمعت ضجة كبيرة عبر النهر . موكب من ٥٠ فرد على الأقل يقترب من المعدية . وفي مقدمة الموكب؛ كان دكتور بايون يسير في خطى منتظمة ؛ وهو يرتدي القفازات، و القناع الطبي، والبدلة الخضراء، الخاصة بغرفة العمليات . كان رافعاً يده أمامه، مثل جراح يستعد لإجراء عملية . وقد كان الممرضون، والممرضات من مستشفى ليبامبا بالزي الرسمي، يحيطون به من كل جانب، و بأيديهم أدوات مختلفة . وكان وراءهم ٣٠ شخصاً على الأقل من الرجال، والنساء بخلاف الأطفال، والكلاب.

وقف بايون صامتاً عند حافة النهر، إلى أن يخرج الجمع العابر معه من المعدية، ويكون أكثر قرباً من المشهد . حينئذ لم يكن رجال الشرطة يبدون أي اهتمام لما أقوله... فالطبيب الحقيقي قد وصل!.

حينما وصلت المعدية خرج بايون إلى الشاطئ، ومشى بطريقة ملوكية حتى اقترب من الجثة . لم يلمسها لكن دار حولها عدة مرات، وهو يفحصها بعينيه من كل جانب . لم تزل يده المكتسبة بالقفاز مرفوعة . ركّز نظره على الجثة، ثم رفع يده للممرضة التي تحمل سماعة الطبيب .

أمسك السماعة، وبالكاد جعلها تلمس صدر الجثة . ظل يسمع لمدة دقيقة . بالرغم أن الجميع يعلمون أن الولد قد مات من عدة أيام، لكنهم انتظروا ، وهم يحبسون أنفاسهم. انتصب « الدكتور » أخيراً، وهزّ رأسه ، كانت تمتمة التعاطف تتردد على شفاه الجمع الواقف . التفت بايون إلى قائد الشرطة، وشرح له سبب الوفاة بنبرة عالية لكي يسمع الجميع . حاولت واحدة من الممرضات أن تكتب كل ما قال بخط غير واضح أثناء الحوار الذي استغرق ٥ دقائق.

عندما لم يكن للشرطة أي أسئلة أخرى ، خلع بايون القفازات من يديه، وسلمهم لممرضة أخرى . صافح جميع الحاضرين، وأعطاني لمحة عابرة، ثم عبر النهر عائداً مع حاشيته . كان استعراضاً مذهلاً.

علم بايون بكل تأكيد كيف يكتسب ثقة مرضاه . بدأت أفهم أن الذي يجعل المريض يتبعون أوامري بعد أن يعودوا للبيت؛ هو مقدار ثقتهم، وتصديقهم لي بالأكثر، إن نجحت في أن أجعلهم يضعون كل ثقتهم في الرب، سوف يحيون إلى الأبد . الخطوة الأولى إذاً ليست تنفيذ برنامج، بل أن أكتسب ثقة واحترام الناس.





# الفصل الثامن عشر

## زوجة العمدة

إستيقظت في وقت مبكر على صوت نداء لاسمي بواسطة جهاز اللاسلكي.

- « نعم أنا الطبيب، ما الأمر؟ ».

- «عمدة لياباما عند نهر اللويتسي مع زوجته ».

إن كان رئيس البلدية يريد أن يعبر النهر في الخامسة صباحاً فهذا معناه أن الأمر خطير . المحافظ، أو العمدة ( رئيس بلدية المدينة) في الجابون، يدعى بريفاي préfet , ويعتبر مسئول كبير في الحكومة . لبست ملابسى بسرعة ، وقدت سيارتنا النصف نقل، و أخذت طريقي منحدرًا من على التل . كانت تمطر طوال الليل بصورة مستمرة، والطرق كانت زلقة جداً.آخر مئة متر قبل المعديّة كانت مغطاة بحوالي ٥ سم من الطين، ومن الصعب حتى الوقوف فيها . قررت أن أترك السيارة مضاءة الأنوار، على قمة التل، وأنزل .

رأيت العمدة، وزوجته يركبان القارب على الجانب الآخر من شاطئ النهر. بعد أن عبرا النهر خرجت زوجة العمدة أولاً بمساعدة زوجها، وإحدى النساء . كانت ضعيفة، ومحمومة جداً . كان يجب أن نحملها، ونصعد بها إلى السيارة . سألتها وأنا أقود السيارة في طريقي للمستشفى : ماذا حدث؟.

كان يبدو على العمدة أنه غاضب، وهو يشرح لي كيف أن زوجته على وشك أن تضع مولودها، وبعد أن ظهرت أعراض الحمى لمدة ٤ ساعات أول أمس ، بدأت آلام المخاض، فأخذها إلى المستشفى الحكومي في لياباما؛ لكي تُعرض على الطبيب الفرنسي الذي استقبلها، وأعطاهها علاج للملاريا . كان وجع المخاض يتزايد بمعدل طبيعي، لكن درجة حرارتها قد ارتفعت بشكل خطير بلغت ٤٠,٦ درجة.

شعر العمدة أن الطبيب لم يقدّر خطورة الحالة؛ فقرر أن يأخذها إلي المستشفى عندنا. وافق الطبيب على مضى ، كان الوقت قد بلغ منتصف الليل، وبدلاً من أن يأخذ العمدة، وزوجته ويوصلهما إلى النهر بنفسه ، كُلف سائق المستشفى بتوصيلهما، ومضى هو لينام . وعندما ذهب احدهم لبحث عن السائق، كانت قد مضت أربع ساعات. كان العمدة غاضباً جداً، وحالة زوجته أصبحت أكثر خطورةً.

لم يزل الظلام باقياً، ونحن نصعد التل، متوجهين إلى المستشفى . حملنا الزوجة، وهي نصف واعية إلى غرفة الاستقبال، و أجرينا الفحوصات عليها . كانت درجة حرارتها لم تزل

٦, ٤٠ درجة، وكان ضغط الدم منخفضاً والنبض ضعيفاً . وحن وقت الولادة تقريباً . وبينما كانت الممرضات تتركب المحاليل، طلبت من زوجة العمدة أن تدفع نفسها بقدر المستطاع، حتى تضع المولود.

لكن قد فات الأوان، لأن الطفل قد مات في بطنها من عدة ساعات بسبب عدوى داخل الرحم . وبعد دقائق قليلة من الصدمة أُغمي عليها . وفي الساعتين التاليتين بذلنا أقصى ما عندنا لكي ننقذ حياتها . صلينا كثيراً كي يعطينا الرب حكمة، و طلبنا من الرب أن ينجيها . استقر ضغط الدم أخيراً، وعادت إلى وعيها؛ فتمكننا من نقلها إلى غرفة خاصة تحت إشراف ممرضة، ورعاية دقيقة.

وبالرغم من التحسن الملحوظ في اليومين التاليين، لكن حالتها لم تزل خطيرة ، ولم يكن لدينا المضاد الحيوي الواسع المدى، الذي كانت في حاجة إليه؛ ليضع حداً للعدوى . وبما أنه ليس لدينا وحدة عناية مركزة، فقررت أنه حالما تستقر حالتها يجب أن ننقلها إلى ليبرفيل بالطائرة . كان زوجها موافقاً . كانت سيارتي هي أفضل سيارة متاحة؛ فرتبنا أن يقودها أحد الممرضين مسافة ١١٠ كم إلى مويلا؛ ليستقلوا طائرة إلى ليبرفيل.

وبينما كنا نقوم بإجراءات المغادرة، طلب العمدة طلباً غير معتاد ؛ وهو أن يصاحبهم واحد من المستشفى إلى ليبرفيل . كنت متردداً أن أسمح لواحد من الفريق الطبي أن يذهب، لكن بعد أن شرح لي أنه لن يجد أحداً يعتني جيداً بزوجته، مثل واحد من فريق العمل بالمستشفى ، وافقت أن أرسل ممرضة معهم فقط إلى مويلا.

وقبل مغادرتهم للمستشفى طلبت من العمدة أن يسمح لي بأن أصلي من أجل زوجته، ومن أجل سفرهم . وافق في الحال، وصليت بأبسط، وأقصر رسالة تبشيرية صليتها في حياتي . وبعد أن ختمت صلاتي . رأيت العمدة يمسح دموعه . قال لنا بصوت مرتعش، وهو يصفحنا حين كنا نحن نودعه : “ لم يعاملنا أحد باللطف والطيبة التي رأيناها في معاملتكم هنا “ . وقال بصوت رقيق : “ إننا لن ننسى ذلك أبداً “.

قضت زوجته حوالي شهر في المستشفى في ليبرفيل إلى أن تماثلت للشفاء . وبعد ستة شهور جاءت لتزورنا في بونجولو . لم أعرف من هي تلك السيدة الأنيقة، والجدابة التي تحييني . ومن دواعي خجلي أنها قامت بتعريف نفسها . أعتقد أنها كانت مسرورة في داخلها

حين تعذّر عليّ أن أتعرّف عليها . كانت تبدو سعيدة جداً؛ وهي تحيي كل فريق العمل في المستشفى، وتشكرهم أنهم أنقذوا حياتها . كانت هي وزوجها من الداعمين لخدمة المستشفى بكل حماس، لكن لم يفتح بعد أحد منهما قلبه للمسيح مع أن ابنهم الأكبر قرر أن يتبع المسيح وقد اعتمد.

تم تعيين العمدة في موقع آخر، وقبل أن يغادر، قمت بزيارته . أعطيت كليهما كتاباً روحياً، ونبذة خلاصية، تشرح كيفية نوال الحياة الأبدية، كعطية مجانية . حين جلسنا في غرفة المعيشة، أخبرتني الزوجة أنها تذكرت الصباح الذي قاربت فيه الموت، وارتسم في ذاكرتها، حين أخذتها بالسيارة إلى المستشفى . كانت آنذاك نصف واعية، ونحن نصعد التل، عندما تطلعت من نافذة السيارة، ورأت نوراً أبيض لامعاً فوق المستشفى ، شعرت بنوع من السلام ، لا يمكن وصفه، أو التعبير عنه.

قالت :“ في تلك اللحظة ، آمنت بإلهك، شعرت أنه هناك، وأنه سيساعدني .“ رجعت بذاكرتي لتلك الليلة ، لم أرَ مطلقاً أي نور فوق المستشفى، لكنني لا أشك في أن الذي رآته زوجة العمدة، هو أمر فائق للطبيعة ، وإحدى معاملات الله العجيبة.

لازلنا نثق أن هذه الأسرة الجابونية قد عرفت المسيح؛ من خلال المعاملة الطيبة، والرعاية المخلصة في مستشفى بونجولو الإنجيلي.

# الفصل التاسع عشر

## صغير مثل حبة الخردل

الغرفة قد أظلمت، لكن كان هناك ضوء ضعيف، من خلال نافذة غرفة المستشفى، يكفي لأن ترى شاباً جابونياً؛ يقوم بالتمريض لطالب راقد على السرير في غيبوبة كاملة، وزجاجة معلقة فوق سريره، متصلة بوريد ذراعه، وقطرات السائل تنساب منها إلى جسده.

في جو الحرارة الإستوائية كان جسمه يلمع بالعرق. ومن حين لآخر كانت ممرضة شابة تمسح العرق المتصبب على وجهه بمنشفة.

كان هناك آخرون من أفراد العائلة في الغرفة، وهم يراقبون أنفاسه المنتظمة في صمت، بوجوه تعبر عن اليأس الذي امتلكهم. وأخوه الأكبر كان هو أيضاً ممرضاً، وقف بجوار سريرهِ لساعات طويلة دون أن ينطق بكلمة.

كان فريدريك في غيبوبة عميقة، و مظهره الخارجي لم يكن حسناً. منذ ثلاثة أيام بدأت أعالجه من الفيلاريا ( مرض إستوائي من الأمراض الطفيلية المُعدية). كان يشعر بأن ديدان ترحف تحت جلده، في كل جسمه، تجعله يريد أن يحك جلده بشدة، توسل إلينا لنجد علاجاً قاطعاً يخلصه منها. نبهته عن مخاطر العلاج، وعن حاجته أن يراعي أقصى درجات الحذر. كان يبدو عليه أنه يفهم ما أقول، لكن كان لم يزل يطلب العلاج.

وبعد تناول جرعات ضئيلة في اليوم الأول، والثاني، شعر ببوارد أعراض الإعياء الشديد، وفي اليوم الثالث- دون أن أعلم - بدأ يعاني من صداع لا يحتمل. في ذلك المساء أخذ الجرعة الثالثة، وذهب لينام. جاء الصباح، وهو لم يستيقظ.

كان الطلبة زملاء فريدريك، قد أتوا به للمستشفى؛ حيث بدأت في معالجته، لتخفيف الورم الذي في المخ، وبعض الأعضاء الأخرى. أُصيب بحمى شديدة، وكانت حالته تسوء الساعة تلو الأخرى. كانت سحابة سوداء تغيم على جو العمل في ذلك اليوم. حلت الكآبة بدل الابتسامة التي اعتدنا عليها.

حادثة مماثلة قد طفت على سطح ذاكرتنا، حدثت منذ عام مضى. كانت ابنة قس تتناول نفس العلاج، ودخلت في غيبوبة استمرت لبضعة أسابيع. وعندما جاء شيوخ الكنيسة، و دهنوها بالزيت، وصلوا من أجلها، أفاقت من غيبوبتها، لكن ظلت مشلولة تماماً، وعاجزة عن الكلام.

وحينما علمت بحقيقة حالتها، رفضت الرغبة في الحياة، و بعد شهر انطلقت لتكون مع

المسيح . ماتت أخيراً بعد أن عانت كثيراً. ملأني الرعب ، ووعدت نفسي بعد موتها أن هذا لن يحدث أبداً في المستشفى.

والآن ، رغم كل ما كنت أعتقد أنه أقصى درجات الاحتياط والحذر ، حدث نفس الأمر للمرة الثانية . بينما كنت أتأمل جسد فريدريك المحموم، والمتورم ، طلبت من الرب في قلبي أن يشفيه، وينقذه مما حدث لابنة القس.

شعرت أن الله يتكلم لي، وأنا واقف بجانب سريريه . معنى ما قاله لي كان واضحاً ؛“ إن صليتم كلكم بإيمان، سوف أشفيه. إن لم تصلوا كلكم ، لن أفعل شيئاً. هذا الأمر قد حدث لأريكم قوتي“

في ذلك الوقت شعرت بأني ممتلئ بالشك . ربما كنت أفكر فيما أريد أن أؤمن به . وفي النهاية علمت أن الله يحثني أن آخذ خطوة بالإيمان . جلُت ببصري في أنحاء الغرفة، و نظرت إلى زملاء فريدريك ، كانوا مسيحيين صغار، وغير ناضجين، لم يحضر معظمهم اجتماعاً للصلاة مطلقاً . فكيف إذاً أجعلهم يصلون بإيمان حقيقي ؟. لم يروا من قبل مريضاً، وهو يشفى، ولا أي من الممرضين الجابونيين الذين معنا أيضاً.

في تلك الأثناء بالرغم من أفضل طرق العلاج التي اقترحتها، كانت حالة فريدريك في تدهور مستمر. بينما كنت أتطلع في وجوه زملائه، تكلم الرب إليّ مرة ثانية :

﴿ أريدكم أن يروا قوتي ويؤمنوا بي ﴾ .

بكل تحفظ دعوتهم جميعاً إلى اجتماع للصلاة بالكنيسة في تلك الليلة. اجتمع عشرون شخصاً منا في الثامنة مساءً . فتحت كتابي المقدس، وقرأت من (مرقس ٩: ٢٣) ، بصوت مرتفع، ماقاله الرب يسوع : ﴿إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ . كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ ﴾ . نظرت حولي إلي الوجوه الصغيرة . بدا عليهم كأنهم يقولون: “حقاً؟ كل شيء؟“. أليست هذه هي تساؤلاتي في قلبي . ثم انتقلت إلى (متى ٩: ٢٩) وقرأت:

﴿ يَحْسَبُ إِيمَانُكُمْ لَيْكُنْ لَكُمْ ﴾ . إن كان ذلك سيتحقق من أجل فريدريك! بدأ واحد وراء الآخر يرفع صلاته . البعض كانوا يصلون بتردد، والبعض الآخر ، كانوا حارين في صلاتهم.

بعد وقت قليل، وقفت وقرأت مرة أخرى من (متى ١٧ : ٢٠) : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ

إِيمَانَكُمْ. فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: ائْتِ قُلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمَكِّنٍ لَدَيْكُمْ ﴿٩﴾. تلك الآية كأنها تغرس رجاء حقيقياً في قلوبنا. كانت قلوبنا تتوق أن نؤمن، ولا نشك أن الله سوف يشفيه. تولدت قناعة كاملة، وإيمان راسخ في قلبي، أن الله سيفي بما وعد، ويشفي فريدريك لأننا قد طلبناه. الآن بدأ كثيرون يتضرعون بتوسل شديد للرب، أن يعطيهم، أن يؤمنوا بشفاء فريدريك.

لأن الوقت صار متأخراً، غادر البعض، لكن بقي كثيرون، يصلون، ويرمّون، ويقرأون أجزاء من كلمة الله. وفي منتصف الليل بعد إرهاق يوم من العمل، ذهبنا لبيوتنا كي ننام، ونحن متيقنون أن الرب سيشفى فريدريك في تلك الليلة.

وفي الصباح عندما بدأنا جولاتنا في المستشفى، كان هناك نسمة من أمل، لكنها قد تبددت حين دخلنا غرفة فريدريك، ولم نجد شيئاً قد تغير. جلست أمه في زاوية الغرفة تبكي، ودموعها تتساقط على الأرض في صمت.

بينما كنت أحاول أن أشغل نفسي بشيء ألوذ به من هذا الموقف، بدأت أدرس الجدول المدون فيه حالة فريدريك، تكلم الرب إليّ مرة ثانية. هذه المرة استحضرت لذهني إحدى الآيات التي كنت أشاركهم بها الليلة السابقة: ﴿يَحْسَبُ إِيمَانُكُمْ لَكَمًّا﴾ (متى ٩: ٢٩). أراد الرب أن نؤمن بغض النظر عن ما نراه.

فشجعت الذين في الغرفة، وقلت لهم: «دعونا لا نكف عن أن نؤمن أن الله سوف يشفي فريدريك! الله يريدنا جميعاً أن نؤمن - ليس أنا، أو بعض الممرضات المرسلات فقط - لكن كلنا من صلينا! إنه ليس الوقت الذي فيه نتساءل، لعلها ليست مشيئة الله! إنه الوقت الذي فيه نطالب الرب بكل إصرار أن يشفي فريدريك.

في ذلك اليوم استيقظ فريدريك من غيبوبته. الذين كان في قلوبهم، ذلك الإيمان الذي مثل حبة الخردل، لم يذهلوا بل تهللوا. قال واحد من الطلبة مبتهجاً: «الله شفاه؛ لأننا قد صلينا». كان الشفاء جزئياً. نعم، قد عاد فريدريك لوعيه، لكنه لم يستطع أن يتكلم. يمكنه فقط أن يمشي بمساعدة اثنين ليسندها. كنا قد طلبنا الرب ليشفيه شفاءً كاملاً.



واصلنا الصلاة من أجله . بعد ثلاثة أيام، أتينا بفريدريك إلى إجتماع درس الكتاب؛ الذي يُعقد ليلة كل جمعة في بيتنا، للرجال فقط من الممرضين، وطلبة التمريض .  
بعد درس الكتاب، وضعنا أيدينا عليه، وصلينا من أجل شفاء كامل . أثناء الأسبوع التالي، كان يتحسن بصورة مذهلة . بدأ يتكلم، وبعد فترة قليلة، بدأ يمشي بدون مساعدة أحد . لكن نظراً لعدم إمكانية عينيه أن تركز النظر، لم يتمكن بعد من القراءة أو الكتابة .

في ليلة الجمعة التالية ، طلب فريدريك؛ منا أن نضع عليه أيادينا مرة أخرى، ونصلي هذه المرة؛ من أجل عينيه، ويديه، حتى يستطيع أن يقرأ، ويكتب، فيمكنه أن يستأنف دراسته . صلى الطلبة بكل جرأة، ولجاجة من أجل زميلهم .

وفي غضون ستة أسابيع كان فريدريك قد شُفي تماماً . أصبح قادراً أن يقرأ ويكتب مرة أخرى ، أكمل دراسته، واستأنف عمله في المستشفى، وحياته الآن عبارة عن اختبار حي يشهد عن قوة الله، وأهمية صلاة الإيمان المثابر، والمُتحد.



# الفصل العشرون

## النهر

هناك نهرٌ كبيرٌ في غابة أفريقية غزيرة المطر ، يُعد عائقاً طبيعياً هائلاً. ونظراً لأننا جئنا من دول متقدمة ، فنحن نعتبر عبور جسرين، أو ثلاثة، ونحن في طريقنا إلى سوبر ماركت ، أمراً عادياً، ولا يستدعي أساساً أن نفكر فيه . لكن في أفريقيا حيث أن الجسور نادرة ومُهمّة ، فالأنهار تُعد من العوائق الطبيعية الجديرة بأن توضع في الاعتبار.

موضوعنا هنا يدور حول نهر اللويتسي . أثناء شهور موسم الجفاف ، من يونية إلى سبتمبر، ينحسر النهر، فينكمش عرضه ليصل ٢٧ متراً، أما عمقه فيبلغ على أقصى تقدير ثلاثة أمتار. لكن في موسم المطر، خصوصاً في قمة الشهور من نوفمبر، إلى مارس، يرتفع الماء بمقدار ستة أمتار، ويبلغ عرضه مسافة ستين متراً، أو أكثر.

عندما يكون نهر اللويتسي في أدناه ، فإن شلالات بونجولو ذات إرتفاع عشرة أمتار، تتدفق برفق بعرض النهر، الذي لا يتعدى مداه آنذاك ٢٧ متراً . وعندما يفيض النهر ، تهدر الشلالات بصورة مذهلة، بعرض ٤٥ متر، و ترش كمية هائلة من الرذاذ، الذي يشبه الريش الأبيض.

أبسط طريقة لعبور نهر اللويتسي ، هي استخدام الزورق الشجري ( زورق يصنع عن طريق تجويف جذع شجرة )، غالباً ما تصنع الزوارق من شجر الأوكوماي؛ لأن من خواص خشب الأوكوماي، أنه يعيش لسنوات طويلة، قبل أن تبدأ أنسجته في التلف، والتعفن ،حتى لو استمر مبللاً لفترة طويلة.

يا له من مشهد مثير، عندما ترى واحداً، أو أكثر من أصحاب الزوارق الماهرين في التجديف، وهم يعتلون تلك الزوارق الصغيرة، التي تارةً تعلو، وتارةً تنزل فوق مياه النهر المتدفقة، ولم يزعجهم أن سطح الزورق يعلو سطح الماء بحوالي ٥ سم فقط!. إن اتكأ أحدهم بصورة غير صحيحة، سيختل التوازن في الحال، ويتدفق الماء داخل الزورق.

رأيت بعض المحترفين، منهم الذين استقلوا زورقاً طوله متران ونصف، وبعد أن ملأوه بالرمل المبلل؛ تاركين مسافة سنتيمتر واحد أعلى من سطح الماء، وبدأوا بالتجديف، وهم يعبرون النهر ذا المياه المتدفقة بسرعة ، دون أن تدخل قطرة ماء واحدة داخل الزورق.

الزوارق الكبيرة تكون ثقيلة، ويصعب التحكم فيها . لقد عمل المرسلون الأوائل سلكاً

سميكاً (سمكه لا يقل عن ٢,٥ سم)، بعرض النهر بحيث يقف القائد في مقدم القارب، ويسحب القارب، عندما يمسك بالسلك يد وراء يد؛ فيتحرك القارب في اتجاه الجانب الآخر من السلك. بهذه الطريقة يعمل، مع إختلاف حجم القارب الذي قد يحمل من ٢٠ إلى ٣٠ راكباً. عبور قارب طوله ١٠ أمتار، ليس أمراً سهلاً كما يبدو بحسب الظاهر، خصوصاً إن كان القارب ثقيلًا.

لمدة سنوات عديدة استأجر عمدة ليامبا اثنين من المواطنين المحليين؛ كي يأخذا الناس عبر النهر في قارب كبير. عندما يكونان بعقل رصين، فإنهما جديران بالاعتماد عليهما، أما إن كانا ثملين، فمن المتوقع أن تقع أحداث مثيرة أثناء العبور.

إن كان عابر النهر لم يتحسب جيداً للتيار، أو أساء تقدير الحمولة، سيسحب التيار الزورق من تحته، فيلزمه إما أن يمسك في السلك الغليظ ويترك الزورق، أو يظل في الزورق ويترك السلك.

وإن كنت تراقب المشهد من على الشاطيء؛ فستجد المنظر مضحكاً، ومؤسفاً أيضاً. في البداية سترى الركاب يصرخون، و يولولون، ثم بعد قليل يتذمرون، و يشتمون. ينجرّف الزورق بقوة التيار في مجرى النهر المتدفق، وتخفت أصوات الركاب الغاضبين تدريجياً بعد أن يختفي الزورق عن الأنظار. وأخيراً سيرتطم الزورق بالشاطئ في مكان ما على مجرى النهر، و يصل الركاب؛ محبطين، ومجهدين إلى اليابسة.

الحل الأمثل، والمنطقي لكل ذلك هو بناء جسر. وفي ضوء المعطيات التالية: عرض نهر اللويتسي، ومنسوب المياه فيه عند يصل مواسم المطر إلى ذروته، بالإضافة إلى موقع بونجولو النائي، نستنتج أن بناء جسر كبير، بدرجة تكفي لعبور السيارات عليه، يُعد مشروعاً عملاقاً، ومكلفاً جداً.

وبما أن الحكومة لم تعتبر أبداً أن بونجولو على درجة من الأهمية، التي تستحق تشييد جسر، وحيث أن المرسلين ترددوا أن يطلبوا من أصدقائهم والذين يدعمونهم مبلغ ٢ مليون دولار من أجل بناء جسرٍ، لذا لم يُبَن هذا الجسر أبداً.

حتى لو افترضنا أننا وجدنا أصحاب الخير الأسخياء، الذين يمكنهم أن يتبرعوا بالمليوني دولار، المشكلة؛ في أن نجد من يقوم بتصميم وبناء الجسر بطريقة تضمن رسوخه، و كفاءته، ولا توجد شركات المقاولات التي تعمل في تشييد الجسور بغرب أفريقيا.

أرخص، وأبسط طريقة لكي تعبر السيارات، والشاحنات على نهر اللويتسي ، هي من خلال العبارة . الثلاث معديات الموجودة في بونجولو قد صُنعت بواسطة المرسلين. لقد علمت أن أول معدية صُنعت من براميل حديدية مضغوطة معاً، ومغطاة بأرضية خشبية.

قام مرسل اسمه دون ديركس في الستينيات، بتصميم عبارة بجسم مسطح، و ألحق بها مهبط متحرك ، بحيث يمكن رفعه أو خفضه. وبذلك يمكن للسيارات أن تدخل إلى الجسم المسطح فوق العبارة. وقد قام مرسلان آخران بتوسيعها، بحيث تسع سيارتين في المرة الواحدة.

نقطة ضعف المعدية هي قابليتها أن تحتزن ماء المطر بداخلها. يجب شطف الماء المخزن فيها بعد سقوط أمطار غزيرة؛ حتى يتسنى استخدامها بشكل آمن. وعندما وصلنا بونجولو في ١٩٧٧ ، كانت هذه المعدية مازالت تعمل، وحيث إننا معتادون على الجسور، ومستجدون في أفريقيا ، لم نقدرها كما تستحق - هي كالكاديلاك بين معديات بونجولو- . خدمتنا بصورة جيدة حتى ١٩٨١.

إن لم تكن قد عشت في مكان؛ مثل حوض الأمازون، أو غرب أفريقيا الإستوائي، من الصعب أن تتخيل كم المطر الهائل الذي يسقط من السماء، في مدار ساعات قليلة بلغ إرتفاع الماء ١٠سم في خلال ساعة واحدة من المطر . شاهدت العاصفة الممطرة التي أغرقت بونجولو في ١٩٨١. في ذلك النهار الذي كانت السيول تنهمر فيه بشكل رهيب ، كان ارتفاع الماء المخزن في قاع المعدية حوالي ٢٠سم .

أثناء العاصفة ، قرر طالبان من المدرسة الثانوية أن يعبرا النهر بالمعدية .كان الزورق الكبير على الضفة الأخرى من النهر . كان الرجلان المستأجران بواسطة الحكومة للعمل، قد غادرا إلى بيوتهما عندما اشتد المطر . لم يعرف الطالبان أنه من المهم جداً أن يديرا المعدية أثناء العبور؛ ليحميانها من دفع التيار الشديد.

هذه نقطة خطيرة جداً خصوصاً لو كانت الحمولة ثقيلة ، أو ممتلئة بماء المطر كما كانت في هذا الوقت. وهما في قلب النهر ضربهما تيار الماء الشديد، ودخل الماء إلى العبارة .في غضون دقائق قليلة ، ضاع تعب مئات الساعات من العمل الشاق الذي قام به المرسلان، علاوة على خسارة قيمة السلك الغليظ، وخشب، وحديد، ومواد قيمتها آلاف الدولارات.

إستطاع الطالبان أن يسبحا، و يصلا للشاطئ، أما المعديّة فقد غرقت، وكل محاولات إنقاذها قد باءت بالفشل . كان الذهاب إلى ليبامبا يأخذ عشرة دقائق، لكنه الآن أصبح يستغرق حوالي ساعة كاملة؛ لأنه ينبغي أن نسلك طريقاً داخلياً، وعراً، لكي نصل للطريق الرئيسي. لقد إستغرق بناء معديّة جديدة عامين.

أحد المرسلين الهولنديين اسمه دان بيجل، قام بتصنيع معديّة جديدة عن طريق لحام أربعة عوامات حديدية، وربطهم معاً، وثبت منصة خشبية عليهم من فوق . هذه المعديّة كانت الأخف وزناً، والأسهل استخداماً، لكنها لا تتحمل أكثر من سيارة واحدة.

في يوم من الأيام، ذهبت أنا، و بيكي كي نستخدم المعديّة الجديدة لننقلنا مع السيارة النصف نقل؛ لنزور أحد عياداتنا الفرعية، لاحظت أن طرف المعديّة غاطسٌ نسبياً في الماء، من الواضح أن إحدى العوامات قد امتلأت بالماء . لكنّي لم أهتم كثيراً . الذي لم أكن أعلمه أن عوامة ثانية قد ثقت، وامتلأت بالماء . وزن السيارة جعل المعديّة تنخفض نحو الماء . لم أكن أدرك أن العوامتين الأقرب للشاطئ، يوضعا من تحت . لتحفظا إتزان المعديّة، وتحميها من الغرق . في ذلك الوقت كانت المدرسة الثانوية قد سمحت للطلبة بأن يخرجوا في وقت الغذاء . وجدت حوالي عشرين طالباً يقفزون إلى المعديّة، واعتقدت حينئذ أن سعة المعديّة سوف تحتمل كل هذه الحمولة .

ساعدني الطلبة في سحب السلك الغليظ ، وتحركت المعديّة حتى وصلنا إلى المياه العميقة في قلب النهر، وبعد أن فقدنا الدعم السفلي ، بدأت المعديّة في الغرق . الألواح الأرضية التي نقف عليها، قد غاصت بمقدار بوصة في الماء .

قبل أن نفكر في العودة للشاطئ، كان التيار قد جرفنا، ودفع المعديّة لأسفل حتى لم يعد شيء منظوراً في قلب النهر، سوى ٢٢ شخصاً يصرخون، والماء يصل إلى ركبهم، ويمسكون في سيارة نصف نقل. ضغط التيار على المعديّة، وغاصت أكثر فأكثر . وعندما بلغ الماء لعترات أبواب السيارة، أدركت أنها قد تغرق في أي لحظة.

لم أكن أتصور كيف سنفضي باقي الفترة بدون السيارة . كنت أنا وبيكي نمسك بالسيارة دون أن نعرف ماذا نفعل . بصرف النظر عن السيارة التي قيمتها ٢٠ ألف دولار، ماذا عن العشرين طالباً الذين قفزوا من المعديّة، وأخذوا يسبحون إلى أقرب نقطة من الضفة المقابلة . بعد أن قفز حوالي ١٥ طالباً، منهم بدأت المعديّة تطفو تدريجياً على السطح ،

فسحبنا السلك، ووصلنا أخيراً للبابسة.

ونشكر الرب أن الطلبة قد وصلوا سالمين للشاطئ، وإن كان البعض قد فقدوا كتبهم، وأقلامهم . إلى اليوم لم أفهم لماذا لم ينقطع السلك، رغم قوة الشد . ربما أرسل الرب واحداً من ملائكته لكي يزيد من متانته . في العام التالي ذهب دان بيجل في إجازة زيارة الوطن، وقد ترك لي مسؤولية المعديّة.

ونظراً لعدم درايتي بكيفية لحام العوامات إن حدث ثقب بها ، اضرت أن أذهب لموظفين في ليبامبا، وأتوسل إليهم كي يساعدوني. من الناحية الفنية هم المسؤولون عن صيانة المعديّة . مضى أسبوعان إلى أن جاء طاقم الصيانة من ليبامبا، كي يبدأوا إصلاح المعديّة . أخذوا العوامات لكي يلحمونها في ليبامبا، وبعد أسبوع، توقفت عند الجراج في ليبامبا؛ لأرى ما قد أنجز من عمل . وجدتهم لم يعملوا شيئاً؛ بسبب عدم وجود قضبان اللحام؛ فأرسلت لهم بعض مما عندنا في الإرسالية .

بعد أسبوع آخر أتيحت لي فرصة أن أذهب، وأراجع ما قد فعلوه ، وجدتهم قد انتهوا من اللحام، لكن لم يكن لديهم دهان . أرسلت، وأحضرت دهاناً من الإرسالية. في تلك الأثناء، وجدنا تسريب ماء في عوامة أخرى فأرسلناها إلى ليبامبا أيضاً . مضى أسبوع، ولم أسمع خبراً . فذهبت إلى ليبامبا؛ لأرى ماذا يجري هناك .

بعد ساعة من البحث عن العامل الذي يقوم بالصيانة ، قال لي : إن العوامة الأخيرة بها صدأ؛ لذلك يجب أن نستبدل الإطار الحديدي كله ، ولسوء الحظ إنه لا يوجد لديهم صفائح حديدية، مما يلزم الذهاب إلى ليبرفيل لإحضارها من هناك . قرر أن يذهب في الصباح، فمدحته على همته واهتمامه، محاولاً أن لا أركز على الحقيقة أنهم قد أخذوا عدة أسابيع، فيما كان ينجزه دان بيجل في يوم واحد . لقد مضى ٥ أسابيع منذ بدأنا في إصلاح المعديّة . في نفس الوقت تقريباً، كنت أواجه عدة مشاكل مع زورق الإرسالية. كان زورقاً شجرياً يسع ٤ أفراد، وكان يُستخدم مرتين في الأسبوع؛ لعبور النهر من أجل متابعة الموقع الكهربومائي، ومضخة الماء .

بدأ الزورق في التعفن، وكان هناك تسريب واضح ، لكي أعبر النهر كان يجب أولاً أن أحل الزورق من مكانه، ثم أجدف بصورة جنونية، حتى أصل للجانب الآخر من الشاطئ، ثم أخوض في الوحل برجلي .



هل أصلح الزورق الذي به تسريب؟ أم المعدية العاطلة؟ أم أقوم بالتزامات العمل الطبية اليومية؟ أم حالات الطوارئ بالمستشفى؟ مرات كنت أشعر بأنني أغرق.

ثم عاد الموظف المسئول في ليبامبا عن إصلاح المعدية من لييرفيل بعد أربعة أسابيع، لقد تأخر بسبب «المرض» لكنه رغم ذلك تمكن من أن يجد بعض الصفائح الحديدية، في غضون أسبوعين كان قد انتهى من إصلاح العوامات الحديدية، وتركيبها بالمعدية. ستغرق ١١ شهراً لتستأنف العمل من جديد!

إما أن يتعلم الشخص في أفريقيا أن يصبر، أو يصاب بقرح رديء. الذين يعبرون النهر بالمعدية بصورة دورية، لا مفر من التعلق بها بعلاقة قوية سواء بالحب، أو الكراهية.

عندما كانت المعدية عاطلة عن العمل، قدرنا قيمتها كثيراً، لكن بعد إصلاحها، سرعان ما اعتبرنا أنها حق طبيعي. في مناسبات أخرى جديرة بأن أذكرها، أنني وصلت للنهر مرة في ساعة متأخرة من الليل لأجد كلا من المعدية، و الزورق مربوطين في الضفة المقابلة للنهر. عندما يحدث هذا الأمر، لا يوجد إختيار سوى أن أخوض في الماء، وأمسك في السلك الغليظ الممتد بين الضفتين، وأتسلقه، يد وراء الأخرى، حتى أصل للشاطئ الآخر أول ١٠ مرات فعلت فيها هذا الأمر كنت خائفاً، أفكر فيما يمكن أن يحدث، لو انزلت يدي من على السلك. تخيلت نفسي، وأنا أعوم في المياه الزرقاء/ المسودة، وأنا أشعر أن أوراق الشجر توخزني في وجهي، بينما يشبك جسمي ببعض الأعشاب، والأغصان التي تلتف حول عنقي ( خيال الشخص يكون شديد الخصوصية في الليالي العصبية ).

في إحدى المرات توهمت أني رأيت ثعباناً طوله متراً ونصف وأنا أعبر. شيئاً فشيئاً تعلمت أن أعبر النهر بدون أن أفكر، بل يجب أن أركز فقط على وضع يد أمام الأخرى، إلى أن تلمس رجلي اليايسة على الضفة الأخرى.

واحدة من التجارب المثيرة التي اختبرتها مع المعدية حدثت في ليلة كنت فيها وحدي، كنت قد لاحظت أثناء النهار أن العروة التي تصل السلك بالمعدية أصبحت ضعيفة وبالية، وقلت لنفسي، إن انقطع هذا السلك، سوف يجرف التيار المعدية في مجرى النهر، ولن يوجد من يقدر على إصلاحها. بعدها بعشر ساعات، بعد عناء سفر طويل، وعظمي يؤلمني، عبرت النهر وحدي في الظلام. كنت ممنوناً أن المعدية كانت على الضفة التي من ناحيتي.

بدأت أدير المعديّة شيئاً فشيئاً، لكي يدفعها التيار عبر النهر بدون أن أسحب بيدي السلك . كان ذهني يسرح في عشاء لذيق، وحمّام دفيء، عندما سمعت صوت أزيز معدني بالقرب من عروة السالك.

لقد تأكلت العروة، وكاد السلك ينحل عنها ، السلك هو الشيء الوحيد الذي يحميني أنا، والسيارة من كارثة محققة في مكان ما في عبر الهر. لم أكن واثقاً أنني يمكن أن أمسك به. صليت طالباً قوة تثبت أقدامي، وأمسكت جيداً من أجل حياتي الثمينة.

بدأت المعديّة تتأرجح ، وبعد أن انفصل السلك، وسحبته بقوة، عاد إلى مجرى العروة بقوة تولدت من شدة الخوف .ومعونة اليد الغير منظورة تشددت يدي . وبعد فترة بدت كأنها ساعة من الزمن، بينما في الواقع لم تتعدّ الدقيقتين، فلتت المعديّة من سطوة التيار، واستعادت مسارها، وحفظت العوامات توازنها؛ حتى وصلت إلى البر. أنقذ الرب حياتي برحمته مرة أخرى.

# الفصل الحادى و العشرون

## بدون عائلة – عائلة جديدة

الأصوات الوحيدة التي يمكن أن تُسمع في مدافن الأدغال هي أصوات قعقعة المجارف، وكتل التراب التي تقذف فوق تابوت الميت حين كنا نقوم بردم حفرة المقبرة. كان عملاً حاراً جداً. سوى النادبون التراب فوق المقبرة ، موبخين الرجل الذي بدأ يسوي التراب بقدميه بدلاً من يديه . قام أحدهم بغرس نبات الكاسافا فوق طرف المقبرة كعلامة عليها.

كان الميت مريضاً لدينا بالمستشفى ، و كان مصاباً بسرطان في الكبد . بالرغم من خدماتنا الكثيرة، كان يضعف بصورة مستمرة . يوم وراء يوم كان القس يتكلم إليه عن احتياجه أن يعطي حياته للمسيح، لكنه كان متردداً، ومؤجلاً قرار خلاصه، راجياً أن تحدث معجزة له. عندما جاء إلينا أول مرة، كنا نظن أن معه أحد يُعد له الطعام، ويعتني به . خوفاً من أن نرفض استقباله فقد كذب علينا مُدعياً بأن واحداً من أفراد عائلته قد جاء معه. وقد كان زملاءه من المرضى يشركونه معهم في الطعام طبقاً للكرم الإفريقي التقليدي.

عندما اكتشفنا أن ليس معه مالٌ كي يدفع رسوم المستشفى التي تبلغ ٢ دولار/ اليوم بدأنا نستغرب الأمر. عندما اشتد به الوهن، ولزم الأمر أن ننقله لغرفة خاصة ،اكتشفنا لأول مرة أن ليس أحد معه.

يوماً، تكلم الرب إليّ، وكلفني أن أتحديث إليه . كنت مشغولاً في جولائي، وجدول عملياتي، ولم أنته من الجراحة حتى الساعة الواحدة تقريباً . كنت متعباً . كنت أعرف أن فرنسية الرجل ركيكة لذلك كان يلزم أن أتكلم معه بلغته الوطنية الصعبة . ففكرت وقلت ، ربما لا يفهمني جيداً، ربما يكون ضعيفاً، وصحته لا تحتمل المناقشة . لكن الرب تكلم لي من أجل قصد معين، ويجب عليّ أن أطيعه.

كنت أقدم رجلاً، وأؤخر الأخرى نحو بابه . كان يرقد في هدوء، كان واهناً، ومصفراً من تأثير السرطان لكنه كان مستيقظاً . كان واضحاً أنه قد يموت بعد وقت قريب.

وبالرغم من الضعف الواضح ، تجاوب بترحاب لتحيتي . جلست على طرف سريره، وسألته عن عائلته . أجابني بنبرة حزينة أن أولاده، وأقاربه جميعهم في العاصمة ليرفيل التي تبعد ٥٤٠ كم شمالاً. أرسل خبراً لهم أنه مريض . وأنه يريد مساعدتهم ، ورغم ذلك لم يأت أحد . شعر أنه وحيد ومتروك بكل معنى الكلمة . فقلت له بأسلوب رقيق : « هل

تعلم أنك تموت، وليس في وسعي أن أفعل لك شيئاً آخر لأساعدك». فأجاب بهدوء: نعم.

فسألته: «هل أنت مستعد للقاء الله؟ أجب بعد برهة: «لا أظن ذلك».

قلت له: «هل تعلم أنه بعد وقت قريب ستكون وجهاً لوجه مع الله الذي صنعك.

هل فكرت لماذا يرغب في أن يدعوك كي تدخل بيته؟». لم يكن يعلم لكنه أراد أن يعرف.

هكذا كنت أتكلم معه بلغته، وأنا أشرح له خطة الله لخلاص الإنسان بيسوع المسيح.

عندما دعوته أن يقبل المسيح في قلبه بالصلاة، قبل في الحال. كانت صلاته إلى حد ما

غير واضحة، فطلبت من القس لوك أن يتكلم معه مرة ثانية. هذه المرة صلى بفهم أكثر

طالباً غفران خطايه معبراً عن ثقته أن يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد، الذي به وحده

يمكن أن يخلص.

في وقت متأخر من تلك الليلة دخل الرجل في غيبوبة، ومات. وبعد ساعتين وصل من

ليبرفيل، خمسة من أفراد عائلته بعد سفر دام يوماً كاملاً. جلسوا حزاني بجانب بعضهم،

وكما هي العادة في غرب أفريقيا، يلقون أنفسهم على الأرض، ويضعون التراب على

رؤوسهم، يبكون، ويولولون طوال الليل.

كان حزنهم ممتزجاً بالشعور بالذنب؛ لأنهم توانوا، ولم يتجاوبوا بسرعة مع توسل أبيهم

إليهم طالباً مساعدتهم. وفي الصباح الباكر عرض القس لوك أن يساعدكم في ترتيبات

الدفن. وعندما أشاروا في حديثهم أنهم يريدون أن يدفعوا ثمن التابوت. استأجر نجاراً

لكي يصنع واحداً. وعندما قال لهم أننا قد أعدنا المقبرة لم ينطقوا بكلمة.

أخيراً سألت واحد منهم: لماذا تفعلون كل هذا من أجلنا؟ أجب القس لوك ببساطة:

«لأننا أولاد الله. أوصانا الله أن نحب بعضنا بعضاً». لفت العائلة الجسد بالكفن

الجديد، ووضعه في التابوت.

وقف النجار بوقار على مقربة، وبيده المطرقة، وبعض المسامير، وعندما كانت العائلة

مستعدة، ثبت غطاء التابوت بالمسامير، ثم ركبنا سيارتي النقل، واتجهنا إلى المقابر.

ألقى القس لوك كلمة للمجموعة: «هذا الرجل جاء إلينا مريضاً بلا نقود، وبلا عائلة.

لأننا أولاد الله، استقبلناه، واعتنينا به بأقصى ما يمكن أن نفعله. لكن قبيل أن يموت وجد

عائلة جديدة - عائلة الله. لقد أعطى حياته للرب يسوع، وصار واحداً من أولاد الله.

اليوم هو في السماء. لو كان أحدكم هو الذي مات اليوم هل كان سيذهب للسماء؟ »

ساد صمت غير مطمئن أخيراً أجابت الابنة الكبرى : « الإحسان الذي فعلتموه مع أبي، وإلينا يؤكد لنا أن ما تقولونه حقيقي يا قس . لم نَرْ معروفاً مثل هذا من أناس غرباء عنا . يمكننا أن نرى أن الله في قلوبكم . لكننا الآن مضطربون لدرجة أننا لا نستطيع أن نقرر شيئاً » هز القس لوك رأسه قليلاً ثم قال : « لا تنتظروا طويلاً حتى تقررُوا . الله يتكلم إليكم الآن ربما غداً لا تفكرون فيه مطلقاً » صمت برهة، وعندما رأهم ينظرون إلى التابوت، أوماً برأسه، وصلى، وشكر الله على خلاص الرجل الذي الآن يوارونه الثرى. بينما كنا نردم المقبرة، كان قلبي ثقيلاً لأن هؤلاء الناس سيعودوا إلى ليبرفيل دون أن يعرفوا المسيح، أما عن الرجل الذي في القبر فإنه سيحيا للأبد.

﴿ بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي : إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ ﴾ . ( يو ١٣ : ٣٥ )

# الفصل الثاني و العشرون

## فيرونيكا

في وقت متأخر من إحدى الليالي، قبيل الكريسماس بعدة أسابيع أيقظني صوت قرع على الباب الأمامي. لم يكن لدينا أي أجهزة تليفون، أو أجهزة لاسلكي آنذاك لذا فعندما تاتي حالة طارئة أثناء الليل، يتعين على الممرضين أن يسيروا مسافة كيلومتر تقريبا، ويصعدوا التل؛ حيث البيت الذي أقيم فيه، ثم يقرعون على الباب حتى أجيهم. عندما فتحت الباب، رأيت رجلاً متوسط العمر، يمسك بيديه مصباح كيروسين يخرج منه الدخان. إضاءة المصباح التي تارة تخفت أو تزيد، كشفت عن ملامح وجهه المضطرب.

قال لي بلغة فرنسية ركيكة: إن ابنته مرضت فجأة. بينما كنت أقود السيارة متجهاً إلى المستشفى أسفل التل، شرح لي الرجل أعراض مرض ابنته. تبدو أنها حالة ملاريا حادة. أوقفنا السيارة في الجناح المعتم المصنوع من الطوب الطيني. إضاءة السيارة القوية فرقت مجموعة من الجداء كانت نائمة على العتبات الأمامية للمستشفى. كانت النوافذ محكمة الإغلاق؛ لكي تمنع دخول الناموس.

كانت فيرونيكا ترقد على قطعة قماش ملونة، قد فرشتها أمها على ألواح السرير المكشوفة. رغم أن عمرها حوالي تسع سنوات، لكن لأنها كانت نحيفة، كانت تبدو أكبر من سنها.

أظن أنها كانت مريضة بالفعل منذ عدة أسابيع. كانت عيناها القامتتان، تتطلع إليّ بمهابة. بينما كان المرضى الآخرون، يراقبوننا باهتمام. فحصت البنت، وفي الضوء الخافت لم أجد مشكلة عند البنت، سوى أن درجة حرارتها مرتفعة؛ إذ كانت حوالي ٤٠ درجة، والكبد متضخم قليلاً. هناك الكثير من الأفارقة يعانون من تضخم الكبد؛ بسبب الملاريا المزمنة. لذلك لم أكن قلقاً أكثر من اللازم. عالجتها من الملاريا، وأعطيت تعليمات لنوربرت كي يعطيها خافض للحرارة من أجل الحمى.

قلت لهم ليلة سعيدة، وعدت إلى البيت متسائلاً، لماذا كان والد فيرونيكا منزعاً بهذه الصورة؟ أدوار الحمى هذه، شائعة جداً بين الأطفال. بينما ذهبت لأنام كان هواء الليل البارد يهب من حصيرة النافذة، و طار النوم من عيني.

كلما كنت أفكر في تشخيصي لحالة فيرونيكا، كلما شعرت بعدم الإطمئنان. كان أبوها يشكرني، بتعابير يملؤها الثقة المطلقة. لم أشعر براحة. وفي اليوم التالي كانت فيرونيكا حالتها أسوأ، واستمرت الحمى لأربعة أيام متتالية. بدأت أعطيها جرعات من المضاد



الحيوي، وأنا مشتبه في حمى تيفود.

لكن لم يكن هناك أي تحسن . ومع إني أنا، وكل الممرضين ، كنا مشغولين في العيادة الخارجية مع حوالي ثلاثين مريضاً في الجناح الخارجي . كانت معاناة فيرونیکا محل اهتمام كل واحد فينا . كان من الواضح أنه إذا لم نفعل لها شيئاً عاجلاً ، سوف تموت . بينما كانت حالة فيرونیکا تسوء، بدأت ثقة أبيها فيّ تهتز . لم أفصح له عن مشاعر الاحباط التي كانت لديّ ، إذ لم يكن عندنا المعدات التي تجعلنا نعمل أشعة إكس البسيطة.

تحول تفكيري إلى الكريسماس، الذي كنا ننتظر الاحتفال به . كان أول كريسماس لنا في أفريقيا، لكنه لم يبدو لنا أنه الكريسماس . كانت شجرة الكريسماس الصناعية التي زُينت بالأضواء الملونة، والزينات اللامعة ، بدت كأنها غريبة، وغير ملائمة للظروف . ومع أننا قد حضرنا إحتفالاً مثيراً في الكنيسة الإفريقية يسوده جو من الحماس، لكننا بقينا في أماكننا مشاهدين، غير مشاركين . كانت فرحتنا بمجيء المسيح عبارة عن خواطر ذهنية، وليست مشاعر قلبية.

في ذلك الأسبوع ، أثناء إجتماع الصلاة في الأربعاء ليلاً، صلينا وقتاً طويلاً للرب كي يشفي فيرونیکا ولكي تعرف عائلتها المسيح من خلال ما نصنعه معهم. طلبنا من الرب أن يعطينا حكمة أيضاً . بعد ليال عديدة، استيقظت مرة ثانية على صوت صياح، وقرع على الباب الأمامي . وجدت والد فيرونیکا مرة أخرى، واقفاً على الباب، وكانت معه في تلك المرة ممرضة أفريقية.

توسل إليّ، والدموع تسيل من عينيه كي آتي، و أنقذ حياة ابنته . بدأت تعاني من صعوبة في التنفس . أكدت الممرضة أن الحالة بالفعل طارئة؛ فارتديت ملابسني بأقصى سرعة، وانطلقنا إلى المستشفى . وكان بقية المرضى مستيقظين ، يراقبون الطفلة وهي تشهق . كانت هناك ممرضتان تضيئان لنا بالفوانيس، وأنا أفحصها؛ فإكتشفت أن الجانب الأيمن من صدرها، ممتليءٌ بسائل.

إحتجت إلى أنبوب صدر معقم؛ لكي أخرج السائل الذي قوض رئتها، لكن الأدوات، والمعدات التي طلبناها من أوروبا، وأمريكا لم تأتِ بعد.

بعد بحث طويل ، وجدت إحدى الممرضات أنبوب ( أنفي - معدي ) قديم . ونحن نغلي

الأنبوب مع بعض الأدوات الأخرى ، كنت أشرح لأبويها ما نحن مزعمون أن نفعله؛  
كي ننفذ حياة ابنتهما . كانت الاجابة صاخبة . حتي هذه اللحظة كانت أم فيرونیکا  
تهديء ابنتها وتطمئنهما، لكن الآن بدأت تولول، وتصيح، وتلقي نفسها على الأرض، وتندب  
بطريقتهم الافريقية التقليدية عند موت أحد أحبائهم.

قمت بنقل الفتاة إلى الغرفة التي سنجري فيها العلاج . وضعناها على المنضدة، وتحت  
إضاءة الفانوسين الخافتين، كان أبو فيرونیکا يصارع كي يمنع زوجته من الدخول للغرفة  
.أمسكت الممرضات بيدها، وأعطيناها حقنة تخدير. فتحنا فتحة بالمشروط في صدرها،  
لندخل الأنبوب بين إثنين من ضلوعها . تم أخراج حوالي لترين من السائل البني الذي على  
رئتها . توقفت أم فيرونیکا عن الصراخ، وحدقت نظرها بدهشة . كانت عيونهم تمثليء  
بالتقدير . كلما سحبنا سائل أكثر كلما تزاخم عدد أكبر من المرضى حول الباب يتمتمون  
بذهول . بدأت أنفاس فيرونیکا تنتظم شيئاً فشيئاً.

أعتقد أن فيرونیکا كان لديها خراج أميبي في الكبد، وقد انفجر في صدرها، مع أنني  
لم أملك الأدلة الكافية التي تثبت هذا التشخيص . تركنا الأنبوب كي يصرف السائل  
لمدة أسبوع، ثم أعطيناها جرعات المضاد الحيوي المناسب، إلى أن تعافت أخيراً . أعطت  
فيرونیکا حياتها للمسيح قبل أن تغادر المستشفى . لكن أبواها لم يصبحا مسيحيين ، لكن  
كلما قابلت أباهما في المدينة ، كان يشير إليّ، ويقول للناس بصوت مرتفع : إنه الطبيب  
الذي أرسله الله لينقذ حياة ابنتي من موت محقق .

لا يوجد لديّ مانع من ذكر هذه القصص؛ طالما إن اسم الرب يتعظم . أنا أعلم أن الفضل  
كله يعود للرب .

ونتيجة لشفاء فيرونیکا، ذاعت شهرتنا في كل حذب وصوب . وتكدست المستشفى  
بالمرضى . جاء معظمهم، وهم معتقدون أنني أستطيع أن أعالج أي داء.

في بعض الأوقات ، أذهلتنى ثقتهم المطلقة في قدراتي، إذ أسمعهم يقولون : « إلهك سوف  
يعرفك ما ينبغي أن تفعل على أية حال . هو يفعلها دائماً معك» .  
أمام إيمان مثل هذا ، ماذا عساي أن أفعل سوى أن أقوم بالعمل ؟.

إن شفاء فيرونیکا، وإيمانها بالمسيح، قد بدد غيوم الكآبة من جو احتفالات الكريسماس.  
لقد تركت بداخلنا فهماً أعمق لما قد أتى به الكريسماس.  
وبلا تلال من الهدايا، وبدون جولات التسوق في المحلات المبهجة لمراكز التسوق الكبرى،  
و بدون زينة الكريسماس، والأضواء المتألقة ، وبدون حتى عائلتنا ، قد احتفلنا بأول  
كريسماس لنا في أفريقيا.

فرحتنا لم تكن مستقاة من الديكورات الجميلة التي أحضرناها معنا . بل قد فاضت  
بالأكثر، ونحن نمد يد المساعدة لشعب في احتياج شديد كي يسترد صحته الجسدية، وأن  
يجد شفاءً روحياً في مسيح الكريسماس.



# الفصل الثالث و العشرون زوجاتا لیبونجو

الصوت الذي كان يناديني من خلال اللاسلكي، قد أيقظني فجأة، فقمّت من فراشي متعثراً، نحو غرفة المعيشة المعتمدة؛ لكي أخفض الصوت قبل أن توقظ ضوضاؤه كل من في البيت. كان منتصف الليل، وكنت قد ذهبت للنوم منذ ساعة إن لم أجب سيظل الممرض المسئول عن نوبة الليل مستمراً في الإتصال: فأجبت « آلو. أنا الطبيب. ماذا تريد؟» جاء الرد: «السيد ليبونجو إنطوان قد أحضر زوجته الليلة، وهي مريضة جداً، ويريدك أن تأتي حالاً كي تراها». لم أعلم أن هذه الكلمات قد أضمرت لهيب بعض الجمر، الذي قد خمدت ناره في قلبي من عدة سنوات مضت.

من خمسة أعوام قتلت أحد جدائه التي كانت حول المستشفى، إنه ليبونجو السكر الذي أقسم غاضباً، وهو مخمور بأن ينتقم مني بإيذاء أولادي. لم يتحقق شيء من تهديده، لكن كل هذا اجتاح ذاكرتي مثل العاصفة. لم أكن في الحالة النفسية التي تدفعني كي أذهب إليه سواء من أجله، أو من أجل زوجته.

سألت الممرض: ما هو نوع المرض الذي تشكو منه؟ سألت لأذني لن أنزل إن لم يقنعني الممرض بأن المريض سيموت، وإلا لن أجيء.

أجاب: «حسناً، بطنها تؤلمها جداً» قلت له: «منذ متى؟»، قال: منذ أمس؟ من أمس، ونحن الآن في منتصف الليل، والسيد ليبونجو قرر أن يأتي بها إلى المستشفى الآن! . سألت بريية: ما هي الأعراض؟ فذكرها لي الممرض عبر اللاسلكي. فقلت: كل شيء يبدو طبيعياً. يقيناً يمكنها أن تنتظر إلى الصباح.

لم يكن الممرض سعيداً بقراري، خاصةً أنه ينبغي أن يجيب بذلك للسيد ليبونجو حيث أن ليبونجو يسكر كل ليلة، وأصبح التعسف والطابع العدائي جزءاً لا يتجزء منه، وهذا أمر غير مطمئن ذهبت إلى فراشي، ونمت. لكن لم أستطع أن أنام. بعد عشرين دقيقة، قمّت، وجلست على سريرتي. لا فائدة. علمت متى يكون الرب غير راضٍ عني، وفهمت أنه يطلب مني أن أذهب للمستشفى. ارتديت ملابسني، ونزلت، وقادت السيارة هذا الكيلومتر؛ متجهاً للمستشفى.

رؤية ليونجو، ورائحة الكحول، التي تحيط به، كانت مثل سحابة حملت إليّ حادثة قتل الجدي، كما لو كانت قد حدثت بالأمس . بمعونة من عند الرب استطعت أن أحيي ليونجو، كما لو لم يحدث شيء من قبل مطلقاً . رد عليّ بإبتسامة طفيفة، وعرفني بزوجته . لم تكن هي السيدة المسيحية البشوشة التي أذكرها . وعندما لاحظ إلتباس الأمر عندي ، وضع لي بأن هذه السيدة هي زوجته الثانية؛ واسمها «بريجيت» . يبدو على بريجيت أن عمرها حوالي ٢٠ سنة . فحستها برفق وهي تئن . كانت تعاني من وجع مستمر في الجزء السفلي من البطن مع شعورها بدوخة لمدة يومين . قررت إما أن يكون عندها عدوى في الحوض، أو ربما تكون مشكلة في الرحم .

اختبار الحمل كان سلبياً، والوظائف الحيوية كانت مستقرة، و لم يكن عندها أنيميا علقت محاليل، و أعطيتها مضاد حيوي ، غالباً كان التشخيص المرجح، هو عدوى في الحوض . أعطيتها مسكن للألم، وأوصيت الممرضات أن يقيسوا الضغط ، والحرارة كل ساعة حتى نهاية الليلة، وعدت للبيت .

في الصباح التالي كانت تشعر أنها أفضل حالاً . ولكن المشهد الذي لمس قلبي؛ هو رؤية زوجة ليونجو الأولى، وهي تخدم صرتها الصغيرة بريجيت ، بكل محبة، واعتناء .

أنا أعرف أنه لكونها سيدة مؤمنة، لم تكن تريد أن يتخذ زوجها زوجة ثانية . وعندما غادرت الجناح ، جاءت مرثا ورائي ، و دعنتي : “ دكتور دافيد، من فضلك عندما تجد فرصة تكلم مع بريجيت عن الرب يسوع لأنها غير مؤمنة، وأنا قلقة جداً عليها “ . لم أستطع أن أخفي إبتسامتي، سألتها : “ لماذا أنت مهتمة بصرتك بهذه الصورة؟ “ فأجابت: “ أنت تعلم يا دكتور أنني صليت من أجل خلاص زوجي لمدة عشر سنوات، حتى يعلم أن طريق يسوع هو الطريق الصحيح، لكنه لم يُرد أن يتخلى عن الخمر، والنساء . وعندما اتخذ بريجيت كزوجة ثانية، قررت أن أربحها للمسيح؛ من خلال صلاتي من أجلها، وإظهار المحبة لها . فعندما تصبح مؤمنة سيكون له زوجتان مؤمنتان، تصليان من أجله “ .

إيمانها، وحكمتها جعلاني عاجزاً عن الكلام برهة ثم قلت : “ أعدك أنني سأكلمها عن المسيح “ . فردت بإبتسامة مشرقة . مرثا شخصية جذابة، وتكون أكثر جمالاً، وهي تضحك . وفي وقت الظهر ذهبت لألقي نظرة على بريجيت لأرى كيف تسير الأمور . لقد عاد الأم

. بدا وجهها شاحباً، والجزء السفلي من البطن كأنه سيسقط . تحاليل الدم أثبتت أنها تفقد دمًا من مكان ما في جسمها .

وافقت أن آخذها إلى غرفة العمليات لكي أقوم بفحوصات , من خلال إبرة تنفذ إلى الحوض . المدهش أن اختبار الدم بطريقة ثقب الإبرة على الحوض, كان سلبياً . فقررت أن أجري لها عملية استكشافية . كانت فصيلة دم زوجها مماثلة لفصيلتها. تبرع بالدم . كانت بريجيت خائفة جداً , ونحن نقوم بالتخدير النصفى من خلال العمود الفقري؛ لنجري لها العملية . إن نقل الدم من زوجها إليها قد زاد من روعها.

إتكأت تجاه شاشة التخدير, وقلت لها سوف أصلي من أجلك . فأومأت رأسها أنها موافقة؛ وهي متأكدة أنها ستموت . فصليت “ يا أبانا،ساعدنا الآن, ونحن نُجري العملية لبريجيت , أعطنا حكمة للتعامل مع ما نجده بمهارة . ساعد بريجيت أن تشفى تماماً, بدون أي مضاعفات بعد العملية . وفوق الكل يا رب إجعل بريجيت تثق فيك. آمين“. نظرت إليها بعد أن صليت, وجدها تبتسم إبتسامة ضعيفة.

وجدنا في الجزء السفلي من البطن حوالي لتر من الدم النقي, والمختلط بدم قديم متجلط . حددت مصدر النزيف , وهو تمزق في قناة فالوب . في اليوم التالي شرحت لبريجيت؛ بأنني إن لم أكن قد جئت لكي أفحصها في منتصف الليل, وعلقت لها المحاليل, ربما كانت قد ماتت . هي إما محظوظة, أو أن الرب قد حفظها من نزيف مأساوي .واصلت كلامي معها, وقلت : “ ربما الرب يندرك كي تكوني في علاقة صحيحة معه . كانت يبدو أنها تفكر في الأمر دون أن تنطق بكلمة, لكن وجهها يظهر موافقتها. ليونجو لم يبد مستريحاً.

بعد أسبوع خرجت بريجيت من المستشفى . يبدو أن مرض بريجيت قد ربط مرثا, وبريجيت معاً , الأمر الذي بصورة ما قد أقلق ليونجو . بعد حوالي ستة أشهر قررت بريجيت؛ أن تتبع الرب يسوع أيضاً, كما تمنت مرثا تماماً , الآن ليونجو له زوجتان؛ تعملمان, و تصليان من أجل ربحه للمسيح.



# الفصل الرابع و العشرون

## على وشك أن يُعَدَم

الشجاع، والمكرس تماماً للرب ، والذي عقد العزم من كل قلبه ان يتبع السيد، فقط هو الذي يسافر لغرب أفريقيا. الأمر ليس لأن غرب أفريقيا خطر جداً فحسب، بل إنه مكلف جداً، و مزعج، و زاهر بالمفاجآت، ومختلف عن بقية العالم قليلون من الأجانب الذين عندهم سبب يعلل ذهابهم لهذه المنطقة .

يأتي الغربيون إلى الجابون لثلاثة أسباب فقط ؛ من أجل المكسب المادي، أو زيارة مستشفى الدكتور ألبرت شويتزر، أو من أجل إرسالية علمية، أو خيرية. في كل حالة مما سبق ، يتوقف نجاح الفرد على قدرته، أو رغبته في التعلم . بعض الذين رأيت أنهم من أفضل المتعلمين الذين قابلتهم في الجابون؛ هم طلبة كلية الطب.

زارنا عدد كبير من الشباب الأمريكي لفترات قصيرة الأجل منذ ١٩٧٧. وضعنا شروط معيارية لهؤلاء الطلبة ؛ يجب أن يكونوا مؤمنين بالرب يسوع المسيح. و في السنة الرابعة من كلية الطب، يتكفلون بنفقاتهم، و يكونون قادرين على التحدث، وفهم بعض من اللغة الفرنسية. وبالرغم أن بعضاً من الطلبة وجدوا أن تجربتهم الأفريقية ممتعة، فبالنسبة للبعض الآخر لم تكن كذلك .أحدهم ، الذي أدعوه ستيف، واجه مأساة شددت إيمانه، وذكرتنا جميعاً أن إمكانية الحياة، والعمل في أفريقيا تعتمد على الله بالتمام.

زوجة ستيف قد رافقته إلى الجابون، وقد كانت الستة أسابيع التي قضوها معنا فترة سعيدة . إن ستيف لا يتكلم الفرنسية مما حد من قدرته على أن يقوم بدوره بصورة مستقلة في المستشفى، لكنها لم تُخفِ مشاعره تجاه شعب الجابون. يتذكره الممرضون الإفريقيون جيداً حتى اليوم، حيث كان يقوم بعمل شاق، وبسبب شغفه بهم . تعلقنا بهما؛ فلم يكن سهلاً أن نراهما يرحلان . لكن حيث أنه في السنة الأخيرة كطالب في كلية الطب؛ يلزم أن يعود للولايات المتحدة لكي يتخرج.

قبل مغادرتهم بفترة قليلة دعتهما رسالة من إرسالية أخرى أن يركبا معها إلى ليبرفيل . ومسافة الرحلة ٥٤٠كم، وتستغرق من ١٠ إلى ١٢ ساعة من القيادة المرهقة . والجزء الممهد الوحيد آنذاك؛ هو آخر ٩٠كم في الرحلة كلها.

وذات مرة من المرات التي كانوا يتبادلون فيها القيادة، تطوع ستيف أن يقود السيارة باقي الرحلة . كانت الشمس وقتها قد مالت نحو المغرب، كان الطريق ناعماً، ومستقيماً. وفي الوقت الذي كان فيه معظم السائقين يقودون بسرعة ١٠٠ / ساعة، كان ستيف يقود ما بين ٦٠ - ٨٠ / الساعة . رأى ستيف سيارة متوقفة على الجانب الآخر من الطريق . ومجموعة من الناس كانت تقف عند مؤخرة السيارة يتكلمون.

وعندما اقترب ستيف ، قررت سيدة شابة فجأة أن تعبر الطريق . لم يستطع أن يتحول يمينا ولا يساراً، بل كل ما إستطاع أن يفعله هو أن يدوس فقط على فرامل السيارة . لكن كان متأخراً لحظة. لقد صدمت مقدمة السيارة السيدة مباشرة من الخلف فألقته مسافة ١٠ أمتار . في معظم البلاد الأفريقية يُنصح المسافرين بأن لا يتوقفوا، إن صدموا أحد المشاة على الطريق.

في الجابون، حتى الشرطة تنصح السائق أن يستمر في طريقه، ولا يتوقف حتى يصل لأقرب قسم للشرطة، ويقدم بلاغاً عن الحادثة . . ومن يتجاهل هذه النصيحة؛ فعليه أن يكون مستعداً للموت . من بين جميع القبائل التي في الجابون، كانت قبيلة الفانج أكثرهم رعباً، بسبب سمعتهم في سرعة ورهبة تأثرهم . لم يكن ستيف يعلم أنه قتل امرأة من قبيلة الفانج . وبسبب التعليم المسيحي الذي تعلمه في حياته، ووفقاً للقانون الأمريكي ، توقف على الفور على جانب الطريق . خرج هو، وزوجته، والمرسلة الأخرى، وركضوا نحو الجثة الهامدة على الأرض؛ لعلهم يستطيعون أن يفعلوا شيئاً . وعندما رأوا أنها قد ماتت، حملوها، ووضعوها على جانب الطريق.

كانوا في حالة من الذهول؛ التي جعلتهم لا يفكرون فيما يتعلق بسلامتهم، وأمنهم . في ذلك الوقت بدأ الناس يحتشدون حولهم . بدأ البعض يلكمونهم بقبضات أياديهم، ويلطمونهم، ويركلونهم بأرجلهم من الخلف . أرادت زوجة ستيف أن تتنقذ زوجها المترنح من كثرة الضربات التي تنهال عليه . فأبعدت بيدها لكمة كانت مسددة نحو وجهه . اكتشفت لاحقاً أن يدها قد إنكسرت.

ركض عددٌ كبيرٌ من الناس إلى بيوتهم؛ ليأتوا بمناجل، ولينشروا الخبر . أدرك ستيف، وزوجته، والمرسلة أن الجمع قد صدم، وإستشاط غضبه، لكنهم لم يستوعبوا بعد أنه إن

لم تحدث معجزة، فلم يبق لهم في الحياة سوى دقائق معدودة.

بدلاً من أن يحتتموا في السيارة، حاولوا أن يقنعوا الجمع الغاضب . وبينما كان الوقت الثمين يمر سريعاً، وصل أحدهم للسيارة، ونزع المفاتيح .

وفي تلك اللحظة حدثت معجزة . كان قائد شرطة ليبرفيل يقود سيارته إلى مدينة مجاورة، حين وجد أكثر من ٣٠ شخصاً أمامه على الطريق، وفي المنتصف وجد ثلاثة أجانب يحاولون حماية أنفسهم.

بينما كان يوقف سيارته، ورأى الجثة الهامدة على الأرض، فهم ما قد حدث . كان يرتدي زيه الرسمي، و معه سيارة بوليسية . بدأ يأمر الناس بصوت عال أن يبتعدوا عن الأجانب الثلاثة . وعندما تردد بعض الغوغاء ، أشار للثلاثة أن يدخلوا السيارة، وأوصاهم أن يغلقوا النوافذ والأبواب و قد ظلوا بداخلها لمدة ساعة تقريباً، بينما كانت الشرطة تهديء الجمع، وتأخذ أقوال من شهود عيان.

وقد أتى بعض الناس إلى السيارة، وأخذوا يهددونهم، ويشتمونهم . لكن الشرطة قد حمتهم من أي ضرر . أخيراً جاء واحد من المسؤولين، وأخذهم إلى قسم الشرطة. حُجز ستيف في غرفة من ثكنات الشرطة . سُمح للمرسلة أن تُجري اتصالاً مع مدير الإرسالية، "كلارين ولكر" في ليبرفيل.

وصل كلارين بعد ساعة، وطلب من قائد الشرطة أن يبقَ مع ستيف، بينما تذهب المرسلة مالكة السيارة مع زوجة ستيف بسيارته . وافق قائد الشرطة .

لفت كلارين إنتباه القائد إلى أن أقارب الضحية يبعدون عنهم ببضعة كيلومترات ، إن لم تكن هناك حراسة على السيارة، وعلى غرفة ستيف ، يمكن أن يأتي أحد أقارب الضحية، ويوقعوا به ضرراً . أخيراً اقترح القائد أن يذهبوا كلهم إلى فندق فاخر شُيد حديثاً، في مدينة تبعد عنهم بحوالي عشرة كيلومترات . قبل ستيف، وكلارين هذا الإقتراح بامتنان.

إن لم تكن القضية قد تُركت في يد الشرطة المحلية، لكان ستيف قد بقي وحده بدون حماية طول الليل . والأمر لا يحتاج لخيال كبير لكي نتوقع ما يمكن أن يحدث.

عندما إنتشر خبر الحادثة ، سكب كل المرسلين، والمسيحيين الوطنيين قلوبهم بتضرعات كثيرة من أجل ستيف . مكث ستيف، وكلايين في الفندق ثلاثة أيام، إلى أن انتهت تحقيقات الشرطة، وأعدت الملف لترسله إلى ليبرفيل . وقد برأت التحقيقات ستيف من أي خطأ . أطلق سراحه بدون كفالة، إلى أن تعرض قضيته على القاضي، ويقرر إن كان سيغادر البلد . هذه استجابة هائلة للصلاة.

كان من الممكن أن تستغرق القضية شهرين في الجابون إلى أن تحين جلسة المحاكمة، لكن في أقل من أسبوعين حان وقت محاكمة ستيف .  
قرر القاضي : حيث أنه لا توجد جريمة، قد أرتكبت، إذاً يمكن لستيف أن يغادر البلاد .  
كان على الإرسالية أن تتحمل مسئولية التسوية المالية مع العائلة . لكن بما أن الإرسالية مغطاة بوثيقة تأمين؛ فتحولت المشكلة إلى شركة التأمين؛ لتقوم بالتسوية النهائية.  
ربما لم يعلم ستيف لماذا سمح الله بهذه الحادثة القاتلة على الطريق إلى ليبرفيل . كان رد فعل ستيف المبدئي، أنه أقسم ألا يفرط في الحياة الآمنة في أمريكا.  
لكنه لم ينكر أن الله قد خلّصه، عندما كان عاجزاً تماماً في مواجهة أروهاب خطر تعرض له في حياته على وجه الإطلاق.



## الفصل الخامس و العشرون السيدة فالنتين

إكتشفت من البرنامج المطبوع والمرسل لي منذ شهرين؛ أنني مدعو كي أتكلم في المؤتمر القادم لرعاة الكنائس . وكان عنوان الموضوع “ خادم الله والمرضى“. لم أُرِد أن أذهب، ولا ان أتكلم . فعندي الكثير من العمل، علاوة على وعورة الطريق، ووجود مشكلة فنية في السيارة. لو لم أكن قد ذهبت لكنت قد فقدت واحداً من أكثر الاختبارات الرائعة في عملي المرسلين.

عُقد المؤتمر في مدينة موابي ؛ التي هي أول منطقة ذهب إليها مرسلونا الأوائل؛ ليكرزوا لشعب البوبونو، منذ ٥٥ سنة تقريباً . وقد جاء ستون شخصاً تقريباً إلى المؤتمر من القسوس، والكارزين، وخدام في الكنائس، من جميع أقاليم الجابون، ومعهم حوالي عشرة من المرسلين.

وبالرغم من ترددي في البداية ، لكنني شعرت أن الرب سوف يصنع أمراً خاصاً في موابي . لقد أسس الفرنسيون مستعمرة عسكرية في موابي، في بداية القرن العشرين . وفي الأربعينيات من القرن العشرين أسس مرسلون رابطة Alliance missionaries ومقر الإرسالية على بعد ٢ كم من موابي، وأطلقوا عليها اسم إيليكا . ثم بدأ الناس يتوافدون، ويستقرون حول الإرسالية . وجعل المستعمرون الفرنسيون من موابي، مركزاً إقليمياً، و بنوا فيها مباني حكومية، ومدارس، ومستشفى.

بمرور السنين ، انتقل إليها التجار، وفتحوا محلات تجارية؛ فأصبحت موابي أكثر جاذبية من إيليكا( موقع الإرسالية) . فبدأ السكان يهجرون إيليكا، بكنيستها الكبيرة، ومدرستها، ومبانيها، ومساكنها الجميلة، منجذبين لبريق المدينة.

وبعد أن أدرك المرسلون أهمية موابي؛ بنوا كنيسة في قلب المدينة . هذه هي الكنيسة التي كنا نجتمع فيها. تكلمت إلى القسوس عن تأثير المرض على الإنسان كله، روحاً، ونفساً، وجسداً. تكلمت أيضاً عن تأثير الخطية، والذنوب الغير مغفور، و الذي يمكن أن ينتج عنه علل جسدية، ونفسية.

ثم بدأت أتكلم من منظور الطبيب عن الأمراض الروحية، بعد أن وصفت الأعراض، وكيف أن الأرواح الشريرة، قد تسبب بعضهم، و كلمتهم أنه يوجد قوة ممنوحة من الله للشفاء من هذه الأمراض في شخص الرب يسوع المسيح.



ثم شرحت بتفصيل أعمق؛ أن الأطباء إن لم يكونوا مؤمنين؛ لن تكون لهم هذه القوة، أو المعرفة . ناشدت القسوس؛ أن يأخذوا المبادرة في تحرير الناس من العلل، والعبودية الروحية . لقد كانوا ينصتون باهتمام بالغ لما أقوله . لم يكن جديداً بالنسبة لهم، لكن الجديد أن يأتي من خادم في المجال الطبي ، فتأكدت، وثبتت المبادئ الكتابية بصورة عملية.

كثيراً ما قاطعوا المناقشة بتوجيه أسئلة . وكانت أكثر المقاطعات إثارة؛ عندما جاءت سيدة غريبة، وسارت بترنح إلى وسط الكنيسة، ووقفت في المقدمة تنظر إلى القسوس المندهرشين، والمرسلين. كانت ملابسها رثة، وشعرها منكوش، وكان اللعاب يسيل من طرف فمها . ومن الواضح للجميع أن المرأة مضطربة نفسياً، أو روحياً، أو كليهما . اقترحت أن أنهي رسالتي لاحقاً، وأن قادة الكنيسة عليهم أن يتولوا أمر هذه السيدة الغريبة. ثم سحب راعي الكنيسة المحلي القس جان مبادينجا، كرسيّاً، و طلب من المرأة أن تجلس عليه. عندما جلست في صمت ، شرح لنا القس مبادينجا الموقف كما وصل لعلمه.

الاسم الفرنسي لهذه المرأة : “فالتين”، و قبل تجديدها كانت عشيقة سرية لقائد ديني من عقيدة أخرى. خلال العشرة سنوات من العلاقة مع هذا الرجل، أنجبت منه ستة أبناء. وكان يحتفظ بصورته أمام الناس؛ أنه لم يزل أعزب، ولم يعترف أبداً بعلاقته بهذه المرأة، ولا الأبناء الذين أنجبتهم منه.

في مناسبات عديدة، حاولت أن تتركه لكن حين كان يهددها باللعنة الأبدية كانت تبقى. أتت في يأس للقس المحلي للرابطة، لكن لم تزل فالتين تخشى من هذا الرجل جداً . والذي زاد الوضع سوءاً أنه لا يوجد لها مورد تعيش منه هي وأولادها.

وفي الليلة الأولى بالمؤتمر، عرض قادة الكنيسة، أول بكرتين من فيلم “يسوع” في قلب المدينة . كانت فالتين ضمن ثلاثة، أو أربعة آلاف من المشاهدين للفيلم في تلك الليلة. لسبب غير معروف ، عندما رأَت صورة المسيح في الفيلم وقعت في ذعر رهيب. وفي وقت متأخر من هذه الليلة، كانت قد أصبحت مثل قطعة جماد؛ لا تتكلم، ولا تتحرك، ولا ترى، أو تسمع . رقدت متصلة، وعيناها محدقة . أخذها أولادها، وعائلتها إلى المستشفى التي فيها طبيب فرنسي ( الذي كنت أقيم معه). إستقبلها، وهدأها بمسكن.

كان تشخيصه للحالة أنها نفسية . في تلك الليلة جاء أهلها إلى القس جان مبادينجا , وطلبوا منه أن يأتي إلى المستشفى؛ ليصلي من أجلها؛ حيث أن الطبيب لم يكن عنده شيء آخر ليصنعه لها.

عندما رآها القس شعر أن لديها مشكلة روحية . بدأ في الحال يصلي من أجلها؛ في اسم يسوع, وينتهر الأرواح التي تقيدها, ويأمر الأرواح أن يتركوها . وبعد ساعة من الصلاة, وجدها جالسة, ولم تعد بعد متشنجة . غدت قادرة أن ترى, لكن لم تزل غير قادرة أن تسمع, أو تتكلم . ترك تعليمات للعائلة كي يستمروا في الصلاة أثناء الليل . وقال لهم أيضاً: إن لجأتم لساحر بعله أنكم تريدون أن تعرفوا من المتسبب في مرضها, أو لعنتها, أو طلبتم من أحد أن يعقد اتفاقاً مع الأرواح, لن يأتي إليهم ليساعدهم.

وفي الصباح وجدوا فالتين جالسة على حافة سريرها, وتشير نحو الباب؛ طالبة أن تذهب لمكان ما, أخيراً قرروا أنها تشير في اتجاه الكنيسة التي في وسط المدينة أخذوها إلى هناك, فدخلت في ذات التوقيت الذي كنت أعط القسوس فيه أن يعالجوا الأمراض الروحية بأسلحة روحية . وقد جذب توجه فالتين الغريب من المستشفى إلى الكنيسة جمعاً عدده لا يقل عن ٥٠ فرداً من أفراد العائلة ومن المارة الفضوليين . ولحسن الحظ أنهم كانوا قانعين بأن ينتظروا خارج الكنيسة, ينظرون من النوافذ والباب المفتوح.

في ذلك الوقت أدرك القسوس أن عليهم أن يفعلوا شيئاً . كان لدى المرسلين فكرة محددة, لكنهم إنتظروا ليعطوا القسوس فرصة المبادرة ,مدركين أنهم هم الأشخاص القادرون على ذلك.

أخيراً وقف ماونداونجا مايكل , القس النشط من كنيسة بورجنتيل, وقال: “ أيها الإخوة, هذه المواجهة من الرب الذي جعل تلك المرأة تدخل في ذات توقيت الكلمة التي كان الدكتور يقدمها. لقد أراد الرب أن يعلن قوته بيننا الآن؛ فدعونا لا نخيب رجاءه فينا “ مشدداً إيمان الجميع, و قد طلب منا أن نكون دائرة حول المرأة العليله, ثم كلف عددًا من القسوس أن يصلوا, آمرين الأرواح أن تغادر المرأة؛ طالبين من الرب أن يحررها من عبودية الشيطان . بينما كانت الصلوات تُرفع, كنا نرفع أيادينا المتصلة معاً تجاه رأس فالتين . وبعد عشرة دقائق طلب القس مايكل من الكل؛ أن يصمت, وطلب من فالتين أن تتكلم . للمرة الأولى كانت قادرة أن تسمع, وتفهم لماذا لم تستطع أن تتكلم.

طلب القس مايكل منا مرة ثانية أن نصلي من أجل تحرير كامل من كل القيود في الحال. بعد خمسة دقائق أخرى، توقف القس مايكل مرة أخرى، وطلب منها أن تتكلم. إستجابت لكن خرجت الكلمات منها كأنها سكرى .

فشكلنا حلقة للصلاة مرة أخرى، ثم أمر القس مايكل فالنتين أن تنطق اسم يسوع . وبدموع تسيل على وجنتيها وبكل سهولة نطق اسم يسوع. طلب منها القس مايكل أن تكرر وراءه؛ أن المسيح الذي جاء في الهيئة كإنسان؛ هو رب الخليقة كلها . فكررت وراءه نفس العبارة؛ بكل وضوح، وبكل فرح .

في هذه اللحظة كنا جميعاً نُمسح الدموع من عيوننا. وقد جذب صوت الصلوات، والتسبيح المرتفع داخل الكنيسة، ما يقرب من مئة شخص يستندون على النوافذ ليروا ما يحدث.

روت فالنتين : أنه عندما كانت تشاهد فيلم يسوع، سقطت في زنانة مظلمة. حيث لم تكن قادرة أن تتكلم، أو تسمع، أو ترى، وأن الرب قادها أن تأتي للكنيسة. عندئذ طلب منها القس مايكل أن تصلي، وتشكر الرب يسوع على تحريرها من سلطان الشيطان. وتطلب منه الحماية . وعندما بدأت تصلي بدأ صوتها يقوى لدرجة أن الذين في داخل الكنيسة، والذين في الخارج أيضاً، كانوا يسمعونها، وهي تصلي، وتشكر، وتسبح الله. وعند حلول الليل؛ كان كل سكان موابي قد عرفوا أن الله قد حرر فالنتين بطريقة معجزة. في تلك الليلة ، عرضت آخر بكرة من فيلم يسوع . وقد قبل المسيح أكثر من مئة شخص، وصلوا لأول مرة.

وفي ذات يوم ، بعد عدة أشهر، عندما انتهيت من استشاراتي، شعرت بدافع أن أذهب، وأتكلم مع شاب؛ قد إستقبلته في المستشفى منذ عدة أيام ،و كان في مرحلة متأخرة من السل. وبعد أن كان قد قضى عدة أشهر وراء مشورة السحرة، وأنفق مبالغ طائلة من الأموال .جاء أخيراً إلى المستشفى . بدأنا على الفور بإعطائه علاج مضاد للسل، لكنه لم يكن قد تناول طعاماً لعدة أيام؛ فدخل في غيبوبة.

في ذلك اليوم إستفاق من الغيبوبة أخيراً . أردت أن أتكلم معه، إن استطعت ذلك. فجلست بجانب سريره، وشرحت له بدقة طريق الخلاص .

سأل إن كان ممكناً أن ينال غفراناً لخطايه السالفة، إن لم يكن قد فاته الأوان ليكون

واحدًا من أولاد الله.

وبعد أن طمأنته أنه لم يزل لديه الفرصة , وقرأت له بعض المواعيد من الكتاب المقدس؛  
التي تؤكد أن مَنْ يُؤمن ينال غفران الخطايا, و يضمن الحياة الأبدية, صلى, وقبل المسيح  
في قلبه .لاحظت أن شخصاً خارج الغرفة كان يسمع حديثنا, وعندما غادرت الغرفة, كان  
هذا الشخص قد مضى.

بينما كنت أتمشى بعيداً عن المبني , نادتنني امرأة جذابة, متوسطة العمر, وقالت لي  
:“ هل تتذكرني يا دكتور؟” أجبتها بحرج أنني لا أتذكر . فقالت لي أنا المرأة التي كان  
القسوس يصلون من أجلها في مواي .

لم أستطع أن أخفي دهشتي. قالت إنها موجودة بالمستشفى, حتى يتم علاجها من عدوى  
في الجهاز البولي, و أنها كانت تنصت عند الباب, عندما كنت أتحدث مع الشاب عن  
المسيح . وقالت أنها قد تكلمت معه أيضاً عن المسيح, وشرحت له كيف حررها من قوة  
الأرواح. كان وجهها يشع بالبهجة؛ وهي تتكلم . وأنا في طريقي إلى البيت تعجبت من  
طرق الله, ومن ضعف إيماني.

استخدمني الرب بطريقة بسيطة في مواي . ها أنا الآن أرى ثمر تلك الطاعة قد لمس قلب  
شاب يموت من السل في المستشفى . هو أيضاً سيحيا إلى الأبد.

## الفصل السادس و العشرون جرحى الحرب الروحية

ذات يوم، جاءت شابة تتلوى متألمة على سرير الكشف؛ وهي تضع يدها على أذنها اليسرى، كانت تبلغ الخامسة عشر من عمرها ، قد رافقتها أختها الكبرى إلى المستشفى.

تمكنت أخيراً أن أجعلها تجلس في هدوء، لوقت يكفي أن أفحص أذنها من الخارج، ثم أنظر إليها من الداخل بواسطة منظار فحص الاذن . كانت تبدو سليمة تماماً . كان عندها حمى، ودرجة حرارتها قد بلغت ٣٩,٥ درجة، لكن لم يكن عندها أي أعراض عضوية أخرى.

وفي حيرة من أمر دائها، قمت بمعالجتها بدواء قوي لكل من الألم، والملاريا. وفي اليوم التالي كانت الحمى قد تركتها لكن ألم الأذن صار أسوأ . فحصتها مرة ثانية، كان كل شيء طبيعياً .

أنكرت تماماً أنها قد تعرضت لأي صدمة على وجهها، أو رأسها، أو أذنها. كانت قادرة على فتح فمها، وتمضغ بدون أي صعوبة . ونظراً لأنها معذبة من الألم، وأن مسكنات الألم التي تؤخذ بالفم لم تؤثر، أعطيتها حقنة مورفين. وفي أثناء الليل تزايد الألم، لدرجة أنني ضاعفت الجرعة، ومزجتها بمنوم، ورغم ذلك استمر الألم. وفي جولة الصباح، قلت لها إن الله يمكن أن يشفيها، وإن كانت لا تمانع أن نصلي من أجلها، لكنها فضلت أن تذهب لقريتها، وتستشير السحرة.

فتراجعت قليلاً للخلف، وسألتها كيف ترى أن هذا الحل سينفع معها؟ كانت متألمة لدرجة لا تسمح لها بأن تقدم تفسيرات، لكن قالت أختها شيئاً لفت إنتباهي؛ أن الروح قد فارقت جسدها ( في مصاص الدماء). لم أفهم ، كان أمراً غريباً عليّ، فقررت أن أسأل القس فيليب عنه . لم يندهش القس فيليب . فشرح لي أنها من قبيلة الموتسيجو.

يعتقد شعب الموتسيجو؛ أن كل إنسان له روح ودودة تسكن معه، بالإضافة لروحه. إن تضايقت هذه الروح الودودة لأي سبب، يصبح مالکها مريضاً جداً، أو يصاب في حادث، أو ربما تهجره الروح . وعندما تحوم حول جسد المالك من الخارج ، يقول الموتسيجو هذا التعبير : « في مصاص الدماء » ، والشخص المهجور من الروح الودودة، يعاني كثيراً من الأعراض السيئة.

الروح “ في مصاص الدماء”، أمررهيب، و يقلق كل أهل القرية؛ لأن الروح الودودة عندما تفارق مضيفها ، تتحول المعاملة الودودة إلى عداوة لدودة؛ وبذلك يمكنها أن تسبب مرضاً، أو حادثاً، أو نزاعاً عائلياً، وقد تجلب الموت لمجتمعهم.

الحل الوحيد ( في مفهومهم) أن يلجأوا للساحر كي يسترضي الروح، ويدعوها أن تعود إلى الشخص الذي تركته.

وعندما علم الناس من قرية البنت أنني لم أستطع أن أعالجها، قرروا أن المشكلة هي مشكلة روحية . أمروها - بدون أن أعلم - أن تعود للقرية، وإلا ستواجه عواقب خطيرة.

نصحها القس؛ أن لا تفعل شيئاً بشأن الأرواح، وعرض مساعدتها لكي تتحرر من الروح التي تعذبها، لكنها رفضت. لاحظ أنني متشكك فاقترح عليّ أن أخذها إلى القرية، طالما هي مصرة على ذلك، وهناك أتكلم مع الساحر نفسه .

شعر أنني أحتاج أن أفهم أن قوة الأرواح ليست أوهام، أو خرافات . إنها حقيقية . رافقني القس، ونحن نأخذ الفتاة إلى قريتها بالسيارة مسافة ٣٠ كم. كانت طول الرحلة تصرخ، وتمسك برأسها بين يديها. لم تستطع أن تأكل شيئاً لمدة ثلاثة أيام من شدة الألم . فقدت من وزنها حوالي ثلاثة كجم .

شعر أهل قريتها براحة عندما رأوها، وعندما خرجت من السيارة، ركضوا بها إلى الساحر . طلب القس من أحد الواقفين بالقرب منا؛ أن يقول للساحر أنني أريد أن أراه . وبعد دقائق قليلة خرج الساحر من البيت . كان شكله عادياً مرتدياً ملابس بسيطة. لا يوجد شيء في مظهره الخارجي، يميزه عن أي رجل آخر في القرية.

حياتي بمصافحة حارة ثم - من دواعي حزني - شكرني أنني قد أتيت بالفتاة إليه.

سألته عن سبب معاناة الفتاة في اعتقاده . تفسيره كان مطابق لما قاله لما قاله القس قال أنه يعزم أن يدعو الروح الهائمة كي تعود إلى الفتاة في هذا المساء.

وافق أن يرسلها لي مرة أخرى في اليوم التالي؛ كي أرى بنفسني أنها أصبحت صحيحة. الذي أزعجني؛ أنه لم يكن لديه أدنى شك أن علاجه سوف يفلح . علم القس بما أفكر فيه؛ فقال لي برفق : « سوف تعرف يا دكتور، أن الأرواح الشريرة يمكن أن تعمل معجزات».

وفي ظهر اليوم التالي، رأيت الفتاة في المستشفى تتمشى منذ الصباح . كانت مبتسمة. ولم يكن عليها أي أعراض مَرَضِيَّة . قالت أنه أثناء عمل الطقوس، شعرت أن الروح عادت إلى جسدها . والألم الذي كان في أذنها توقف في الحال. شعرت بحزن عظيم، وأنا أراها تغادر . رفضت أن تؤمن بالمسيح ، ونالت شفاء لجسدها. لكن للأسف ، كان على حساب نفسها.

كانت ماري عمرها ١٥ سنة، وغير متزوجة، عندما صارت حبلى . هذا لم يكن غريباً ، حيث أن معظم البنات في الجابون يحملن في سن صغيرة قبل الزواج. العقم الذي يكون بسبب مشاكل تناسلية، هو مشكلة كبيرة في المجتمع الجابوني لأن الفتاة الصغيرة ينبغي أن تبرهن أنها قادرة على الإنجاب قبل أن يتزوجها رجل.

إذاً فالحمل يثبت أن هذه الفتاة يمكنها أن تنجب إن تزوجت . لكن في حالة ماري كان لديها مشكلة أكثر من ذلك.بعد مخاض طويل، وصعب في المستشفى الحكومي المجاور، وضعت ماري مولودها بصورة طبيعية . لكن بعد يومين صارت عمياء تماماً . أرسلتها عائلتها إلينا في اليوم التالي؛ راجين أنني يمكن أن أعالجها . لم ترد إليَّ حالة كهذه من قبل . ولم أجد مرجعاً يفيدني بشأن حالتها في مكتبتنا المحدودة. كانت الفحوص الطبية لعينيها تقول: أنها طبيعية ما عدا بالطبع أنها لم تستطع أن تبصر.

اعتقدت أن المشكلة قد تكون مؤقتة، فشجعت العائلة أن تصلي، وتثق في الله أن يشفيها . فالانتظار على أية حال لن يضر، علاوة على أنه لا يوجد شيء يمكن عمله، فرأيت أنه من الأفضل أن ننتظر، ونرى . ونظراً لأنهم يعتبرون الصلاة والانتظار يساويان لا شيء ، فإن اقتراحي لم يُسر أبويها . فقررا أن يأخذاها إلى الساحر . الدكتور المشعوذ دائماً له مكانته في الحياة الأفريقية؛ لقدرته أن يستعرض قوته؛ ليساعد الذين يلجأون إليه طالبين العون.

يؤمن الجابونيون أنه يوجد أرواح طيبة، وأرواح شريرة، حتى الأرواح الطيبة لا تكون صالحة تماماً؛ نظراً لأنها يمكن أن تضر عندما تغضب . يعتقد الساحر أنه يستطيع أن ينام الأرواح؛ لكي يخدم أعراض عملائه . تعلن الأرواح أسراراً له ، وتعاقب الذين يريد معاقبتهم، أو إيذائهم بمرض، أو حادثه، أو شفاء مرض مرتبط بالأرواح، أو قتل آخرين كي يحمي عملاءه.



يعلّمنا الكتاب المقدس؛ أن العالم لا يمتلئ فقط بالنباتات، والحيوانات، والبشر، لكن يمتلئ أيضاً بالكائنات الروحية . هذه الكائنات الروحية غير منظورة بالنسبة لنا، وهي في صراع مستمر مع الإنسان، محاولة أن تستعبده، وتهلكه.

نجحت هذه الأرواح بالكذب، والخداع، أن تقنع الذين يتواصلون معها بأنها يمكن أن تكون طيبة بالفعل ، ونافعة، ومستعدة لتقديم خدماتها بدون إجبار والأمر الذي لا تفصح عنه هذه الأرواح؛ أنها تريد أن تسكن الإنسان لتسود عليه، وأقصى نجاح تحققه أن تهلك مضيفها بالموت.

والكتاب المقدس يعلّمنا أيضاً أن هذه الأجناد الروحية ، عددها كبير، وفي كل مكان، ولديها سلطان، ورئيسها هو الشيطان . لا يغيب عن خطتها أن العدو اللدود لها؛ هو ذلك الخالق الذي صنع الكون وكل الخليقة. وعندما تمردت هذه الأرواح عليه طرحها من السماء. هذا الخالق الأزلي جاء إلى الأرض التي خلقها في هيئة إنسان . إن اسمه يسوع المسيح.

والكتاب المقدس يدعو الكائنات الروحية التي تخدمه ملائكة خادمة . أرواحاً صالحة، وقوية، تحارب الشيطان، وأجناده. ولا توجد قوة في الوجود ترعب الأرواح الشريرة في كل الكون؛ سوى قوة اسم الرب يسوع ، الاسم الذي يمثل شخصه .

لم أسمع أي خبر عن ماري لمدة شهر . ويوماً ما ظهرت، ورجع لها بصرها. أرادت عائلتها أن تقول لي أن الساحر هو الذي تمكن من معالجتها . ربما يكون عرضاً طبيياً مؤقتاً، و قد زال، لكن لا يمكن مجادلته في هذا الأمر . لم يكن هناك أدنى شك عند الناس في كونها معجزة شفاء روحي، والفضل يعود بالطبع للساحر العظيم الذي يصنع معجزات!.

آخر مرة رأيت فيها ماري، اندهشت بسبب حزنها . بدلاً من فرحة البصر، والمولود، كانت كئيبة جداً . يبدو أنها عندما طلبت معونة الأرواح، قد استعبدتها، ولا تريد أن تتركها بسهولة.

وفي قلب الأدغال، كان هناك شاب اسمه فيديل، قاوم الأرواح فدفع ثمناً غالياً. كان مؤمناً من حوالي ٥ سنوات، وشعر هو وزوجته أن الرب دعاهما للخدمة. وقد أُنْتُخِبَ ليقود مجموعة من المؤمنين في قريته في ليبوي . كان لفيدل ثلاثة أبناء . وكان هو وزوجته مرتبطين جداً ببعضهما . نشأ وتربيا في عائلتين؛ تُعتبران الجيل الأول من المؤمنين. ولذلك فإن الصراع لم يزل مستمراً كي يتحرروا تماماً من العادات، والتقاليد الوثنية.

كانت دراية فيديل بالكتاب المقدس محدودة جداً. لكن لأنه قد اختبر قوته في حياته، لا يمكنه أن يتكلم عنه الا بحماس شديد . لكن رغم ذلك فهو لا يعرف مطلقاً عن الحرب الروحية . لقد كان المعلم الروحي؛ الذي تعلم فيديل على يده، يعلمه أن الوقوع في خطايا مثل الزنى، والخيانة، والكرامية يعرضه للوقوع تحت قوة الأرواح، لكنه لا يعرف شيئاً عن مبادئ الحرب الروحية، سوى الصلاة.

خدم فيديل في كنيسة ليبوي، لمدة عامين، إلى أن لاحظت زوجته تغييراً في سلوكه. فبدأ يهلوس، ويكلم نفسه . وأخيراً أصبح عنيفاً؛ للدرجة التي جعلت زوجته، وأولاده يهربون إلى بيت من بيوت المؤمنين المجاور لهم. كان شعب الكنيسة مرتعباً، ومستغرباً... إن استطاعت الأرواح أن تجعل القس الشاب يخرج عن صوابه، فماذا يمكن أن يجرى لهم؟\*\*.

فصلوا للرب لكي يحرر فيديل . في معظم مجتمعات الجابون ، يوجد سحرة معينون، يعاملون الناس بطريقة منحرفة وشاذة . لا يُعتبرون مشعوذين عاديين، رغم أن معظمهم يستثير الأرواح كجزء من طريقة علاجه.

لا يوجد أشخاص يؤمنون نفسانيون في ليبوي؛ فأخذت العائلة فيديل، وحبسته في غرفة من الطوب الطيني، بدون نوافذ، و أرسلوا خبراً إلى مشعوذ في قرية مجاورة. وبعد محاولات عديدة ؛ فشل في علاجه، بل على العكس تحول للأسوأ.

---

\*\* هناك تشويش كبير في تعريف كلمة مؤمن او مسيحي فالبعض يعتقد ان كل من اعلن انه قبل المسيح صار مؤمناً مسيحياً لكن الكتاب المقدس و الواقع يقولان عكس هذا. فهناك سيمون الذي آمن واعتمد ثم ثبت ان قبوله للرب لم يكن حقيقياً، وهناك الذين تكلم عنهم الرب يسوع في مثل الزارع في صورة بذارسقطت على ارض محجرة وهم الذين يؤمنون إلى حين . هؤلاء الاشخاص يتشابهون من الخارج مع المسيحيين الحقيقيين و لكنهم ليسوا بمسيحيين وفي فترة إيمانهم هذه هم معرضون لتأثيرات الارواح الشريرة مثلهم مثل غير المسيحيين تماماً.

ولكي تمنعه العائلة من التسبب في أضرار أكثر، أو من الهروب إلى الغابة؛ قاموا بربط يديه حول جذع شجرة ضخمة. زار دكتور داج هول ، أحد مرسلينا الأطباء ، القرية، في أحد الأيام، ووجد فيديل مربوطاً هكذا بصورة بشعة؛ فرائحة جسمه، وبشاعة مظهره، وسلوكه الغريب؛ جعلت منه أكثر شبهاً بالحيوان عن الإنسان!.

طلب دكتور هول من العائلة أن يسمحوا له بأن يأخذ فيديل إلى المستشفى . لكنهم رفضوا . وعندما علم قس المنطقة أن فيديل فقد عقله لم يكن يعلم ماذا يفعل . أخيراً قرر أن يوصي عائلته أن يعتنوا به، و بدأت الاسئلة. هل كان فيديل متساهلاً مع خطية سرية؟. هل سقط في خطية جنسية؟. أم أنها مجرد حالة مرضية من عدم الاستقرار الذهني؟.

إستنتج القس أنها مجرد أعراض لمرض عقلي . كانت عواقب هذا الإستنتاج مأساوية . فأخذه الأخصائيون الذين يعالجون بالأعشاب، إلى القرية التي تعيش فيها زوجته مع أبويها . و بدأ فيديل يتعاون معهم، ويكون قادراً أن يعتني بإحتياجاته الجسدية . تردد عليه الأخصائي كل يوم، وأعطى له وصفات عشبية متنوعة؛ تجعله ينام لأوقات طويلة . بعد إحتجاجات زوجته، بدأت عائلتها تسير في إجراءات الطلاق. وهذا معناه أن ترد المهر الذي دفعه فيديل عند زواجه. وافقت عائلة فيديل ، وقد جاء الأمر في مصلحتهم، وعلى رغبتهم هم أيضاً؛ خصوصاً أنهم سوف ينتفعون مادياً من طلاقه في وقت يريدون فيه أن يدفعوا أتعاب الأخصائيين.

وبالرغم أنه من المفترض أن كلتا العائلتين مسيحيتان، ورغم أن كل الذين في الكنيسة يعلمون ما يجري، فإن إجراءات الطلاق سارت في طريقها للتنفيذ دون أن تتدخل الكنيسة لتحول دون وقوع هذه المأساة بينهم.

ومرور الوقت بدأ فيديل يستفيق من كابوسه . توسل كي يعود مرة أخرى لزوجته، وأولاده . لكن وقعت طلباته على أذان صماء . الأمر لم يكن مستحيلاً، خصوصاً أنه لم يرتبط أي منهم بشريك آخر حتى ذلك الوقت . من الممكن أن يجد فيدل وزوجته أحدهما الآخر . لكن الأمر لا يبدو بهذه البساطة، لأنه حين يصل الأمر بواحد من الخدام أن يمثل أمام قضية روحية؛ فالكنيسة تبقى صامتة، وعاجزة، وتترك الأمر لما يقره العرف، والتقليد .

هل استمر فيديل وزوجته يخدمان المسيح بالغيرة التي كانت تتميزهما من قبل في أيامهما الأولى في ليبوي؟. لست أعلم . لكن شكراً للرب الذي لا توجد حياة لا يستطيع أن يخرج من رمادها شيئاً جميلاً .

# الفصل السابع و العشرون نحو الليل

في أحد الأيام جاء كريستيان ( هكذا كان اسمه، وليست ديانتته) إلى المستشفى؛ يشكو من ألم شديد في كل جزء . كان شاباً في العشرين من عمره ، مفتول العضلات، ومظهره يبدو صحيحاً، وقوياً . لكنه كان يئن، ويشكو أثناء الكشف عليه؛ لدرجة أنني سمحت له بالإقامة بالمستشفى . أثناء الأسبوع التالي، لم تبد عليه أية علامات حمى، وكانت تبدو عليه علامات الصحة .

بعد أسبوعين من العلاج المتنوع قررنا؛ أن يخرج من المستشفى، فجاء إلينا بقائمة من الأعراض . فبدأنا نشك أنه يتهرب من العلاج . وفي يوم احتجنا سريراً لمريض في حالة حرجة؛ فأخرجنا كريستيان من المستشفى، وقلنا له يمكنك أن تأتي للعيادة الخارجية حين تحتاج للعلاج . كان يصرخ تقريباً؛ متوسلاً أن نسمح له بالإقامة في أي مكان على أرضية المستشفى . لأول مرة أتأكد أنه يخشى أن يخرج . تساءلت في نفسي، لماذا يا ترى؟. فقررنا أخيراً أن يقيم في غرفة تخزين فارغة.

وأتساءل الأسابيع التالية، وجدنا كريستيان أحياناً في خدمات الكنيسة، وحول المستشفى.

تكلم معه قس المستشفى لساعات طويلة . أخبره كريستيان بأنه قد جاء إلى المستشفى؛ لكي يهرب من الأرواح التي تطارده . قال إن الأرواح تكلمت إليه في الليل، وطلبت منه أن يفعل أشياء معينة . حاول أن يتجاهلهم لكنه وجد إصرارهم يتزايد، و أخيراً بدأوا يهددونه . لكن قال له واحد : إن هذه المستشفى هي مكان يوجد فيه الله؛ فقرر أن يأتي. حين وضع أقدامه على أعتاب المستشفى ، كفت الأرواح عن ملاحقته . عندما روى القس لي هذه التفاصيل؛ إستنتجت أن كريستيان يعاني من بوادر إنفصام في الشخصية. لم أزل متحيراً.

وبعد مرور أسبوع ، صلى كريستيان، وقبل المسيح في حياته\*\* . كان كريستيان ذكياً جداً ، وأخبرنا أنه أكمل عامين من الدراسة الجامعية في ليبفيل.وأتساءل دراسته، إستشار سحرة كثيرين كي يحسن قدراته على التعلم . هذا الأمر ليس غريباً في الجابون يبيع له الساحر أحجبة؛ لتعطيه ذكاءً خاصاً، نوع من السحر الذي يجلب الحظ . وبعد ذلك بوقت قصير بدأ يسمع الأصوات التي تأتيه في الليل، لكن لم يربط بين الأصوات الليلية، والأحجبة السحرية . في الحقيقة ، عاد إلى الساحر؛ لكي يحصل على حماية، وراحة من هذه الأصوات، والتي استنتج أنها أرواح .

أعطاه الساحر أحجبة جديدة، لكن المشكلة لم تنته، بل كانت تزداد أكثر؛ لدرجة أنه لم يستطع أن ينام في الليل. فقرر أخيراً أن يترك الدراسة . ولم يذق طعم الراحة إلى أن أتى إلينا بالمستشفى .

إحتاجت المستشفى لعمل حفرة لحرق القمامة؛ فوظفنا كريستيان في هذه المهمة , أعطيناه أجره ، عمل جيداً؛ فدبرنا له عملاً آخر . وعندما لم يكن لديناً عملاً جديداً نوظفه فيه؛ كلفته بقص الحشائش حول بيوت الإرسالية.

كان كريستيان من قبيلة البابونو . أول من كرز بالإنجيل لشعب البابونو؛ هو القس ريموند كوك، في الأربعينيات من العمر، جاء إلى بونجولو في مهمة خاصة؛ فطلب منه القس فيليب أن يتلمذ كريستيان كل يوم بعد العمل . كان كريستيان يذهب إلى مكتب كوك لمدة ساعة؛ لدرس الكتاب، والمناقشة، والصلاة . كانت قدرته على تعلم، وفهم كلمة الله مدهشة . كان نموه الروحي ملحوظاً، ومشجعاً . وبعد ثلاثة أشهر من إيمانه بالمسيح، كان مستعداً للمعمودية، كشهادة علنية عن إيمانه بالمسيح.

سألنا أنا، وكوك ، كريستيان عدة مرات عن عائلته، لكنه كان يتجنب الحديث عنهم . لكن مع إلحاحنا أخبرنا أن أبويه ماتا، وأقرب واحد له في العائلة من الأحياء هو عمه. كان يرتعب من عمه هذا، وكان معتقداً أن عمه هو الذي أرسل الأرواح؛ لتعذبه أثناء دراسته في الجامعة.

قبل المعمودية، أكد كريستيان للقس أنه قد تخلص من كل الأحجبة . ومع ذلك لم يكن يشعر أن إيمانه الجديد يمكن أن يحميه من عمه، أو من الأرواح. ومع أننا شعرنا أنه يجب أن يعلن إيمانه الجديد أمام عائلته قبل أن يعتمد، لكنه أقنعنا أن عليه أن يجعل التواصل مع عمه، في وقت لاحق .

إعتمد في نهر اللويتسي في يوم الكريسماس. كان كريستيان واحداً من أكثر المؤمنين غيرة . ومنذ أن آمن بالرب؛ و كل ما يريده هو أن يتكلم، ويرنم عن المسيح، وعن تحريره من الأرواح . يمكن أن تسمع صوته الرخيم القوي الذي يعلو فوق ماينة قص النجيل . بإستثناء خوفه من عمه، كان شخصاً متزناً، وسوياً؛ ذهنياً، و نفسياً.

وعندما يسأله أحد، لماذا أنت سعيد ، يجيب، وهو يبتسم : « لأن يسوع قد حررني». لم أكن أشك أنه مؤمنٌ حقيقي، إيمانه واضح، وجلي.

وبعد مرور سنة أعلن كريستيان أنه يريد أن يكون راعياً . هذا الأمر قد أثار مناقشة بين القسوس، والمرسلين . وقال البعض : إنه قرار متعجل؛ لأنه لم يزل مؤمناً حديثاً، والبعض الآخر قلق من اظنعهاله التام عن عائلته . لكن لم يشك أحد في محبته للرب، وإخلاصه في تبعية المسيح . كان مُصرّاً في مناقشته، أن انفصاله عن عائلته ، بسبب قراره أن يتبع المسيح .

توطدت العلاقة بين القس ريموند كوك، وكريستيان . كانت آراء وتشجيعات كوك لها تأثيرها الأقوى على كريستيان .

قرر كوك مع قادة الكنيسة؛ أنه في حال رغب كريستيان في أن يلتحق بمدرسة لاهوتية فعليه أولاً أن يتواصل مع عائلته، ويخبرهم بقراره . استغرق الأمر شهراً؛ حتى يشعر كريستيان أنه مستعدّ أن يذهب إلى اسرته، في تلك الفترة كنا نصلي معه، وننصحه . وبالرغم من مخاوفه؛ من أن عمه قد يضغط عليه كي يترك إيمانه بالمسيح، لكنه رفض أن يذهب معه أحد.

ذهب لمدة أسبوعين، وخلال هذه المدة كنا نصلي من أجله . وعند عودته رحبنا به، وسألناه عما جرى، كانت إجابته غامضة بطريقة مزعجة . يبدو أن عائلته قبلت قرار تبعيته للمسيح . لم يكن عمه يمثل مشكلة . شعرت أن كريستيان كان يُخفي شيئاً علينا لسبب ما . لكنه أكد لي أنه أخبرنا بكل شيء . مع أي كنت أشك أنه بالفعل قام بزيارة عائلته . يوجد شيء مريب في الأمر . وبعد عدة أسابيع تم قبوله في مدرسة اللاهوت كطالب في العام الأول.

كتب لي بعد شهرين؛ أنه بالرغم من تقدمه في الدراسة، لكنه يشعر بألم في بطنه . لكنه ذكر شيئاً في الرسالة قد أقلقني؛ أنه يريدني أن أصلي من أجله كي يقاوم . كان سؤالاً، أي شيء يقاوم؟؟.

في تلك الفترة لاحظ الطلبة زملاؤه أن كريستيان يأكل بطريقة غريبة . في البداية كف عن أكل اللحوم . بالنسبة لطالب في مدرسة الكتاب المقدس. كان الأمر غريباً حيث أن اللحم مكلف جداً. ثم كف عن أكل أي شيء من مصنعات نخيل الجوز. وبما أن معظم الأطعمة تُطهى بزيت النخيل؛ بدأ الأمر يمثل مشكلة حقيقية . بدأ يفقد وزناً، ويصبح غريب



الأطوار . بدأ يصوم عن وجبة في اليوم، ثم يوم في الأسبوع، ثم عدة أيام في الأسبوع . في أحد الليالي ظل يرنم لمدة ساعات . لم يستطع باقي الطلبة أن يميزوا ما يرنم به.

بدأ كريستيان يمشي لوقت طويل في الغابات . في البداية كان يمشي لمدة ساعة، وأثنتين، لكن ذات مرة اختفى نهائياً كاملاً، وأخيراً قضى ليلة كاملة بالخارج.  
يخشى الجابونيون عموماً أن يكونوا وحدهم بالليل؛ لاعتقادهم أن الليل يخص الأرواح.  
حتى في الليالي الحارة ، يُغلقون النوافذ، والأبواب كلها.

إن سألتهم لماذا يفعلون ذلك؟. سيقولون لك أنه خوفاً من اللصوص، لكن رغماً عن وجود قضبان حديدية على النوافذ، لكنهم لن يشعروا براحة، إلا إذا أغلقوها أيضاً. لذلك عندما مكث كريستيان طول الليل في الغابة ، ارتعبوا جداً . لا يوجد تفسير سوى أنه يريد أن يكون هناك . بالنسبة لهم هذا معناه أنه إما مجنون، أو يرافق الأرواح.

عندما عاد للمدرسة في الصباح التالي، ذهب القس ماوكينجوي عميد المدرسة؛ ليتحدث إليه . قال كريستيان أنه كان يتحدث مع ملاك . إنه الملاك الذي قال له لا تأكل منتجات النخيل، ولا اللحوم . إنه الملاك الذي علّمه الترانيم التي كان يرنمها في الليل . إنه الملاك الذي طلب منه أن يخرج للغابة، ويتحدث معه طول الليل.

طلب القس ماوكينجوي من كريستيان أن يصف له الملاك الذي رآه . فقال كريستيان إنه كائنٌ له بهاء عظيم جداً، مضيءٌ جداً، ومتوهج نوره مثل جمرة ساخنة.  
كان متأكداً أن هذا الملاك مرسلٌ من الله ليساعده . لم يستطع القس ماوكينجي أن يقنعه بغير ذلك . إنحنى إليه القس، وسأله إن كان يحتفظ بأحد الأحبة من أيام حياته في الوثنية . لم يعترف بوجود أي أحبة، ولم يُرد أن يقطع علاقته مع الملاك.

قرر مديرُ المدرسة؛ أن يرسلوا كريستيان مرة أخرى إلى بونجولو . ربما أولئك الذين قادوه لمعرفة المسيح، يمكن أن يسمع لمشورتهم . بدا أن كريستيان قد أعجبته الفكرة. وعندما وصل القس ماوكينجي، كنت أقوم بفحص بعض المرضى في مكثبي.  
بعد التحيات التقليدية، والمقدمات الودية ، دخلنا في موضوع كريستيان.

روى لي القس ماوكينجي كل ما حدث في المدرسة . صلينا معاً، وقررنا في النهاية؛ أن

القسوس المحليين، يجب أن يتحدثوا مع كريستيان أولاً. كان كوك قد عاد للولايات المتحدة، وأنا وعدت أن أراه في ذلك المساء. ولم يسر اللقاء الذي عقد بين كريستيان والقسوس بشكل جيد. كان كريستيان غامضاً، ومشيت الذهن. كان مثل كتاب مغلق. لم يتمكن أحد أن يفتحه. قال له القسوس: إني أريد أن أراه في الساعة السابعة مساءً وقد وافق أن يأتي، إن كنت سأكون بمفردي.

حوالي الساعة الثامنة، وجدته واقفاً على الباب الأمامي. قمت بتحيته كصديق قديم، ثم جلسنا. سألته عن حاله، وكيف تسير الأمور. ولمدة خمسة دقائق، لم يقل شيئاً. ونحن نجلس في صمت؛ كنت أصلي أن يهيني الرب حكمة، وتمييز، عما إن كان مريضاً نفسياً، أو هو مضطرب روحياً. تكلم أخيراً: “تعلمت أموراً رائعة منذ أن تركت المكان هنا” فسألته: “في الكتاب المقدس؟”، فأجاب: “من الكتاب المقدس، وأماكن أخرى أيضاً”. فسألته: “ما هي الأماكن الأخرى؟”.

فقال: “من ملاك الله”

قلت: “ما هو شكل الملاك؟”

قال: “جميل، وحكيم جداً؛ كان يشع بالنور الأبيض”.

قلت: “ماذا قال لك؟”،

قال: “إن أطعت الله؛ سيصنع بي معجزات”.

سألته: “كيف تأكدت أنه ملاك من عند الله؟”.

قال بثقة: “صدقني، أنا أستطيع أن أخبرك بالفرق بين الملاك، وبين الروح الشريرة” قلت: “كيف؟”،

فقال: “هما يقوله، لقد قال لي أن الكتاب المقدس حق، وأنني على الطريق الصحيح”.

لقد أرسله الله؛ ليقودني في هذا الطريق”.

فسألته: “ماذا يقول عن يسوع، فقال: قال أنه مرسل من عند يسوع”.

سألته: “هل أنت متأكد أنك قد تخلصت من كل الأحجة القديمة؟ وفجأة تغير أسلوبه الودود، وقال بنبرة غضب: من قال لك أنني احتفظت بأحجة؟”.

بدأت أشعر بوجود شر كبير. سألت مرة أخرى: “هل مازال لديك أحجة قديمة؟”،

إستطردت في الحديث محاولاً أن أتكلم بهدوء : “ لو كنت قد احتفظت بواحدة فقط ؛ فإنك تعطي الشيطان الفرصة أن يذلّك . مضت لحظات ثقيلة ، ثم قال : “ طلب مني الملاك أن أحتفظ بها؛ ففعلت ذلك “ . فقلت : “ يا كريستيان ، الكتاب المقدس يقول إن المؤمنين لا يجب أن تكون لهم علاقة بأي شيء من عند الشيطان . فلماذا إذًا ملاك الله يناقض أقوال الله؟ “

فقال: وهو يميل للأمام بصوت مرتفع : “ لقد قلت لك إنه ملاك الله، هل تريد أن تراه بنفسك “ . شعرت بأن شيئاً أثيماً قد عكّر جو المناقشة، وانتابني شعور بالضيق، والخوف . قلت له : “ لا أحتاج أن أراه كي أعرف أنه ليس من عند الله، وأنه يضلّك يا كريستيان . ملاك الله لن يسمح لك أن تحتفظ بحجاب، أو وثن، إنه يريد أن يضلّك إن كنت تريد يا كريستيان أن تتبع يسوع فعليك أن تقطع العلاقة مع هذا الملاك الشرير “ .

وعندما قلت هذه الكلمات ، قام عليّ؛ وهو يقبض كفيه، ويفردهما، ويتنفس بصعوبة . جلست بدون أي حركة، وصليت للرب أن يحميني، وبعد لحظات هدأ، واستند على الحائط . لم يكن ينظر إليّ، ولم يقل شيئاً . قلت بهدوء : “ يا كريستيان لقد خُدعت بشبه ملاك من نور . إنه أسلوب شيطاني قديم . كما فعل في جنة عدن؛ عندما بدأ العالم . يبدو للإنسان أنه ملاك من عند الله ، لكنه شرير، وعندما تتجح حيلته معك؛ فسوف يدمرك . أرجوك أعطني فرصة أن أساعدك كي تتحرر منه “ .

استدار بدون كلمة واحدة، ومضى إلى الليل . لم تصدر قدماه الحافيتان صوتاً فوق العشب، وكأن سواد الليل قد ابتلعه . صليت من أجله في صمت، ثم قمت، ودخلت للبيت . وفي الصباح التالي أخبرت القس ماوكينجوي، وقسوس بونجولو بما حدث .

وأثناء النهار رآه أحدهم يدخل غرفته، ثم خرج بعد دقائق، ومعه منجل وحقيبة صغيرة على كتفه . وبدون أن يقول كلمة لأحد انطلق نحو الغابة . لم نره، أو نسمع عنه خبراً من ذلك الحين . وأخيراً وجدنا عمه الذي أخبرنا أنه لم يره منذ أن ذهب للجامعة في ليبرفيل منذ سنتين . ظنت العائلة أن كريستيان قد مات . كانت شكوكي في محلها أن كريستيان لم يَزِر عمه . ومكان كريستيان ظل لغزاً . ربما ذهب إلى جمهورية الكونغو المجاورة، وربما ذاب بين الجمع الغفير في ليبرفيل، وربما قد مات .

لكن سر تصرفاته الغريبة لم يكن لغزاً . فعندما ذهب للساحر ليستشيريه, واشترى منه  
الأحبة والأوثان كان راضحاً للأرواح الشريرة, وعندما كان يحتمي مؤقتاً في ظل المسيح ,  
تحرر من مضايقتهم , إلى أن قرر أن يحتفظ ببعض الأحبة كمصدر أمان له, بفعل ذلك  
قد ارتد إلى الليل, ليل عبودية , وسلطان إبليس.  
وكان الأسر النهائي عندما انغوى بحيلة الشيطان , الذي ظهر له في شبه ملاك نور, ووعدته  
بالنجاح, والقوة . هذه خدعة الشيطان الماكر. لا يوجد شيء, يمكن أن يخلصه الآن سوى  
الصلاة, وقوة الله التي تحرره من فخ إبليس.

# الفصل الثامن و العشرون

## ماكايا

كان الرجل النحيل الجالس أمامي عابساً، والمروحة المتربة التي تطن في ركن الغرفة لم تقلل من رطوبة الهواء في مكتبي . كنت منتظراً مكيا أن يقرر؛ إما أن يتبع نصيحتي بأن يبقَ في المستشفى ؛ حتى تنتظم ضربات قلبه، أو أن يمضي .

قال أخيراً : “ يا دكتور لم أكن جاهزاً أن أجيء من تشيئنا إلى هنا كي أمكث هنا . والسيارة التي تنتظرني أنا وزوجتي بعد أن ننتهي من الفحص عند الضفة الأخرى من النهر . لم نُحضر معنا الأشياء التي نحتاج إليها أثناء إقامتنا، علاوة على أننا لم نأت بهال كافٍ لدفع رسوم الإقامة بالمستشفى، أو لكي نشترى طعاماً نأكله في فترة وجودنا هنا” .

فقلت بحزم : “ يا مكيا إن قلبك في حالة خطيرة . ربما يتوقف فجأة، وأنت في طريقك للبيت . أنا أتخيل حالة قلبك أثناء الرحلة الوعرة في طريق مترب لساعات طويلة . لابد أن تبقى هنا إلى أن تنتظم ضربات قلبك” .

تهدد بصعوبة، وقال : “ حسناً ، سأبقى . لكنني أحتاج مالاً لأكل . هل تقرضني ٧٥ دولاراً؟” . تكبل ذهني بهذا السؤال؟ ٧٥ دولاراً؟ ، هل أقرض واحداً من المرضى خمسة وسبعين دولاراً؟ . إن صارت عادة فسرعان ما سأفتقر .

بالإضافة إلى السؤال : هل معي ٧٥ دولاراً فائضاً عني ، أم لا ؟. أفكار كانت تتنازعني ﴿ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَضَ مِنْكَ فَلَا تَرُدَّهُ ﴾ أتذكر أنها كلمات الرب يسوع في الموعظة على الجبل . علمت أنني قد تلقيت أمراً مباشراً . إبتسمت بعد برهة، ومع أنني كنت في حيرة ، قلت لمكيا أنني سوف أعطيه النقود في الصباح . ظهرت على وجهه علامات الإرتياح والإمتنان .

أعطيت تعليماتي للممرض أن يجد سريراً لمكيا في أحد الغرف الخاصة عندنا . عندما دخلت الغرفة في الصباح التالي صدمني ما رأيت . وجدت مكيا في ذات الغرفة التي تقيم فيها مريضة من الطبقة العليا “ بريجيت”؛ التي لم تزال تتعافى من عملية جراحية ، التي وعدتها أن تكون لها هي وابنتها فقط دون أن يشاركهما مريض آخر . والآن نضع معها رجلاً مريضاً في نفس الغرفة! .

لم أصدق أنه لهذا الحد لا يوجد عند الممرضين، أو الممرضات إحساس أو فهم ، كما أنهم لم يبلغوني بالمشكلة . تركت البنت سريرها ، ونامت بجوار أمها . وكان مكيا، وزوجته على

السريـر الآخر . إعتذرت لكلا الطرفين , ووعدت بأنني سوف أجد حلاً سريعاً لهذا الموقف المـحرج . بدأت أبحث في الحال عن غرفة أخرى لمكـايا . بحثت في كل المستشفى ؛ لكن بدون جدوى . عندما عتذرت لبريجيت بتسمت , وقالت : «رهما يكون الرب قد سمح بذلك . كان تعليقها قد أجيب عليه بنظرة اندهاش مني , ومن مكـايا» .

كان مكـايا قد تقاعد عن العمل من الخدمة المدنية في تشيـبانجا من سنوات عديدة . لم أكن أعلم ذلك وقتها , لكن لسنوات طويلة حاول المرسلون أن يكلموه عن الرب . كانت وظيفته هي تسليم رسائل من موظفي الحكومة المختلفين في المدينة . كان دائماً في عجلة , يجري هنا , وهناك . لا يبالي بأن يقف , ويتحدث لأي شخص يتكلم معه عن الرب .

كان كاثوليكيّاً صرفاً , ولا يوجد عنده أي شغف , أو اهتمام بالطائفة البروتستانتية . ومن الوقت القصير الذي اقتربت فيه من مكـايا أكاد أجزم بأنه لا يعرف الله . وبينما كانت بريجيت أختاً لمؤمنة تقية . لقد جاءت من مسافة ٨٠٠ كم شرق الجابون ؛ كي تُجرى لها عملية جراحية لدينا بالمستشفى . وقد أثار لطفها , وروحها الوديعة , إعجاب الفريق الطبي بالمستشفى . بعد عدة أيام قمت بجولاتي بالمستشفى . وعندما دخلت غرفة مكـايا , وبريجيت , كان من الواضح جداً أن الصداقة قد جمعت العائلتين .

سألت إن كان أحدهم يود أن ينتقل لغرفة أخرى ؛ وحيث أن هناك مكاناً آخر قد صار متاحاً في المستشفى . لدهشتي أنهما رفضا بابتسامة رقيقة . شرحت لي بريجيت ؛ كيف أن مكـايا , وزوجته قد صليا مع قسيس المستشفى الليلة الماضية , وقبلا الرب يسوع المسيح رباً ومخلصاً لهما . وبما أنهما قد وجدا المخلص ؛ فإنها فرصة لكي تشرح لهما كيف يتبعانه .

وبعد أسابيع كثيرة , خرج كل من بريجيت و مكـايا من المستشفى . أخذ مكـايا موعداً يعود فيه للمستشفى؛ لإعادة فحصه بعد شهرين . وقبل أن يحين ذلك الوقت , غادرت أنا , وعائـلتي في إجازة إلى الساحل . مررنا في طريق الرحلة بتشـيبانجا .

توقفنا عند الكنيسة ؛ لنسلم القس المحلي بعض الكتب . كانت تبدو عليه السعادة أنه رآنا فسألته : كيف تسير الأمور؟ فقال بوجه مشرق : “ حسناً ، الكنيسة تمتليء كل أحد . لا يوجد مكان كافٍ لكل الناس الذين يأتون للرب، وينضمون للكنيسة“، ثم أضاف : “ هذه أخبار رائعة ، هل تعرف أنه يوجد رجل يحضر الكنيسة الآن قد سبق وعرف الرب عندكم في المستشفى . يواظب هو وزوجته على كل الإجتماعات . وأتيا بالكثيرين أيضاً إلى الكنيسة“.

سألته: “هل اسمه مكايا؟“ فتعجب، وقال نعم . ضم كفوفه، وقال إنه هو بالفعل، كان سبب بركة لي، وللكنيسة!.

حان ميعاد الاستشارة الطبية لمكايا . وبعد الكشف وجدت أن قلبه ينبض برفق . وشكرني كثيراً، ومجد الرب على شفائه، ثم أخرج ٧٥ دولاراً، وقدمها لي . ارتبكت إلى حد ما، وقلت له أن يدفع فاتورته عند الخزينة .

ابتسم وقال“ يا دكتور أنا الآن أرد المال الذي اقترضته منك ألا تتذكر؟. فأخرجت بسبب ضعف ذاكرتي، وضحكت، وأخذتها منه وعندما وقف مستعداً ليغادر، قال لي بنبرة جادة :“ هل تعلم يا دكتور، أنت أحد الأسباب التي جعلتني أعرف يسوع“.

فعندما أقرضتني هذا المبلغ . علمت أن الله في هذا المكان، وأنتك تحب الله . أنا غريب بالنسبة لك، ولم تكن تعرفني جيداً ، ولم يكن لديك أية طريقة تحصل بها على المال مني في حالة عدم رده لك، وعندما بدأت بريجيت تكلمني عن الرب يسوع، كنت وقتها قد اتخذت قراراً أن أتبعه. »

ودعته ؛ والدموع في عيني . لم يخطر ببالي أبداً أن إقراض شخص غريب ٧٥ دولاراً ستهيئ قلبه لقبول المسيح . رُبِح مكايا للمسيح بسبب تضحية، ليس بسبب تضحيتي فقط ، ولا بتضحية بريجيت فقط ، بل بتضحية الكثيرين من شعب الله الذين يدعمونني أنا وعائتي ؛ كي أعيش وأعمل في الجابون، ولشعب الله الذي يصلي أن الرب يستخدم هذا العمل في ربح نفوس للمسيح، وللقديسين الذين يجمعون الأدوية، والمعدات اللازمة، ويرسلونها إلى المستشفى . إن ربح نفوس مثل مكايا للمسيح ؛ هو نتيجة تضحية الكثيرين من شعب الله حول العالم .



# الفصل التاسع و العشرون

## جسر إلى بونجولو

قد أبطأت سيارة النقل القديمة، المحملة بركابها، الذين علاهم الغبار ، عند قمة التلّ  
ثم منحدره إلى أن انتهى الطريق بشاطئه النهر . كانت الأجساد، والأرجل تتأرجح فوق  
سطحها مع الحقائق، والسلال، والقفف التي تخص أولئك الركاب . كانت هناك سيدة  
ظلت واقفة، إلى أن قام زوجها بفتح حاجز السيارة النقل، وأمسك بيديها كي يساعدها  
أن تنزل. لاحظ من على الشاطئ أن وجهها كان ممتعضاً، ونحيفاً . لكن بطنها كانت  
متضخمة مع أنها لم تكن حبلً.

كان زوجها يسندها، وهو يجلسها إلى جانب الطريق على الأرض، دون أن تتحرك من  
مكانها، وقد بدا عليها الإجهاد الشديد .رفع زوجها الشاب بصره، وتطلع نحو الطريق  
الذي بالكاد يظهر على الضفة المقابلة، وهو يسأل بتردد : “ ما هي المسافة من هنا إلى  
المستشفى؟ ” ، أكد له أحد المارة أن المسافة ليست بعيدة ، بعد عبوره للضفة المقابلة  
للنهر. مع أنه يلزم أن يترك زوجته على الشاطئ الآخر ثم يسير مسافة كيلومتراً، حتى  
يصل للمستشفى، ويطلب المساعدة.

وبينما كان المنتظرون على الشاطئ الآخر يشاهدون الزورق الخشبي الذي طوله ١٠  
أمتار، يعبر النهر متجهاً إليهم . ركبوا فيه . وبصعوبة بالغة ركبت المرأة المريضة أيضاً .  
وبمساعدة الكثير من الركاب المتعاطفين، وضع الرجل أمتعته داخل القارب . وعندما أخذ  
كل واحد مكانه في الزورق؛ بدأ صاحبه يجدف عبر النهر . وعندما وصل الزورق خرج  
الركاب ، وساعدوا زوج المرأة الصغيرة، وهو يحملها إلى الشاطئ.

كنت قد جهزت أدوية، ومعدات لرحلة في الصباح التالي إلى العيادات . كنت في غرفة  
العمليات من ٨ صباحاً إلى ٢ بعد الظهر، وبعد نصف ساعة، تناولت فيها الغداء، وجدت  
نفسي أحصر عدد الأدوية الموجودة في الصيدلية . بينما كنت أتمتم في سري وجدت شاباً  
يتقدم نحو الباب بتردد كي ألاحظ أنه ينتظرنى . محاولاً أن أخفي ضيقي حييته دون أن  
ألتفت إليه ؛ فيفهم كم أنا مشغول.

قال لي بفرنسية ركيكة : « زوجتي عند النهر، وهي مريضة جداً . لقد جئنا كل الطريق  
من إتيك اليوم » . كانت إتيك مدينة معروفة بمناجم للذهب . كان الطريق وسط الجبال  
الممتلئة بالغابات الكثيفة الممطرة ، ممهداً ، و مجهزاً للحماية من اللصوص . لكن بعد

أن نفذ الذهب صار الطريق مهماً، وسيارات قليلة التي تسلك هذا الطريق .  
في العام الماضي مات اثنان من المرضى من إتيك؛ لأنهما لم يستطيعا أن يأتيا من هناك إلينا.  
وهذا الرجل، وزوجته محظوظان أنهما انتظرا لمدة خمسة أيام فقط . تنهدت، وأغلقت  
الصيدلية، وأخذت السيارة مع هذا الشاب؛ منحدرين نحو شط النهر.

وكانت زوجته تتكئ على تراب الشاطئ في ضعف شديد . شعرت بوخزة الشعور  
بالذنب . كانت تجلس، وساقها ممدودتان إلى الأمام . وكانت تمسك بطنها بيديها  
الحنيفة، و تنفّس بصعوبة بالغة.

حييتها بلغتها، لكنها كانت في درجة من الإعياء الشديد لدرجة أنها لم تنتبه . حملناها إلى  
المقعد الخلفي للسيارة . ورغم أن السيارة كانت تتأرجح على الطريق الغير ممهد، لكن لم  
يُسمع لها صوت . علمت في المستشفى أن لها اسمان بالفرنسية هما فيرونيكا، و باسكال.

بعد الكشف عليها ؛ وجدت أن عندها انسداداً معويّاً ، بدأ منذ ٥ أيام على الأقل.  
لكونها كانت تتقيأ لمدة خمسة أيام متواصلة ؛ كانت في حالة جفاف ووهن، و خشيت أن  
تموت؛ وهي على منضدة العمليات .

تحليل الدم أظهر أن عندها فقر دم شديد. وفصيلة دم زوجها مختلفة عنها .ولا يوجد  
أي من العاملين بالمستشفى له ذات فصيلة الدم. وبما أنه لا يوجد بنوك دم في الجابون  
كلها ، لم نجد دم يمكن ان ننقله لها . وبعد معالجة الجفاف الذي عندها بتعليق محاليل ؛  
لإمداد جسمها بالسوائل، وإعطائها مضاداً حيويّاً ، جمعت فريق العمل في غرفة العمليات  
،وبدأت الجراحة . أعطيتها حقنة المخدر في العمود الفقري ،وصلى الفريق كي يهني الرب  
حكمة ؛ لأعلم ما يجب أن أفعله . وصلينا أيضاً أن الرب يسوع يُظهر ذاته لفرونيكا،  
وزوجها من خلال رعايتنا لهما كي يقررا في الختام أن يتبعانه.

كانت صلاة قصيرة . بعدها أشارت لي الممرضة أن ضغط دمها منخفضٌ . عبر الساعتين  
المتتاليتين كنا نصارع كي ننقذ حياتها، في ظل التحديات الكبيرة من نزف الدم الشديد أثناء  
العملية . كل ما يمكن عمله ؛ هو إعطائها محلول ملحي ، كي يحافظ على ضغط الدم في  
مستوى مناسب حتى يمكن ان نكمل العملية.

وجدنا في بطنها إلهاباً حاداً وغريباً في منطقة الحوض ؛ مما جعل جزءاً كبيراً من الأمعاء الغليظة قد صار لونه أسود ؛ بسبب الغرغرينا . نزعت الأجزاء الميتة . أعطيت زوجها الوعاء الذي به قطعة الأمعاء ، و أخبرناه أين نضع الجاروف ؛ ليدفن قطعة الأمعاء خلف المستشفى . حملق بعينه لكنه فعل كما قلت له ، على أية حال كان طلباً طبيعياً .

كانت ليلة صعبة على فيرونیکا ، لكن عند الصباح كان ضغط الدم قد أصبح طبيعياً ، وشعرت بتحسّن عام . أريتهم ما فعلت ، وتعجبت لرد فعلهم بأن الموت كان أرحم . بعد عدة أسابيع تعين على فيرونیکا أن تبذل بعض الجهد في الاعتناء بنفسها . وبمرور الأيام ، استعادت فيرونیکا قوتها ، حينئذ بدأت هي ، وزوجها يظهران تجاوباً بطيئاً مع المعاملة الطبية التي لمساها في المستشفى . وبعد الجراحة بأسبوعين ، إبتسمت فيرونیکا للمرة الأولى . وكنت أرجو ألا تكون بسبب أنني قد حييتها بلغتها بلكنة ركيكة . وبعد شهر من العملية أجريت لها عملية أخرى . وقمت بتوصيل الأمعاء معاً . تعافت تماماً في وقت قصير . ونظراً لأن الزوجين يعرفان القليل من اللغة الفرنسية تكلم إليهم العاملون - الذين يعرفون أن يتحدثوا لغة الموتسيجو - عن خلاص المسيح .

لا أعلم إن كانت هي ، وزوجها قد تركا عبادة الأرواح ، وقررا أن يتبعا المسيح ، لكن الآن قد أنقذت حياة فيرونیکا من الموت ، و قد أعطيت الفرصة أن تحيا إلى الأبد . لم يكن هناك جسر في بونجولو لفرونیکا ، وزوجها ليأتيا إلى المستشفى . ولأن لا يوجد جسر في بونجولو ؛ لا للسيارات لتعبر ، ولا حتى للمشاة . لا يوجد سوى المعديّة . ربما يوماً ما يُشيد جسر للمشاة . ونحن نحلم باليوم الذي يكون فيه هناك جسر للسيارات أيضاً . ومع ذلك عبرت جسراً في بونجولو ١٩٧٧ . هذا الجسر قد جعلني أعبر هوة واسعة أوصلتني لشعب لا أعرفه ولا أحبه . جسر نقلني من مكان ما على مضض من ماضي في آسيا ، وقادني إلى مكان رأيت أنه أكثر بقاع الأرض إظلاماً ؛ إلى قارة أفريقيا.. جسر نقلني من عالم التكنولوجيا المذهلة ، والصحة الكاملة ، إلى عالم الفقر ، والمرض إلى حيث كل شيء يسير على غير ما نروم ، أبعد ما يكون عن النجاح المزعوم .

جسر قد شدني من بين أحضان عائلتي , وأخذني لمكان ليس فيه ما يوافق اهتماماتي,  
ورغباتي . إنه الجسر الذي قد شيده الله بنعمته , و طول أناته من ألمي الذي كان يعض  
في قلبي, ولحمي . آخرون قد سبقوني , وعبروا هذا الجسر بإيمان , وطاعة . وبالرغم من  
أن هذا الجسر غير منظور, لكنه أهم جسر للعبور إلى بونجولو .

ملحوظة: أثناء إصدار الطبعة الأولى لهذا الكتاب كان الجسر الذي يصل لمستشفى  
بونجولو قد تأسس, وبدأ في العمل. مجدداً للرب .



# الفصل الثلاثون

## إن استطعت أن ترى....

قال مرة د. بول كارلسون - طبيب مرسل - استشهد في زائر سنة ١٩٦٤، لزميل أمريكي له على الغذاء : " لو إستطعت فقط أن ترى لن تستطيع أن تبلع السندويتش الذي تأكله ". يقول لنا الكتاب : " وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعهم. ويكرز ببشارة الملوكوت. ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب.(متى ٩: ٣٥).

وفي آية ٣٦ من نفس الأصحاح ، نلاحظ تلك الملحوظة المدهشة . ﴿وَمَا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَعَنَمٍ لَا رَاعِيَ لَهَا .﴾

وفي مناسبة أخرى مشيراً إلى النفوس المحتاجة للخلاص، فقال:

" اِرْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَأَنْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدْ اَبْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ ". إن العالم يمتليء بالنفوس، التي تعاني هنا، وينتظرها شقاء أبدي هناك . هل نراهم يأترون؟. هل نراهم وهم معذبون هناك ؟. في إحدى الليالي الإستوائية في الجابون، سارت امرأة حبلى في وقت مخاضها مسافة ٢ كم في الظلام؛ كي تصل لمستشفى ليبامبا.

وفي تلك الليلة وضعت مولودها السليم . لكن القابلة لاحظت أن الأم الشابة كانت تنزف بشكل غير عادي . وقد باءت كل الجهود التي بُذلت لوقف النزيف، بالفشل، وحيث أن الطبيب الفرنسي لم يكن هناك ، فمن الواضح أن الشابة الصغيرة عليها أن تذهب إلى بونجولو . وعندما وصلوا لنهر اللويتسي، أحبطوا جداً لأن الزورق، والمعدية كلاهما، كانا عند الضفة المقابلة .

لم يكن فيهم شخص شجاع ؛ ليعوم، ويعبر النهر بسرعة، و سائق السيارة كان رجلاً عجوزاً لا يقدر أن يتسلق السلك، ويعبر النهر . وعندما طال الانتظار بدأت المرأة تنزف، كان أفراد العائلة، يصرخون طالبين النجدة، لعل أحداً يسمع صراخهم ، ويأتي إليهم، ويساعدهم .

لم يسمع أحد صراخهم، ولم نسمع نحن أنهم كانوا هناك . وفي صباح اليوم التالي نزل عدد كبير من أهل القرية إلى شاطئ النهر، فوجئوا برؤية سيارة نصف نقل تقف على الشاطئ المقابل . وعندما علموا أنه يوجد حالة طارئة ؛أخذ واحد منهم المعدية لكي يأتي بهم . وأخذ سائق المعدية المرأة وهي نصف واعية ، وعبر بها النهر.

كان الفريق الطبي مستعداً للعمل، لكن قد فات الأوان ، فبالرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت، إلا إن المرأة قد ماتت بعد ساعات قليلة . إنها واحدة من آلاف القصص المأساوية التي تحدث كل يوم في البلاد التي نسميها العالم الثالث . لكن بالنسبة للبلاد الشديدة الفقر يمكن أن نقول أنها بلاد العالم الرابع.



لكن ما أبعد الفرق بين حياة المؤمنين في أمريكا الشمالية، وأوروبا (حيث الموارد الوفيرة)، والحياة في دول العالم الثالث، والرابع!.

المفتاح لمشاركتهم هذه الخيرات الكثيرة؛ هي أن نرفع عيوننا، وننظر . لنرى أولئك الذين ينتظرون في فقر وظلمة روحية.

ألا نرفع عيوننا، وننظر ما هو أبعد من احتياجاتنا، وخططنا الأنانية؟.

ألا ننظر لشعب خارج دائرة عائلتنا؟ . ألا نفتح عيوننا لنرى ما يراه الله؟.

الأسهل علينا أن لا نرى، و تظل عيوننا مغلقة ؛ فيمكننا أن ننام في سلام ؛ ونحن قانعون بأن العالم يتقدم .

إن كنا متمسكين أن نبقى في دوائر الراحة؛ لن نتحنن، ولن نشفق على المساكين، والضاكين . ولن نشعر بهم من الأساس . بالطبع عندما يموتون لن نشعر بأية خسارة.

لقد تحنن يسوع عليهم.

يوجد خطرٌ كامناً في طريق الكنيسة ؛ وهو الانغماس في إعداد برامج الإغاثة والعمل الطبي فقط كوسيلة لنأني بهذه النفوس للمسيح . مثل هذه البرامج يمكن أن تكون وسائل عادية تساعدنا أن نفكر فيما هو أهم ؛ وهو النفس، إذ تعتبر أن الجسد وقتي، ومؤقت؛ بينما النفس خالدة . توجد خطورة في هذا التفكير؛ تكسر قلبي. هذا الفكر قد يجعلنا نستهيئ بالألم الجسدي الرهيب، ولا نعطيه التقدير الواجب عندما نتحرك للكراسة لشعب لا نعتقد أن الرب كان يشفي الناس من أمراضهم فقط كوسيلة لخلاص نفوسهم . لقد كان متألماً من حالة الضعف، والسقم، والوجع ، والموت الذي جلبته الخطية على الجنس البشري . فشفاهم لأنه تحنن عليهم، وأشفق على حالتهم؛ هذا ما ينبغي أن نشعر به . ساعد الناس لأنه أحبهم.

لا أقصد أن الكنيسة مسئولة عن العناية بكل المرضى الذين في العالم، وإطعام كل الجوعى الذين في العالم، ولا أن تضمن الصحة، و تسديد إعواز فقراء العالم .

رغم أنه كان آلاف المرضى، والجوعى في أرض فلسطين أيام المسيح؛ لكن لم يؤسس المسيح منظمة عالمية للعناية الصحية . مع أنه في مناسبتين أشبع آلاف الجياع؛ لكنه لم يكرس حياته للشعب الجائع، وتحسين مستوى معيشتهم.

لكن كان يسوع يظهر حبه لاحتياج محدد عند الإنسان؛ روحياً ، أو نفسياً، أو جسدياً. أو جميع ما سبق.

إرسالية الكنيسة أن تذهب الى العالم أجمع، وتكرز بالإنجيل ، وتعلمد . لكن كي تذهب الكنيسة ؛ عليها أن تتبع النموذج الذي خدم به المسيح . يجب أن تتمثل بالمسيح الذي سار في دروب قرى فلسطين . إن المغزي من قصة السامري الصالح ؛ التي أراد الرب يسوع أن يوصلها ( لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧ )؛ هي أن نتجارب مع نوعية الاحتياج الذي نراه في البشر. الرحمة مع الناس الذين في طريقنا . الله هو السيد على كل تفاصيل حياتنا اليومية ، وهو الذي يقودنا في رحلة العمر . في الوقت الذي فيه نقول أننا لا يمكن أن نشبع كل الجوع الذين في العالم ، يضع جائعاً في طريقنا . بينما نصرخ أننا عاجزون أن نقدم علاجاً لكل المرضى الذين في أفريقيا، يرسل الرب لكنيسة في أفريقيا ما يسد احتياجها لمواجهة الموت و ظلاله كل يوم . بينما نقف في طريقنا لنساعد أولئك المجروحين الذين في طريقنا فنحن بذلك نعلن أننا تلاميذ المسيح، نقدر ليس فقط نفوسهم ، بل نبتغي شفائهم، وراحتهم.

يقول البعض : إن شمس الخدمة الطبية قد أوشكت على المغيب . إن كان هذا صحيحاً في أماكن كثيرة من العالم ، لكن لم يزل نهار العمل الطبي طويلاً في ربوع قارة أفريقيا. أنا مقتنع تماماً ؛ أنه يوجد الكثير من الفرص للعمل الطبي ، إن نهضنا ، وقبلنا التحدي كخدام لله ، فالنموذج الذي نحتذي به هو يسوع . المفتاح لأي برنامج مسيحي لا يكمن في البرامج ذاتها ، لكن في أفرادها الذين يخدمون.

يجب أن يحبوا الرب يسوع من كل قلوبهم . يجب أن يُقادوا بروح الله . يجب أن يحبوا الشعب الذين يخدمونه ، أكثر من محبتهم لبرامجهم. فوق الكل يجب أن يحبوا الذين يساعدونهم أكثر من حبهم لأنفسهم. يجب أن يضعوا أنفسهم في مكان الذين يخدمونهم ، ليكون في بكائهم ، ويفرحون في أفراحهم.

كطبيب مؤمن ؛ أريد أن مرضاي يحيون إلى الأبد . أريد أيضاً أن يعيشوا أصحاء جسدياً. ونفسياً. هذه المشاعر تتدفق مباشرة من قلب الله . يجب أن يرَ الشعب الجابوني المسيح الذي في . يجب أن يفهم المرضى في مستشفى بونجولو الإنجيلي ؛ أن السلام الذي يشعرون به ، يتدفق بقوة الله مخترباً ظلمة الوثنية ، وأرواح الشر التي تلاحق بلا هوادة جميع الذين يرزحون تحت وطأة تلك الظلمة الحالكة .





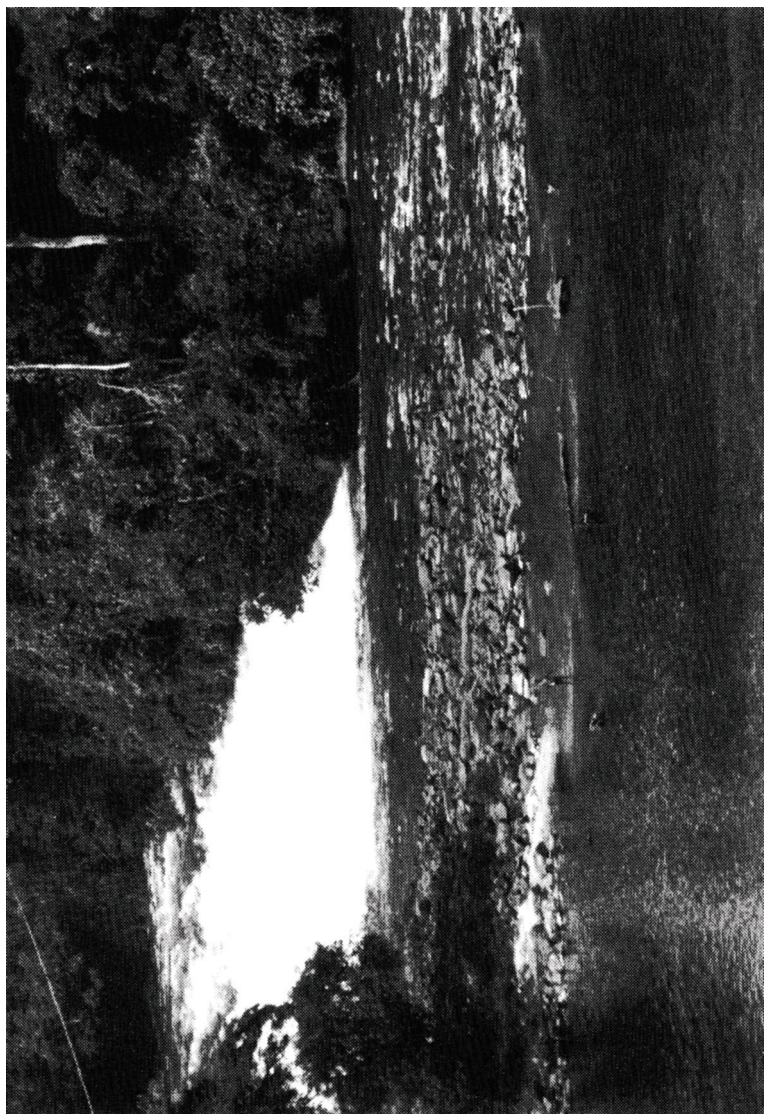
عائلة طومسون (١٩٩٠)  
من اليسار إلى اليمين : بيكي (ريبيكا) ، دافيد، جيرمي، جاشوا، راشيل.



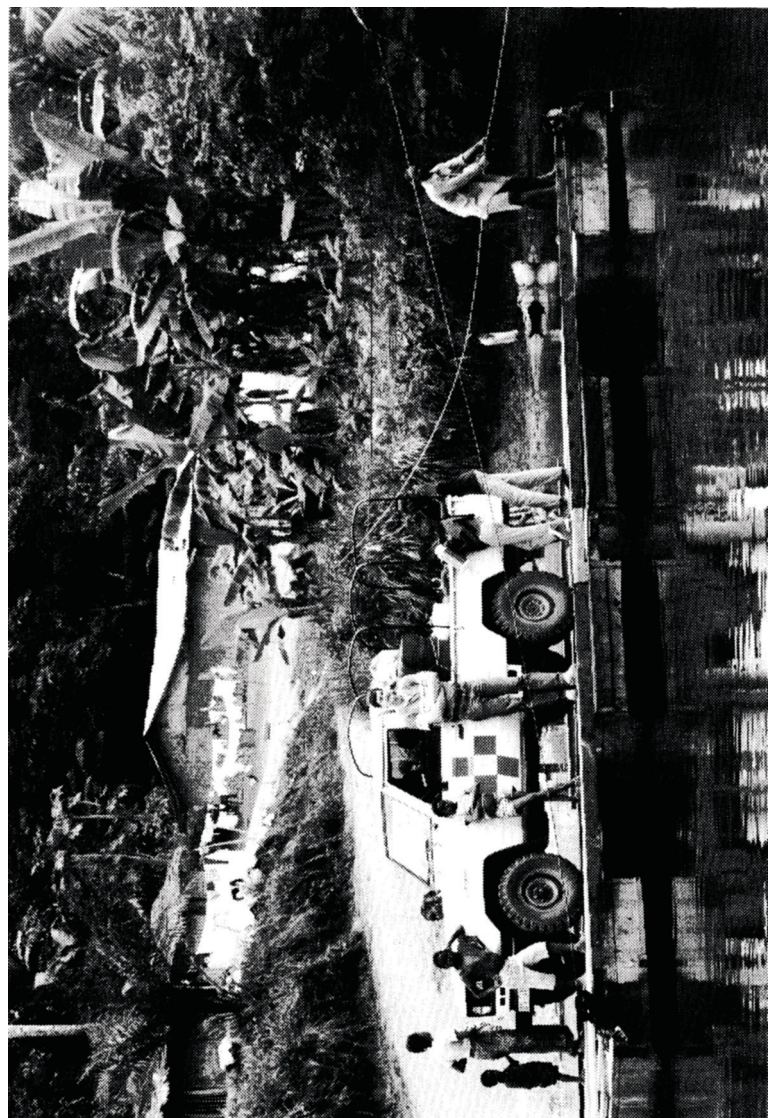
نهر اللويتسي عند معبر العبدية - المنظر من جانب شاطئ بوجولو والضفة البعيدة هي جهة ليبامبا.



شاللات بوخولو.







عبور نهر اللويتسي - السيارة تبرعت بها هيئة نيوزلندية

محطة توليد الكهرباء عند شلالات بوجولو. خُطمت في ١٩٩٠ لتستبدل بوحدة تهرت بها الحكومة الكندية.







السيارة في الوحل. السفر في مواسم المطر صعب وخطر.

جسر بين بوجولو وندندي.





مستشفى بوجولو الإيجلسي.



كنيسة الرابطة المرسلية المسيحية في ١٩٨٩.





المنزل الذي يسكن فيه د . دافيد وعائلته.



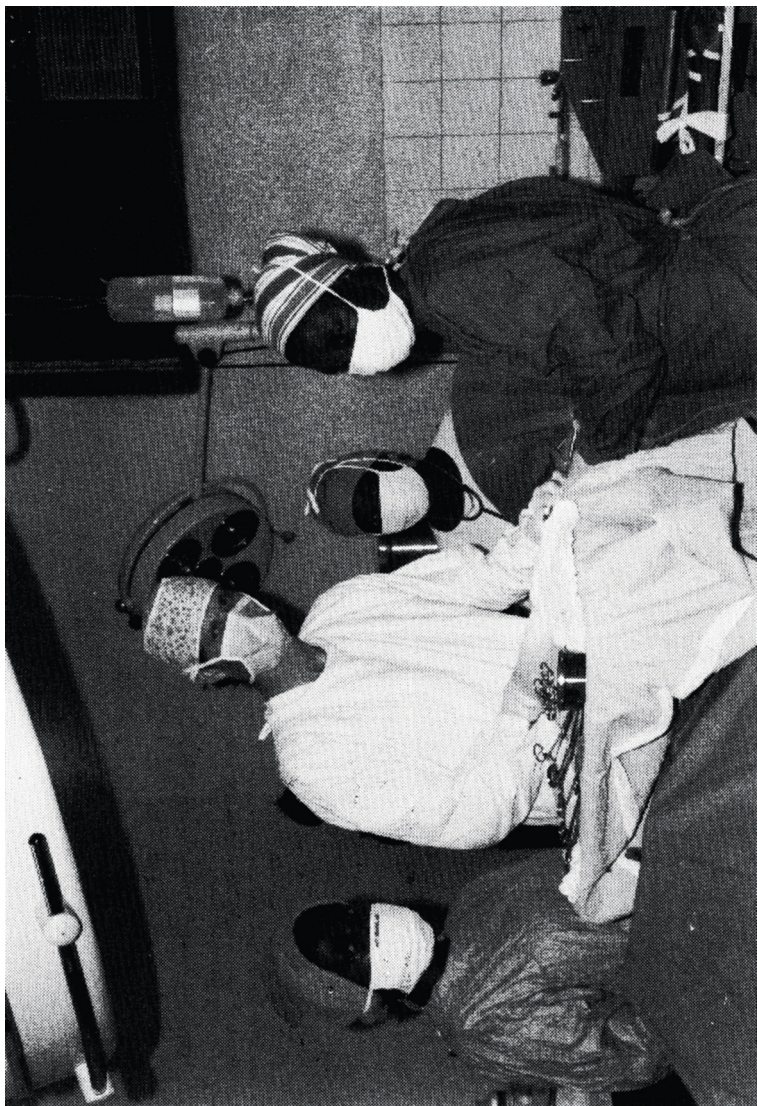
مرضى فى انتظار الطبيب.







بيكي ودافيد مع فرانسوا ( مرض وفني معمل )



د. دافيد والمرضات في غرفة العمليات.



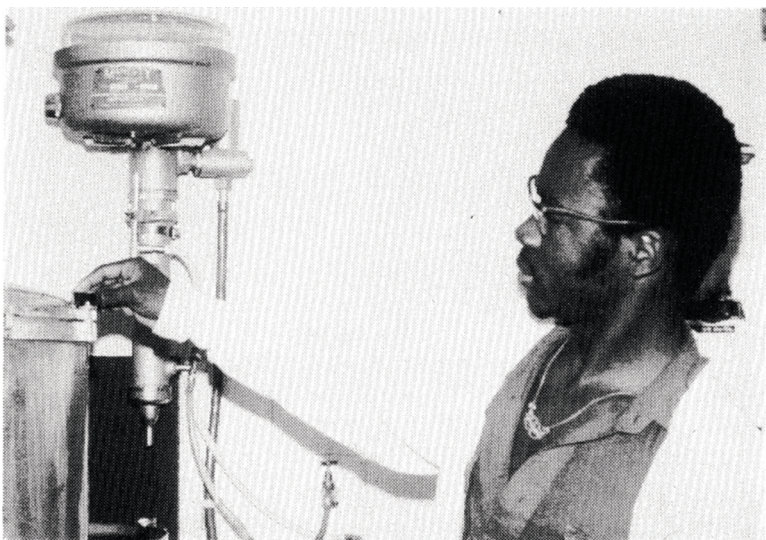


طالبة في مدرسة التمريض .



فريق العمل في مستشفى بوخولو الإيجيلي.





نوربرت(أعلى الصورة) دافيد ومكايا (أسفل الصورة)